

برنامج الدبلوم المستوى الثالث

الكتاب الثاني

- التفسير
- التوحيد
- تاريخ الخلفاء الراشدين
- صور من حياة الصحابة

التفسير

برنامج الدبلوم المستوى الثالث



مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ، وَمِنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَهَذِهِ مُخْتَارَاتٌ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ جَمَعْنَاهَا لِطُلَّابِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِغَيْرِ النَّاطِقِينَ بِهَا، رَاعَيْنَا فِيهَا سُهُولَةَ الْعِبَارَةِ وَوُضُوحَ الْمَعْنَى؛ لِتُنَاسِبَ مُسْتَوَى الطُّلَّابِ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ، كَمَا رَاعَيْنَا فِيهَا أَنْ تَجْمَعَ عَدَدًا مِنَ الدَّرُوسِ الَّتِي تَحْوِي الْإِهْتِمَامَ بِغَرْسِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ وَمَعْرِفَةِ جُمْلَةٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْآدَابِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، مِمَّا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَحَثَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى تَعْلُمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَتَعْلِيمِهِ.

وَمِنْ أَهَمِّ أَهْدَافِ تَدْرِيسِ التَّفْسِيرِ مَا يَلِي:

أَوَّلًا: أَنْ يُدْرِكَ الطَّالِبُ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَتِهِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَفْسِيرِهِ أَنَّ لُغَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هِيَ أَفْصَحُ الْعَرَبِيَّةِ وَأَعْلَاهَا.

ثَانِيًا: أَنْ يَدْرُسَ الطَّالِبُ نَمَازَجَ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ تَكُونُ لَهُ عَوْنًا فِي دِرَاسَتِهِ لِلتَّفْسِيرِ فِي حَيَاتِهِ الدِّرَاسِيَّةِ فِيمَا بَعْدُ.

ثَالِثًا: أَنْ يَعِيشَ الطَّالِبُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا، فَيَنْتَفِعَ هُوَ بِهِ وَيَنْتَفِعَ الْمُسْلِمِينَ فِي بَلَدِهِ لِيَكُونُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ الطُّلَّابَ بِهَذِهِ الدَّرُوسِ، وَأَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا هَذَا وَسَائِرَ أَعْمَالِنَا خَالِصَةً لَوَجْهِهِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

مَدخلٌ

مَعْنَى التَّفْسِيرِ - حُكْمُ تَعْلَمِهِ - أَشْهُرُ الْمُفَسِّرِينَ - أَشْهُرُ كُتُبِ التَّفْسِيرِ.

أ- مَعْنَى التَّفْسِيرِ:

التَّفْسِيرُ لُغَةً: الْبَيَانُ وَالْكَشْفُ، فَسَّرَ الشَّيْءَ إِذَا وَضَّحَهُ وَبَيَّنَّهُ.

وَفِي الْإِصْطِلَاحِ: عِلْمٌ يُرَادُّ بِهِ فَهْمُ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُنْزَلِ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَبَيَانُ مَعَانِيهِ، وَاسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِهِ وَحِكْمِهِ.

ب- حُكْمُ تَعْلَمِهِ:

أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ تَعْلَمَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَرَضٌ كِفَايَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهَمِّ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

ج- أَشْهُرُ الْمُفَسِّرِينَ:

إِغْتَنَى الصَّحَابَةُ ﷺ بِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَفَهُم مَعَانِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْعَمَلِ بِهِ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ». وَاشْتَهَرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِثْلُ: الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ ﷺ. وَكَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ﷺ، وَكَانَ يُسَمَّى تَرْجُمانَ الْقُرْآنِ لِمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنَ الْفَهْمِ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ بِمَعَانِي الْقُرْآنِ، وَقَدْ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَتِّهِهِ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمُهُ التَّأْوِيلَ». الْمُرَادُّ بِهِ هُنَا (التَّفْسِيرُ).

وَمِمَّنْ اشْتَهَرَ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مِنَ الصَّحَابَةِ كَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وَكَانَ رضي الله عنه يَقُولُ: «مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَنَالَهُ الْمَطَايَا لَا تَيْتُهُ». وَأَخَذَ التَّفْسِيرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ التَّابِعِينَ، مِنْهُمْ: الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُمْ. وَنَقَلُوهُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، فَأَخَذَهُ عَنْهُمْ الْعُلَمَاءُ، وَأَيُّمَةُ الْمُفَسِّرِينَ، فَدَوَّنُوهُ فِي الْكُتُبِ وَأَلَّفُوا فِيهِ الْمَوْلَفَاتِ الْكَبِيرَةَ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْنَا التَّفْسِيرُ عَنْ طَرِيقِهَا.

د- أَشْهُرُ كُتُبِ التَّفْسِيرِ:

(١) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ: وَاسْمُهُ «جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ»،

لِإِمَامِ الْمُفَسِّرِينَ، أَوَّلَ مَنْ دَوَّنَ عِلْمَ التَّفْسِيرِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٣١٠ هـ). جَمَعَ فِيهِ أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ. وَيَعُدُّ هَذَا الْكِتَابُ الْمَرْجِعَ الْأَوَّلَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. اعْتَمَدَهُ مَرْجِعًا كُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِمَّنْ أَلَّفَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.

(٢) تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ: وَاسْمُهُ «الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ»، لِلْإِمَامِ أَبِي

عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْأَنْصَارِيِّ الْقُرْطُبِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٦٧١ هـ).

وَطَرِيقَتُهُ فِي التَّفْسِيرِ: أَنْ يَذْكُرَ الْآيَاتِ ثُمَّ يَذْكُرُ تَفْسِيرَهَا مِنْ الْمَأْثُورِ وَالْمَعْقُولِ، وَيَذْكُرُ الْأَحْكَامَ الْفَقْهِيَّةَ وَمَذَاهِبَ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ التَّعَرُّضِ لآيَاتِ الْأَحْكَامِ، كَمَا يَهْتَمُّ بِالْقُرْآنِ وَأَوْجُهِ الْإِعْرَابِ. وَهُوَ مِنَ التَّفَاسِيرِ الْمُطَوَّلَةِ الْمُفْصَّلَةِ.

(٣) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ: وَاسْمُهُ «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ»، لِلْحَافِظِ

الْمُحَدِّثِ الْمَوْرِّخِ أَبِي الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ كَثِيرٍ الدَّمَشَقِيِّ الْمُتَوَفَّى

سَنَةَ (٧٧٤هـ). وَهَذَا الْكِتَابُ أَشْهَرُ مَا أُلِّفَ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ، وَيُعَدُّ الْمَرْجِعَ الثَّانِي بَعْدَ تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ. إِعْتَمَدَ فِيهِ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ، ثُمَّ بِالْحَدِيثِ، وَمَا وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَلَا غِنَى لِطَالِبِ الْعِلْمِ عَنْهُ.

(٤) تَفْسِيرُ أَبِي حَيَّانَ: وَاسْمُهُ «الْبَحْرُ الْمُحِيطُ»، لِلإِمَامِ النَّحْوِيِّ الْمُفَسِّرِ أَبِي حَيَّانَ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَيَّانَ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٤٥هـ). وَيُعَدُّ هَذَا الْكِتَابُ الْمَرْجِعَ الْأَوَّلَ فِي وُجُوهِ إِعْرَابِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْمَسَائِلِ النَّحْوِيَّةِ، وَمَعْرِفَةِ وُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ وَأَسْبَابِ النُّزُولِ.

(٥) تَفْسِيرُ الشُّوْكَانِيِّ: وَاسْمُهُ «فَتْحُ الْقَدِيرِ»، لِلإِمَامِ الْمُحَدِّثِ الْفَقِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الشُّوْكَانِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٢٥٠هـ)، وَيُعَدُّ هَذَا الْكِتَابُ أَضَلًّا مِنْ أَصُولِ التَّفْسِيرِ، إِسْتِفَادَ مِنْ كُتُبِ السَّابِقِينَ وَزَادَ عَلَيْهَا. وَطَرِيقَتُهُ فِي التَّفْسِيرِ: أَنْ يَذْكُرَ الْآيَاتِ ثُمَّ يُبَيِّنَ مَعْنَاهَا، وَيُورِدُ الْقِرَاءَاتِ الْمُتَعَدِّدَةَ، وَقُرَاءَهَا، وَيُعَرِّبُ كَثِيرًا مِنَ الْأَلْفَاظِ، وَيَذْكُرُ مَذَاهِبَ الْفُقَهَاءِ فِي آيَاتِ الْأَحْكَامِ.

وَهُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ التَّفَاسِيرِ الْمُخْتَصَرَةِ الَّتِي تَقْتَصِرُ عَلَى شَرْحِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ، وَيَبَيِّنُ مُوجِزٌ مِنَ التَّفْسِيرِ.



تَفْسِيرُ الْإِسْتِعَاذَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ لِلْعَبْدِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ أَنْ يَسْتَعِذَّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قَبْلَ الْبَدْءِ فِي الْقِرَاءَةِ.

وَمَعْنَى «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، أَيُّ: أَسْتَجِيرُ وَأَتَحَصَّنُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ فِعْلِ مَا أَمَرْتُ بِهِ، أَوْ يَحْتَنِي عَلَى فِعْلِ مَا نُهِيتُ عَنْهُ.

وَالِإِسْتِعَاذَةُ هِيَ الْإِلْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ. وَالشَّيْطَانُ هُوَ الْبَعِيدُ بِفَسَقِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ. وَالرَّجِيمُ: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيُّ أَنَّهُ مَرْجُومٌ مَطْرُودٌ عَنِ الْخَيْرِ.

تَفْسِيرُ الْبَسْمَلَةِ

تُسْتَحَبُّ الْبَسْمَلَةُ فِي أَوَّلِ كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

وَقَدْ اشْتَمَلَتِ الْبَسْمَلَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى:

أَحَدُهَا: اللَّهُ، وَهُوَ عَلَمٌ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُهُ ﷻ.

وَالثَّانِي: الرَّحْمَنُ، وَهُوَ اسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّحْمَةِ، يَدُلُّ عَلَى شُمُولِ رَحْمَتِهِ ﷻ فِي الدُّنْيَا لِلْخَلْقِ جَمِيعًا، وَفِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً. وَهَذَا الْإِسْمُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَمْ يُسَمَّ اللَّهُ بِهَا غَيْرُهُ، كَالْخَالِقِ وَالرَّزَّاقِ وَاللَّهُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا ثَالِثُهَا: فَهُوَ الرَّحِيمُ، وَهُوَ اسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّحْمَةِ أَيْضًا. وَهُوَ

يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ الْخَاصَّةِ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وَهَذَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي سَمَّى اللَّهُ بِهَا غَيْرَهُ، فَوَصَفَ الرَّسُولَ ﷺ بِهِ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى الْبَسْمَلَةِ:

أَبْتَدَيْتُ قِرَاءَتِي، أَوْ أَفْتَتِحُ قِرَاءَتِي وَشَأْنِي كُلَّهُ مُتَبَرِّكًا بِاسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الَّذِي وَسَعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، الرَّحِيمِ الَّذِي خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ
بِرَحْمَتِهِ فِي الْآخِرَةِ.



الدَّرْسُ الْأَوَّلُ

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ: [١ - ٧].

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢﴾ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾﴾

(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

الْفَاتِحَةُ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ (فَتَحَ يَفْتَحُ) أَيِ ابْتَدَأَ يَبْتَدِئُ، وَسُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ
بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تُفْتَحُ بِهَا الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَوَاتِ وَافْتُتِحَ بِهَا الْمُصْحَفُ.
اللَّهُ: عَلَمٌ لِلرَّبِّ ﷻ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ الْإِسْمُ الْأَعْظَمُ، وَلَمْ يُسَمَّ بِهِ
غَيْرُ اللَّهِ ﷻ.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ يَدُلَّانِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَتِهِ
سُبْحَانَهُ وَشُمُولِهَا. وَالرَّحْمَنُ أَبْلَغُ مِنَ الرَّحِيمِ وَلَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ ﷻ،
بِخِلَافِ الرَّحِيمِ فَقَدْ وَصَفَ بِهِ بَعْضَ خَلْقِهِ.

الْحَمْدُ: الثَّنَاءُ بِالْجَمِيلِ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ، وَضِدُّهُ الذَّمُّ.

رَبِّ الْعَالَمِينَ: خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ وَمُدَبِّرِ شُئُونِهِمْ. وَ﴿الْعَالَمِينَ﴾ جَمْعُ
عَالَمٍ، وَهُوَ الْخَلْقُ.

مَلِكٍ: الْمَالِكُ وَالْمَلِكُ وَالْمَلِكُ: صَاحِبُ الْمُلْكِ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِ.
يَوْمَ الدِّينِ: يَوْمُ الْجَزَاءِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. دَانَ فُلَانٌ فُلَانًا يَدِينُهُ
 بِمَعْنَى جَازَاهُ.

أَهْدِنَا: دُلَّنَا وَوَقِّفْنَا.

الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ: الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ.
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ: أَيِ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ الْيَهُودُ وَأَمْثَالُهُمْ
 مِمَّنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَتَرَكَهُ.

وَلَا الضَّالِّينَ: الضَّالُّونَ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى الْحَقِّ، وَهُمْ
 النَّصَارَى وَأَشْبَاهُهُمْ مِمَّنْ ضَلَّ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

(ب) الْإِعْرَابُ:

١- ﴿بِسْمِ﴾: الْبَاءُ حَرْفُ جَرٍّ، إِسْمٌ: مَجْرُورٌ بِالْبَاءِ، وَهُمَا مُتَعَلِّقَانِ
 بِمَحْذُوفٍ، وَهَذَا الْمَحْذُوفُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِعْلًا، فَالْتَّقْدِيرُ حِينَئِذٍ: أَتَيْدِي
 بِاسْمِ اللَّهِ أَوْ أَقْرَأُ بِاسْمِ اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ اسْمًا فَالْتَّقْدِيرُ حِينَئِذٍ: إِنْتَدَائِي
 بِاسْمِ اللَّهِ أَوْ قِرَاءَتِي بِاسْمِ اللَّهِ. وَتُحَذَفُ هَمْزَةُ الْوَصْلِ مِنْ (اسْمِ) وَتُوصَلُ
 الْبَاءُ بِالسَّيْنِ خَطًّا فِي الْبَسْمَلَةِ فَقَطُّ.

٢- ﴿الْعَلَمِينَ﴾: مُلْحَقٌ بِجَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ، يُعْرَبُ إِعْرَابَهُ فَيُرْفَعُ
 بِالْوَاوِ وَيُنْصَبُ وَيَجَرُّ بِالْيَاءِ.

٣- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: (إِيَّاكَ) ضَمِيرُ نَصْبٍ مُنْفَصِلٌ وَقَعَ مَفْعُولًا بِهِ
 تَقَدَّمَ عَلَى فِعْلِهِ، وَهَذَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُؤْتَى فِيهَا بِضَمِيرٍ

النَّصِبِ مُتَفَصِّلًا. وَتَقْدِيمُهُ يُفِيدُ الْقَصْرَ، أَي: نَعْبُدُكَ وَلَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ، وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

٤- ﴿أَهْدِنَا﴾: (اهْدِ) فِعْلٌ أَمْرٌ نَاقِصٌ يَأْتِي، فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ الْيَاءِ. وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا الدُّعَاءُ بِطَلَبِ الْهِدَايَةِ وَهَذَا الْفِعْلُ قَدْ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ كَمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَقَدْ يَتَعَدَّى بِـ (إِلَى) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وَقَدْ يَتَعَدَّى بِاللَّامِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ [السجدة: ٢٦].

٥- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: بَدَلٌ مِنَ ﴿الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾، أَوْ عَطْفٌ بَيَانٍ يُفَسِّرُهُ.

٦- ﴿غَيْرِ﴾: بَدَلٌ مِنَ ﴿الَّذِينَ﴾.

٧- ﴿وَلَا﴾: (لَا) هُنَا بِمَعْنَى (غَيْرِ)، وَجِيءَ بِهَا لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ.

مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ وَأَسْمَائِهَا:

وَمِنْ أَسْمَائِهَا: أُمُّ الْقُرْآنِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْحَمْدُ، وَالشِّفَاءُ، وَالْوَاقِيَةُ، وَالْكَافِيَةُ، وَأَسَاسُ الْقُرْآنِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ أَحَادِيثُ، مِنْهَا:

١- عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي، قَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾؟»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «لَأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ» قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ. (١)

٢- وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «أَتَحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزَلْ فِي التَّوْرَةِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟»، ثُمَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهَا الْفَاتِحَةُ (٢).

٣- وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا، غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ. فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٣]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٤]، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧ ﴿ [الْفَاتِحَةُ: ٦ - ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ وَالَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُتَكَرَّرَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، بَلْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ رَكَعَاتِ الصَّلَوَاتِ. وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَأَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

(ج) تَفْسِيرُ السُّورَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) ثَنَاءٌ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَفِي ضَمْنِهِ أَمْرَ عِبَادِهِ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ: أَيُّ الشُّكْرِ لِلَّهِ خَالِصًا بِمَا أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعَدَدُ وَلَا يُحِيطُ بِعَدَدِهَا إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرَّبُّ هُوَ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ إِلَّا بِالْإِضَافَةِ، فَإِذَا أُطْلِقَ فَلَا يُقَالُ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ. وَ(الْعَالَمِينَ) جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُوَ كُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ ﷻ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُ هَذَا، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ بَعْدَ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي اتِّصَافِهِ بِ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تَرْهِيْبٌ قَرَنَهُ بِ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، لَمَّا تَضَمَّنَ مِنَ التَّرْغِيْبِ؛ لِيَجْمَعَ فِي صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ بَيْنَ الرَّهْبَةِ مِنْهُ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ؛ فَيَكُونُ أَعْوَنَ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَمْنَعَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ١٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿[الحجر: ٤٩ - ٥٠].

وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ فِي جَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أَيُّ مَالِكِ يَوْمِ الْجَزَاءِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَهُ الْمُلْكُ كُلُّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَحْدَهُ لَا

شَرِيكَ لَهُ، وَإِنَّمَا خَصَّ يَوْمَ الدِّينِ بِالْمَلِكِ؛ لِأَنَّ مُلُوكَ الدُّنْيَا لَا يَدْعُونَ
يَوْمَئِذٍ مَلِكَ شَيْءٍ، وَلَا يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَن أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَيُّ نَحْضُكَ وَخُذَكَ
بِالْعِبَادَةِ، وَنَحْضُكَ بِالِاسْتِعَانَةِ لَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ. وَالْعِبَادَةُ:
إِسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ. وَهِيَ: مَا يَجْمَعُ
كَمَالَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

وَالِاسْتِعَانَةُ هِيَ: التَّوَكُّلُ، وَهَذَا هُوَ كَمَالُ الطَّاعَةِ، وَالِدِّينُ يَرْجِعُ كُلُّهُ
إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ؛ فَالْأَوَّلُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تَبَرُّؤُ مِنَ الشَّرِكِ. وَالثَّانِي
﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تَبَرُّؤُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَتَحَوُّلُ
الْكَلَامِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ لِقَصْدِ الْإِلْتِفَاتِ، وَفِيهِ فَائِدَةٌ: أَنَّهُ لَمَّا
أَثْنَى الْمُؤْمِنُ عَلَى اللَّهِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَرَبَ وَحَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَخَاطَبَهُ حِينَئِذٍ
عَنْ قُرْبٍ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لَمَّا تَقَدَّمَ الشَّاءُ عَلَى اللَّهِ ﷻ،
ثُمَّ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لَهُ وَتَمَامُ التَّفْوِيزِ إِلَيْهِ نَاسِبٌ أَنْ يَعْقَبَ بِالسَّوَالِ، وَهَذَا
أَكْمَلُ أَحْوَالِ السَّائِلِ أَنْ يَمْدَحَ مَسْئُولَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يَسْأَلَ حَاجَتَهُ، وَلِهَذَا
أَرْشَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ الْأَكْمَلُ.

وَالْهِدَايَةُ - كَمَا وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - هِدَايَتَانِ: هِدَايَةُ إِرْشَادٍ
وَدَلَالَةٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
[الشورى: ٥٢]. وَهِدَايَةُ تَوْفِيقٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ أَيْضًا: ﴿إِنَّكَ
لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].
وَالْمُرَادُ هُنَا الْهِدَايَةُ الشَّامِلَةُ لِلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، أَيُّ: يَا رَبِّ دُلَّنَا عَلَى

طَرِيقِ الْحَقِّ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَوَقَّفْنَا لِسُلُوكِهِ لَنُنْجُو مِنْ عَذَابِكَ وَنَفُوزَ بَرِّضَاكَ. وَالْمُرَادُ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ غَيْرَهُ. وَالِدُّعَاءُ هُنَا الْمَقْصُودُ بِهِ الثَّبَاتُ وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُهْتَدِينَ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وَصَفَ لِلصِّرَاطِ الْمَطْلُوبِ الْهِدَايَةَ إِلَيْهِ فِي الدُّعَاءِ السَّابِقِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ، الصِّرَاطُ الَّذِي سَلَكَهُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ: النَّبِيُّونَ وَالصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ. كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بَطَاعَتُكَ وَعِبَادَتُكَ؛ مِنْ مَلَائِكَتِكَ وَأَنْبِيَائِكَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَهُوَ غَيْرُ صِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الَّذِينَ عَلِمُوا الْحَقَّ وَعَدَلُوا عَنْهُ، وَهُمْ الْيَهُودُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ، وَلَا صِرَاطَ الضَّالِّينَ الَّذِينَ فَقَدُوا الْعِلْمَ، فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ وَهُمْ النَّصَارَى. رُوِيَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فَقَالَ: «هُمْ الْيَهُودُ»، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: «النَّصَارَى»^(١). وَ﴿لَا﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ تَأْكِيدٌ لِلنَّفْيِ الْمَفْهُومِ مِنْ «غَيْرِ».

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ طُرُقٍ.

فَائِدَةٌ:

يُسْتَحَبُّ لِمَنْ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ أَنْ يَقُولَ بَعْدَهَا: (آمِينَ)، وَهُوَ اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى: اسْتَجِبْ يَا رَبِّ. لَمَّا رُويَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَلَا ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: «آمِينَ»، حَتَّى يُسْمِعَ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الصَّفِّ الْأَوَّلِ ^(١).

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ السُّورَةِ:

اِشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى:

- ١- حَمْدُ اللَّهِ وَتَمْجِيدُهُ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا.
- ٢- ذِكْرُ الْمَعَادِ، وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ، يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَالْجَزَاءِ.
- ٣- إِرْشَادِ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى سُؤَالِهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ.
- ٤- إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَتَوْحِيدِهِ بِالْأُلُوْهِيَّةِ، وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الشَّرِيكِ.
- ٥- سُؤَالِ اللَّهِ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالتَّشْيِيتِ عَلَيْهِ؛ حَتَّى يَنَالُوا رِضْوَانَ اللَّهِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.
- ٦- التَّعَوُّذِ بِاللَّهِ مِنْ سُلُوكِ سَبِيلٍ مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ، وَمَنْ ضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ وَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ.

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ.

الْمَنَاقِشَةُ

١- أَجِبْ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

أ- اذْكُرْ أَسْمَاءَ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ. ثُمَّ اذْكُرْ حَدِيثَيْنِ مِمَّا وَرَدَ فِي فَضْلِهَا.

ب- اِشْرَحْ مَعْنَى الْاِسْتِعَاذَةِ وَالْبِسْمَلَةِ.

ج- يَبَيِّنْ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

د- لِمَ قَدَّمَ الْمَفْعُولَ عَلَى الْفِعْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟

هـ- اذْكُرْ مَا يُسْتَفَادُ مِنَ السُّورَةِ.

٢- اِشْرَحِ الْمُفْرَدَاتِ الْآتِيَةَ:

الْحَمْدُ - الْعَالَمِينَ - يَوْمَ الدِّينِ - أَهْدِنَا - الْمُسْتَقِيمَ.



الدَّرْسُ الثَّانِي

عَاقِبَةُ الْمُتَّقِينَ وَجَزَاءُ الْمُكَذِّبِينَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا
وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾
وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلُوكُ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ: [٤١ - ٥٠].

(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

الْمُتَّقِينَ: جَمْعُ (الْمُتَّقِي) اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ (اتَّقَى يَتَّقِي)، اتَّقَى اللَّهَ: خَافَ
عِقَابَهُ. فَالْمُتَّقِي هُوَ مَنْ خَافَ عَذَابَ اللَّهِ، فَفَعَلَ الْأَوَامِرَ وَاجْتَنَبَ النَّوَاهِي.

ظِلِّ: جَمْعُ ظِلٍّ، وَهُوَ ضَوْءُ شُعَاعِ الشَّمْسِ إِذَا اسْتَتَرَتْ عَنْكَ بِحَاجِزٍ،
وَالْمُرَادُ بِهِ ظِلَالُ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ.

عُيُونٍ: جَمْعُ عَيْنٍ، وَهُوَ يَنْبُوعُ الْمَاءِ الَّذِي يَنْبُعُ مِنَ الْأَرْضِ وَيَجْرِي.

فَوَاكِهَ: جَمْعُ فَاكِهَةٍ، ثِمَارُ الْأَشْجَارِ اللَّذِيذَةِ.

مِمَّا: أَصْلُهَا (مِنْ) وَ(مَا) الْمَوْصُولَةُ، أَي: مِنَ الَّذِي.

يَشْتَهُونَ: اشْتَهَى الشَّيْءَ: أَرَادَهُ وَرَغِبَ فِيهِ، الْمُضَارِعُ: يَشْتَهِي.

هَنِيئًا: سَهْلًا سَائِغًا لَدِيدًا فِي أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ.

نُجْزِي: نُعْطِي، نُكَافِي.

الْمُحْسِنِينَ: مُفْرَدُهُ مُحْسِنٌ، مِنْ (أَحْسَنَ يُحْسِنُ)، فَعَلَ مَا هُوَ حَسَنٌ.

وَيْلٌ: الْوَيْلُ الْهَلَاكُ وَالْعَذَابُ وَحُلُولُ الشَّرِّ. وَقِيلَ: هُوَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ.

يَوْمَئِذٍ: أَصْلُهَا (يَوْمَ إِذٍ)، أَي: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

لِلْمُكَذِّبِينَ: مُفْرَدُهُ الْمَكْذِبُ، مِنْ (كَذَبَ يُكَذِّبُ تَكْذِيبًا). وَالْمُرَادُ:

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

تَمَتَّعُوا: تَمَتَّعَ بِالشَّيْءِ: انْتَفَعَ بِهِ.

قَلِيلًا: مُدَّةً قَصِيرَةً، زَمَنًا قَصِيرًا.

مُجْرِمُونَ: مُفْرَدُهُ (مُجْرِمٌ)، اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ (أَجْرَمَ يُجْرِمُ إِجْرَامًا)، أَجْرَمَ:

إِزْتَكَبَ جُرْمًا. وَالْجُرْمُ: الذَّنْبُ الْقَبِيحُ الْعَظِيمُ، الْمُجْرِمُونَ: الْمُذْنِبُونَ.

أَرْكَعُوا: رَكَعَ: انْحَنَى عَلَى الْهَيْئَةِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الصَّلَاةِ وَالْمُرَادُ هُنَا

(صَلُّوا)، فَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الْجُزْءِ وَإِرَادَةِ الْكُلِّ.

حَدِيثٍ: كَلَامٍ.

بَعْدَهُ: أَي بَعْدَ الْقُرْآنِ.

يُؤْمِنُونَ: يُصَدِّقُونَ.



(ب) الإِعْرَابُ:

تأمل في الآيات الكريمة ما يأتي:

١- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف زمان، ومثلها (حينئذ): في ذلك الوقت، (ساعتئذ): في تلك الساعة. المكذب: اسم فاعل من (كذب يكذب تكذيباً). تقول: كذبت فلاناً، إذا جعلته كاذباً، لم تصدقه. وكذب فلان بكذا: لم يصدق به.

٢- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: ﴿قِيلَ﴾ فعل ماضٍ مبني للمجهول. المبني للمعلوم منه (قال) معتل العين ثلاثي. ومثله: (صام صيم - قام قيم - باع بيع). ونائب الفاعل هو مَقُولُ الْقَوْلِ، جملة: ﴿أَرْكَعُوا﴾.

٣- ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: الفعل (آمن) أصله: (أأمن) المضارع: يؤمن. الأمر منه: آمِن، أصله (أأمن).

(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ۖ وَقَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(١) يخبر الله تعالى عن عباده المؤمنين الصالحين أنهم يدخلون الجنة ويتمتعون بظلال أشجارها، ويأكلون من ثمارها، ويشربون من ماء عيونها.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يُقَالُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا مَرِيئًا بِمَا عَمِلْتُمْ مِنَ الصَّالِحَاتِ فِي الدُّنْيَا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ومثل ذلك الجزاء يكون جزاء المحسنين.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۖ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ﴾ ثُمَّ يُخْبِرُنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَحْوَالِ الْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يُصَدِّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنَّ لَهُمُ الْعَذَابَ وَالْهَلَكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَيُقَالُ لَهُمْ: كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا قَصِيرَةٌ الْأَجَلِ وَمَتَاعُهَا قَلِيلٌ، لِأَنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ مِنْ صِفَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبِينَ أَنَّهُمْ إِذَا أُمِرُوا بِالصَّلَاةِ لَا يُصَلُّونَ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ وَإِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ فَبِأَيِّ كَلَامٍ غَيْرِهِ يُؤْمِنُونَ؟

(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ:

١- أَنَّ الْمُتَّقِينَ الصَّالِحِينَ يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجَنَّةِ يَتَمَتَّعُونَ بِظِلَالِ أَشْجَارِهَا، وَيَأْكُلُونَ مِنْ ثَمَارِهَا، وَيَشْرَبُونَ مِنْ مَاءٍ عُيُونِهَا.

٢- أَنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ سُبْحَانَهُ يُجَازِي الْمُحْسِنَ عَلَى إِحْسَانِهِ وَيُضَاعِفُ لَهُ الْحَسَنَاتِ.

٣- أَنَّ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ وَمَا جَاءَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَهُمُ الْوَيْلُ وَالْعَذَابُ الشَّدِيدُ.

٤- أَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ دَارَ قَرَارٍ، وَأَنَّ نَعِيمَهَا زَائِلٌ.

٥- أَنَّ الْمُجْرِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ لَنْ يُؤْمِنُوا بِالْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ وَالذَّعَوَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

المناقشة

١ - أَجِبْ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

أ- يذكر الله تعالى في هذه الآيات ثلاث نِعَمٍ تكونُ للمتقين يوم القيامة. ما هي؟

ب- مَنْ الْمُخَاطَبُ فِي الْآيَتَيْنِ الْآتِيَتَيْنِ:

(١) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟

(٢) ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾؟

(٣) مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾؟

(٤) مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾؟

(٥) مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾؟

٢ - اذْكُرْ مَعَانِيَ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ:

ظِلَالٌ - عُيُونٌ - فَوَاكِهُ - يَشْتَهُونَ - نَجْزِي - وَيُلُّ.

٣ - هَاتِ مَفْرَدَ الْأَسْمَاءِ الْآتِيَةِ:

ظِلَالٌ - عُيُونٌ - فَوَاكِهُ - مُتَّقُونَ - مُحْسِنُونَ - مُجْرِمُونَ - مُكَذِّبُونَ.

٤ - هَاتِ الْمُضَارِعَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْآتِيَةِ:

اِسْتَهَى - جَزَى - تَمَتَّعَ - قَالَ.

٥ - اذْكُرْ مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

فَصْلُ الْعِفَّةِ وَغَضِّ الْبَصَرِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِجُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣١)

سُورَةُ النُّورِ: [٣٠ - ٣١].

(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ: يَحْفَظُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ حَتَّى لَا يَنْظُرُوا إِلَى نِسَاءٍ لَا يَحِلُّ لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِنَّ.

وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ: يَصُونُونَهَا مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا وَذَلِكَ يَكُونُ بِسِتْرِهَا، وَمِنْ إِيَّانِ الْفَاحِشَةِ؛ الزَّنا وَاللَّوَاطِ.

أَزْكَى لَهُمْ: أَكْثَرُ تَرْكِیَّةٍ لِنُفُوسِهِمْ مِنْ فِعْلِ الْمُنْذُوبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ.

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ: مَوَاضِعَ الزَّيْنَةِ؛ (السَّاقَيْنِ) حَيْثُ يُوَضَّعُ الْخَلْخَالُ، وَ(الْكَفَّيْنِ وَالذَّرَاعَيْنِ) حَيْثُ الْأَسَاوِرُ وَالْخَوَاتِمُ وَالْحِنَاءُ، وَ(الرَّأْسِ) حَيْثُ الشَّعْرُ وَالْأَقْرَاطُ فِي الْأُذُنَيْنِ، وَالتَّرْجِيحُ فِي الْحَاجِبَيْنِ وَالْكُحْلُ فِي الْعَيْنَيْنِ، وَ(الْعُنُقِ وَالصَّدْرِ) حَيْثُ السَّخَابُ وَالْقَلَائِدُ.

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: أَيِ بِالضَّرُورَةِ دُونَ اخْتِيَارٍ، وَذَلِكَ كَالْكَفَّيْنِ لَتَنَاوُلِ شَيْءٍ، وَالْعَيْنِ الْوَاحِدَةِ أَوْ الْإِثْنَيْنِ لِلنَّظَرِ بِهِمَا، وَالثِّيَابِ الظَّاهِرَةِ كَالْخِمَارِ وَالْعَبَاءَةِ.

يُحْمَرُهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ: أَيِ وَلِتَضْرِبِ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ الْحُرَّةُ بِخِمَارِهَا عَلَى جُيُوبٍ - أَيِ فَتَحَاتٍ - الثِّيَابِ فِي الصَّدْرِ وَغَيْرِهِ؛ حَتَّى لَا يَبْدُوَ شَيْءٌ مِنْ جِسْمِهَا.

إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ: الْبُعْلُ الزَّوْجُ وَالْجَمْعُ بُعُولٌ وَبُعُولَةٌ. **أَوْ نِسَائِهِنَّ:** أَيِ الْمُسْلِمَاتِ، فَيُخْرِجُ الذَّمِّيَّاتُ، فَلَا تَتَكَشَّفُ الْمُسْلِمَةُ أَمَامَهُنَّ.

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ: أَيِ الْعَبِيدِ وَالْجَوَارِي، فَلِلْمُسْلِمَةِ أَنْ تَكْشِفَ وَجْهَهَا لِخَادِمِهَا الْمَمْلُوكِ.

أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ: أَيِ التَّابِعِينَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ يُطْعَمُونَهُمْ وَيُسْكِنُونَهُمْ مِمَّنْ لَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى النِّسَاءِ.

أَوِ الطِّفْلِ: أَيِ الْأَطْفَالِ الصَّغَارِ قَبْلَ التَّمْيِيزِ وَالْبُلُوغِ. **لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ:** لَمْ يَبْلُغُوا سِنًا تَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِطْلَاعِ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لِلتَّلَذُّذِ بِهِنَّ.

مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ: أَيِ الْخَلَاخِلِ فِي الرَّجْلَيْنِ.

تُقْلِحُونَ: تَفُوزُونَ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْعَارِ وَالنَّارِ ، وَبِالظَّفَرِ بِالطُّهْرِ وَالشَّرَفِ وَعَالِي الْغُرْفِ فِي دَارِ النَّعِيمِ.

(ب) الْإِعْرَابُ:

تَأَمَّلْ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مَا يَأْتِي:

١- ﴿قُلْ﴾: فِعْلٌ أَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ، وَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ وَجُوبًا، تَقْدِيرُهُ: أَنْتَ، يَعُودُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. وَمَقُولُ الْقَوْلِ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ؛ لِدَلَالَةٍ جَوَابِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ: ﴿يَغْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾.

٢- ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: اسْمٌ مَجْرُورٌ بِإِلْيَاءٍ؛ لِأَنَّهُ جَمْعٌ مُذَكَّرٌ سَالِمٌ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ

بِـ ﴿قُلْ﴾. وَ(الْمُؤْمِنُونَ) اسْمٌ فَاعِلٌ مُشْتَقٌّ مِنْ: (آمَنَ يُؤْمِنُ)؛ وَذَلِكَ بِقَلْبِ حَرْفِ الْمُضَارَعَةِ مِيمًا مَضْمُومَةً، وَكَسْرٍ مَا قَبْلَ الْآخِرِ، نَحْوُ: أَسْلَمَ يُسْلِمُ مُسْلِمٌ - أَكْرَمَ يُكْرِمُ مُكْرِمٌ - أَعْطَى يُعْطِي مُعْطٍ - أَنْفَقَ يُنْفِقُ مُنْفِقٌ - أَغْنَى يُغْنِي مُغْنٍ.

٣- ﴿يَغْضُوا﴾: فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْرُومٌ بِالطَّلَبِ السَّابِقِ وَعَلَامَةٌ جَزْمِهِ حَذْفُ النُّونِ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَفْعَالِ (الْأَمْثَلَةِ) الْخَمْسَةِ، وَالْوَاوُ ضَمِيرٌ مَبْنِيٌّ فِي مَحَلِّ رَفْعِ فَاعِلٍ.

٤- ﴿مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾: يَجُوزُ فِي (مِنْ) أَنْ تَكُونَ زَائِدَةً، أَيْ: يَغْضُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ تَبْعِيضِيَّةً؛ أَيْ: يَغْضُوا بَعْضَ الْبَصَرِ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُ حَلَالٌ لَا أَغْضُ عَنْهُ بَصَرِي، كَالنَّظَرِ إِلَى الْمَحَارِمِ،

وَبَعْضُهُ مُحَرَّمٌ لَا أَنْظَرُ إِلَيْهِ. وَ(أَبْصَرَ) اسْمٌ مَجْرُورٌ بِ(مِنْ) وَعَلَامَةُ جَرِّهِ
الْكَسْرَةُ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِ(يَغْضُوا). وَ(الهاءُ) مِنْ (أَبْصَرِهِمْ)
ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْكَسْرِ فِي مَحَلِّ جَرٍّ مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَالْيَمِيمُ بَعْدَهُ
حَرْفٌ لِجَمْعِ الذُّكُورِ.

٥- ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: فَعْلٌ وَفَاعِلٌ وَمَفْعُولٌ بِهِ، مَعْطُوفٌ عَلَى
﴿يَغْضُوا﴾ عَلَى كَوْنِهِ مَجْزُومًا بِالطَّلَبِ.

٦- ﴿ذَلِكَ أَزْكَى﴾: (ذَا) اسْمٌ إِشَارَةٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ
مُبْتَدَأً، وَاللَّامُ مِنْ (ذَلِكَ) حَرْفٌ يُفِيدُ الْبُعْدَ تَعْظِيمًا لِلْأَخْلَاقِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا.
وَ(أَزْكَى) خَبَرٌ الْمُبْتَدَأِ مَرْفُوعٌ وَعَلَامَةُ رَفْعِهِ الضَّمَّةُ الْمُقَدَّرَةُ، مَنَعَ مِنْ ظُهُورِهَا
التَّعَدُّرُ.

٧- ﴿يَغْضُضْنَ﴾: مُضَارِعٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ؛ لِاتِّصَالِهِ بِنَوْنِ النِّسْوَةِ
فِي مَحَلِّ جَزْمٍ جَوَابُ الطَّلَبِ، وَ(النُّونُ) ضَمِيرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْفَتْحِ فِي مَحَلِّ
رَفْعِ فَاعِلٍ.

٨- ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: (الواوُ) حَرْفٌ عَطْفٍ، وَ(لَا) نَاهِيَةٌ،
وَ(يُبْدِينَ) عَطْفٌ عَلَى (يَغْضُضْنَ) فَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ؛ لِاتِّصَالِهِ بِنَوْنِ
النِّسْوَةِ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ بِ(لَا) النَّاهِيَةِ، وَ(النُّونُ) فَاعِلٌ، وَ(زِينَتَهُنَّ) مَفْعُولٌ بِهِ.

٩- ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾: (الواوُ) عَاطِفَةٌ، وَ(اللَّامُ) لَامُ الْأَمْرِ، وَ(يَضْرِبْنَ) فِعْلٌ
مُضَارِعٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ بِاللَّامِ وَ(النُّونُ) فَاعِلٌ.

١٠- ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: (إِلَّا) أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ مُفَرَّغٌ، وَ(لِبُعُولَتِهِنَّ) جَارٌ
وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقَانِ بِ(يُبْدِينَ)، وَ(الهاءُ) ضَمِيرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْكَسْرِ فِي مَحَلِّ
جَرٍّ مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَ(النُّونُ) حَرْفٌ لِجَمْعِ الْإِنَاثِ.

(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ أَيُّ مُرْيَا رَسُولُنَا الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ؛ أَيُّ بِأَنْ يَحْفَظُوا أَجْفَاءَهُمْ عَلَى أَعْيُنِهِمْ حَتَّى لَا يَنْظُرُوا إِلَى الْأَجْنِيَّاتِ عَنْهُمْ مِنَ النِّسَاءِ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا، فَلَا يَكْشِفُوهَا لِأَحَدٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الزَّوْجِ لِرُؤُوسِهِ، فَلَا حَرَجَ، وَعَدَمَ النَّظَرِ أَوَّلَى وَأَطْيَبُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ أَيُّ أَطْهَرُ لِنَفْسِهِمْ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فَلْيُرَاقِبُوهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ الْمَأْمُورِ بِهِ مِنْ غَضِّ الْبَصَرِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ، إِنَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ أَيُّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ مِنْ عَوْرَاتِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَأَنْ يَغْضُضْنَ بَصَرَهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الرِّجَالِ الْأَجَانِبِ عَنْهُنَّ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلَى بِهِنَّ وَأَلْيَقُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أَيُّ وَأَنْ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَعَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ، وَعَنْ أَنْ يَرَاهُنَّ أَحَدٌ، وَلَا يُظْهِرْنَ شَيْئًا مِنَ الزَّيْنَةِ لِلْأَجَانِبِ إِلَّا مَا لَا يُمْكِنُ إِخْفَاؤُهُ كَالرِّدَاءِ وَالثِّيَابِ وَالْخَلْخَالِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أَيُّ وَأَنْ يُلْقِينَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى فَتَحَاتِ ثِيَابِهِنَّ عِنْدَ الصُّدُورِ (جُيُوبِهِنَّ)؛ لِيَسْتُرْنَ بِذَلِكَ

شُعُورُهُنَّ وَأَعْنَاقَهُنَّ وَصُدُورَهُنَّ؛ حَتَّى لَا يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أَعَادَ اللَّفْظَ لِيَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْمَحَارِمِ الَّذِي يُبَاحُ لِلْمُؤْمِنَةِ أَنْ تُبْدِيَ زِينَتَهَا إِلَيْهِمْ وَهُمْ الزَّوْجُ، وَالْأَبُ، وَالْجَدُّ وَإِنْ عَلَا، وَأَبُ الزَّوْجِ وَإِنْ عَلَا، وَابْنُهَا وَإِنْ سَفَلَ، وَأَبْنَاءُ الزَّوْجِ وَإِنْ نَزَلُوا، وَالْأَخُ لِأَبٍ أَوْ الشَّقِيقُ أَوْ لِأُمٍّ وَأَبْنَاؤُهُ وَإِنْ نَزَلُوا، وَابْنُ الْأَخِ وَإِنْ نَزَلَ، وَسَوَاءٌ كَانَ لِأَبٍ أَوْ لِأُمٍّ أَوْ شَقِيقًا، وَابْنُ الْأُخْتِ شَقِيقَةً أَوْ لِأَبٍ أَوْ لِأُمٍّ. وَالْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ مِنْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ، وَعَبْدُهَا الْمَمْلُوكُ لَهَا دُونَ شَرِيكِهَا فِيهِ، وَالتَّابِعُ لِأَهْلِ بَيْتِهَا مِنْ شَيْخٍ هَرِمٌ أَصَابَهُ الْخَرَفُ، وَعَيْنٍ، وَمَعْتُوهُ، وَطِفْلٍ صَغِيرٍ لَمْ يُمَيِّزْ دُونَ الْبُلُوغِ، مِمَّنْ لَا حَاجَةَ لَهُمْ فِي النِّسَاءِ؛ لِعَدَمِ الشَّهْوَةِ عِنْدَهُمْ، لِكِبَرِهِ وَمَرَضِهِ وَصِغَرِهِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ نَهَى تَعَالَى الْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَضْرِبْنَ الْأَرْضَ بِأَرْجُلِهِنَّ الَّتِي فِيهَا الْخَلَاخِلُ لِكَيْ يَعْلَمَ أَنَّهَا ذَاتُ زِينَةٍ فِي رِجْلِهَا، فَلَا يَحِلُّ لَهَا ذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ تَقْصِدْ إِظْهَارَ زِينَتِهَا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أَمَرَ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالتَّوْبَةِ، وَهِيَ تَرْكُ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُغْضِبَ اللَّهَ تَعَالَى، وَفِعْلُ مَا وَجَبَ فِعْلُهُ، وَمِنْ ذَلِكَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَحِفْظُ الْفَرْجِ، وَالِاتِّزَامُ بِالْعِفَّةِ وَالسَّتْرِ، وَالتَّنْزُّهُ عَنِ الْإِثْمِ صَغِيرِهِ وَكَبِيرِهِ، وَبِذَلِكَ يَتَأَهَّلُ الْمُؤْمِنُونَ لِلْفَلَاحِ الَّذِي هُوَ الْفَوْزُ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ، وَالظَّفَرُ بِالْمَحْبُوبِ الْمَرْغُوبِ.

(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ:

- ١- وَجُوبُ غَضِّ الْبَصَرِ وَحِفْظِ الْفَرْجِ.
- ٢- وَجُوبُ سِتْرِ الْمَرْأَةِ زِينَتَهَا وَمَوَاضِعَ ذَلِكَ، مَا عَدَا مَا يَتَعَذَّرُ سِتْرُهُ لِلضَّرُورَةِ.
- ٣- بَيَانُ الْمَحَارِمِ الَّذِينَ لِلْمَرْأَةِ الْمُؤْمِنَةِ أَنْ تُبْدِيَ زِينَتَهَا عَنْدهُمْ بِإِلَّا حَرَجٍ.
- ٤- الرُّخْصَةُ فِي إِظْهَارِ الزَّيْنَةِ لِلْهَرَمِ الْمُخْرِفِ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمَعْتُوهِ، وَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ عَنْ عَوَرَاتِ النِّسَاءِ شَيْئًا.
- ٥- حُرْمَةُ ضَرْبِ ذَاتِ الْخَلَاخِلِ الْأَرْضِ بِرِجْلِهَا؛ حَتَّى لَا يُعْلَمَ مَا تُخْفِي مِنْ زِينَتِهَا.
- ٦- وَجُوبُ التَّوْبَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَعَلَى الْفَوْرِ لِلْحُصُولِ عَلَى الْفَلَاحِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ.



المناقشة

١ - أَجِبْ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

أ- جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْوَاجِبَاتِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ. اذْكُرْهَا.

ب- مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾؟

ج- مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾؟

د- مَا مَعْنَى: ﴿بُعُولَتِهِنَّ﴾؟

هـ- مَا مَعْنَى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ﴾؟

٢ - هَاتِ مُفْرَدَ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ:

خُمْرٌ - جُيُوبٌ - بُعُولَةٌ - عَوْرَاتٌ - التَّابِعُونَ - أَخَوَاتٌ - أَرْجُلٌ - الْمُؤْمِنُونَ.

٣ - هَاتِ الْمُضَارِعَ وَالْمَصْدَرَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْآتِيَةِ:

قَالَ - غَضَّ - حَفِظَ - صَنَعَ - أَبْدَى - ضَرَبَ - ظَهَرَ - تَابَ - آمَنَ - أَفْلَحَ.

٤ - اسْتَخْرِجْ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَأْتِي:

أ- فِعْلًا مَجْزُومًا بِ (لَا) النَّاهِيَةِ، وَآخَرَ مَجْزُومًا بِ (لَا م) الْأَمْرِ.

ب- إِسْمَ فَاعِلٍ.

ج- أُسْلُوبَ اسْتِثْنَاءٍ.

د- فِعْلًا مِنَ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ.

٥ - اذْكُرْ مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

وَصَايَا لُقْمَانَ لِابْنِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقِصْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

سُورَةُ لُقْمَانَ: [١٣ - ١٩].



(أ) مَعَايِي الْكَلِمَاتِ:

يَعِظُهُ: يُرْشِدُهُ وَيَنْصَحُهُ وَيُوصِيهِ / (وَعِظَ يَعِظُ عِظًا)، وَالْمَصْدَرُ:
وَعِظٌ وَعِظَةٌ. وَالْوَعْظُ هُوَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ مَقْرُونًا بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ.
لُظْلَمَ: الظُّلْمُ مَصْدَرٌ ظَلَمَ، وَهُوَ وَضَعَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
وَتَجَاوَزَ الْحَقَّ.

وَهَنًا: مَصْدَرٌ (وَهَنَ يَهِنُ). وَالْوَهْنُ: الضَّعْفُ وَالْمَشَقَّةُ.
وَصَيْنَا: أَمَرْنَا وَفَرَضْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ طَاعَةَ وَالِدَيْهِ.
فِصْلُهُ: فِطَامُهُ مِنَ الرِّضَاعَةِ.
الْمَصِيرُ: الْمَرْجِعُ، وَالْعَاقِبَةُ.
جَاهِدَاكَ: عَزَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ بِهِ.
صَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا: أَحْسَنَ إِلَيْهِمَا فِي صُحْبَتِكَ إِيَّاهُمَا.
سَبِيلُ: طَرِيقُ.

أَنَابَ: رَجَعَ وَتَابَ.
فَأَنبَيْتُكُمْ: أَخْبَرْتُكُمْ وَأَحَاسِبُكُمْ.
مِثْقَالُ حَبَّةٍ: وَزْنُ حَبَّةٍ.
خَرْدَلٍ: نَبَاتٌ تُسْتَعْمَلُ بُذُورُهُ فِي الْعِلَاجِ وَالطَّعَامِ، وَحَبُّهُ أَصْغَرُ الْحُبُوبِ.
صَخْرَةٌ: الْجَمْعُ: صَخَرَاتٌ، وَهِيَ الْحِجَارَةُ.

لَطِيفٌ: إِسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى: عَلِيمٌ بِخَفَايَا
الْأُمُورِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ وَإِنْ كَانَتْ صَغِيرَةً.
الْمَعْرُوفُ: أَوْامِرُ الشَّرْعِ وَأَعْمَالُ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ.

الْمُنْكَرِ: الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَتَّفِقُ وَتَعَالِيمِ الشَّرْعِ.
أَصَابَكَ: نَزَلَ بِكَ مِنَ الْمَصَائِبِ.
عَزَمَ الْأُمُورِ: هِيَ الْأُمُورُ الَّتِي لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالصَّبْرِ وَالْعَزْمِ لِعِظَمِهَا.
تُصَعِّرُ: تُعْرِضُ بِوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ تَكْبَرًا وَاحْتِقَارًا لَهُمْ.
خَذَكَ: اخَذَ جَانِبَ الْوَجْهِ.
مَرَحًا: فِي حَالِ الْعُجْبِ وَالِاخْتِيَالِ.
مُحْتَالٍ: مُعْجَبٌ بِنَفْسِهِ.
فَخُورٍ: مُتَكَبِّرٍ عَلَى غَيْرِهِ. عَلَى وَزْنِ فَعُولٍ، مِنَ الْفَخْرِ، وَهَذِهِ صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ.
أَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ: اَمْشِ مَشْيًا مُقْتَصِدًا لَيْسَ بِالْبَطِيِّ وَلَا بِالسَّرِيعِ بَلْ وَسَطًا.
أَعْضُضْ: اخْفِضْ، فَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ.
أَنْكَرَ: أَقْبَحَ.
الْأَصَوَاتِ: جَمْعٌ، مُفْرَدُهُ: صَوْتُ.
الْحَمِيرِ: جَمْعٌ، مُفْرَدُهُ: حِمَارٌ.

(ب) الْإِعْرَابُ:

تَأْمَلْ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مَا يَلِي:

١- ﴿يُبْنَى﴾: (يَا) حَرْفُ نِدَاءٍ يُسْتَعْمَلُ فِي الْمُنَادَى الْبَعِيدِ،
 وَ(بُنِيَ): مُنَادَى وَهُوَ تَصْغِيرُ (ابْنٍ) أَضِيفَ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، فَحُكْمُهُ
 النَّصْبُ وَعَلَامَةُ نَصْبِهِ فَتْحَةُ مُقَدَّرَةٍ عَلَى مَا قَبْلَ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

٢- ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: (لَا) النَّاهِيَةُ مِنْ جَوَازِمِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ. ﴿تُشْرِكُ﴾ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ بِـ (لَا) النَّاهِيَةِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾، ﴿وَلَا تَمْشِ﴾.

٣- ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾: ﴿ظَلَمَ﴾ هَذِهِ اللَّامُ تُسَمَّى اللَّامِ الْمُزَحَلَّةَ زُحِلَتْ مِنَ الْمُبْتَدَأِ إِلَى خَبَرِ (إِنَّ)، وَفَائِدَتُهَا: تَوْكِيدَ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ، وَمِنْ شَوَاهِدِهَا أَيْضًا فِي الْآيَاتِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾. وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ لَهَا، مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الأنفطار: ١٣-١٤].

٤- ﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ﴾: أَصْلُ الْفِعْلِ (تَكُنْ) وَحُذِفَتِ النُّونُ لِلتَّخْفِيفِ. وَيَجُوزُ حَذْفُهَا بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْفِعْلُ مُضَارِعٌ (كَانَ) النَّاقِصَةُ وَمَجْزُومًا، وَلَا يَلِيهَا سَاكِنٌ. فَلَا تُحَذَفُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١].

(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ وَيَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لَوْلَدِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ، فَهُوَ أَشْفَقُ النَّاسِ عَلَيْهِ وَأَحَبُّهُمْ لَهُ، فَهُوَ يُوصِيهِ بِأَفْضَلِ مَا يَعْرِفُ. فَأَوْصَاهُ أَوَّلًا بِأَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا. ثُمَّ قَالَ مُحَذِّرًا لَهُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، أَيُّ: هُوَ أَعْظَمُ الظُّلْمِ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ **﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾**، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ رضي الله عنه، وَقَالُوا: أَئِنَّا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: **﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**».

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾** قَرَنَ اللَّهُ ﷻ وَصِيَّتَهُ إِيَّاهُ بَأَنْ يُعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِالْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾**. وَالْوَهْنُ التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ وَقِيلَ: الضَّعْفُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ﴾** أَيِ وَتَرْبِيَّتُهُ وَإِرْضَاعُهُ بَعْدَ وَضْعِهِ فِي عَامَيْنِ، وَاللَّهُ ﷻ يَذْكُرُ الْوَالِدَةَ وَحَمْلَهَا وَتَرْبِيَّتَهَا وَسَهَرَهَا؛ لِيُذَكِّرَ الْوَلَدَ إِحْسَانَهَا الْمُتَقَدِّمَ إِلَيْهِ. وَلِهَذَا قَالَ: **﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَّا الْوَلَدُ الْمَكْرُورُ﴾**، أَيِ: إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَإِنِّي سَأَجْزِيكَ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾** أَيِ: إِنْ حَرَصَا عَلَيْكَ كُلَّ الْحَرْصِ عَلَى أَنْ تُتَابِعَهُمَا عَلَى دِينِهِمَا فَلَا تَقْبَلْ مِنْهُمَا ذَلِكَ، وَلَا يَمْنَعُكَ ذَلِكَ أَنْ تُصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِمَا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: **﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾** أَيِ: اتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ. **﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** أَيِ ثُمَّ تُرْجَعُونَ إِلَيَّ فَأَعْلِمُكُمْ بِأَعْمَالِكُمُ الَّتِي عَمِلْتُمُوهَا فِي الدُّنْيَا وَأَجْازِيكُمْ عَلَيْهَا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ أَيُّ أَنَّ الْمَظْلَمَةَ أَوْ الْخَطِيئَةَ - وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ وَكَانَتْ مَخْفِيَةً فِي صَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ - يُخْضِرُهَا اللَّهُ ﷻ حِينَ يَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ وَيُجَازِي عَلَيْهَا، فَلَا تَغِيبُ عَنْهُ وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أَيُّ عَلِيمٌ بِخَفَايَا الْأُمُورِ لَطِيفُ الْعِلْمِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْأَشْيَاءُ وَإِنْ دَقَّتْ وَلَطَفَتْ، ﴿خَبِيرٌ﴾ بِدَيِّبِ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. فَمَا بِالْكَ بغيره؟!

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أَمْرٌ مِّنْ لِّقَمَانَ الْحَكِيمِ لِابْنِهِ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَأَدَائِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ. ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أَيُّ أَفْعَلْ ذَلِكَ حَسَبَ طَاقَتِكَ وَجَهْدِكَ وَأَنْتَ مُكَلَّفٌ بِذَلِكَ. ﴿وَأُصِرُّ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ مِنَ النَّاسِ أَذًى، فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ. ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أَيُّ إِنَّ الصَّبْرَ عَلَىٰ أَذَى النَّاسِ لَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَأْتِي إِلَّا بِالْعَزْمِ وَقُوَّةِ التَّحْمُلِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أَيُّ لَا تُعْرِضْ بِوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ إِذَا كَلَّمْتَهُمْ أَوْ كَلَّمُوكَ احْتِقَارًا مِنْكَ لَهُمْ وَاسْتِكْبَارًا عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ كُنْ لَيْنًا مَعَهُمْ مَبْسُوطَ الْوَجْهِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أَيُّ لَا تَمْشِ مُتَكَبِّرًا جَبَّارًا عَنِيدًا؛ لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ يُبْغِضَكَ اللَّهُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ مَُّعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَخُورٍ عَلَى غَيْرِهِ مُتَكَبِّرٍ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أَيِ امْشِ مُقْتَصِدًا مَشْيًا لَيْسَ بِالْبَطِيءِ الْمُتَبَطِّطِ وَلَا بِالسَّرِيعِ الْمُفْرِطِ، بَلْ عَدْلًا وَسَطًا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أَيُّ لَا تُبَالِغْ فِي الْكَلَامِ وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ فَهُوَ أَقْبَحُ الْأَصْوَاتِ. فَهَذِهِ وَصَايَا نَافِعَةٌ جَدًّا، وَهِيَ مِنْ قَصَصِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَنْ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ فِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ وَإِرْشَادِ الْأَبَاءِ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ:

- ١- عَدَمُ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ، وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَهِيَ أَعْظَمُ الْوَصَايَا.
- ٢- الْبِرُّ بِالْوَالِدَيْنِ، وَالتَّذَكُّيرُ بِفَضْلِهِمَا السَّابِقِ.
- ٣- التَّمَسُّكُ بِالدِّينِ وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَيْهِ مَهْمَا كَانَتْ دَوَاعِي الْهَدْمِ، وَلَوْ أَمَرَهُ وَالِدَاهُ بِالشُّرْكِ.
- ٤- الْأَمْرُ بِاتِّبَاعِ طَرِيقِ الْمُنِيبِينَ إِلَى رَبِّهِمُ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ.
- ٥- التَّذَكُّيرُ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ.
- ٦- الْأَمْرُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالْقِيَامُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.
- ٧- النَّهْيُ عَنِ التَّكَبُّرِ وَالِاخْتِيَالِ.
- ٨- الْأَمْرُ بِالْإِعْتِدَالِ فِي الْمَشْيِ وَخَفْضِ الصَّوْتِ.

المناقشة

١- أَجِبْ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

أ- اِسْتَمَلَتِ الْآيَاتُ عَلَى وَصَايَا نَافِعَةٍ، فَلِمَنْ هَذِهِ الْوَصَايَا؟
وَمِمَّنْ هِيَ؟ اذْكُرْ هَذِهِ الْوَصَايَا.

ب- مَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وَمَا
نَوْعُ اللَّامِ فِي ﴿لَظُلْمٌ﴾؟

ج- مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾؟

د- مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْ اِئْتِهَآ اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ
فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَآتٍ بِهَا اللّٰهُ﴾؟ وَلِمَاذَا
حُذِفَتِ النُّونُ مِنْ ﴿تَكُ﴾؟ وَمَا حُكْمُ هَذَا الْحَذْفِ؟ وَمَتَى يَكُونُ؟

٢- هَاتِ جَمْعَ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ:

سَبِيلٌ - صَخْرَةٌ - حِمَارٌ - صَوْتُ.

٣- هَاتِ الْمُضَارِعَ وَالْأَمْرَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْآتِيَةِ:

صَبَرَ - قَصَدَ - غَضَّ - أَنَابَ - أَمَرَ - نَهَى.

٤- لِمَاذَا جُرِزَتِ الْأَفْعَالُ الْآتِيَةُ: (تُشْرِكُ - تُطِعُهُمَا - تُصَعِّرُ -

تَمْشِ)؟ وَمَا عَلَامَةُ جَزْمِ كُلِّ مِنْهَا؟

٥- اذْكُرْ مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ

صِفَاتُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّقِينَ إِمَامًا ۝ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ: [٦٣ - ٧٧].

(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

هُونًا: الهُون: السَّكِينَةُ والوَقَارُ، تَقُولُ: فُلَانٌ يَمْشِي هُونًا، أَي: يَمْشِي بِوَقَارٍ وَتَوَاضِعٍ.

خَاطَبَهُمْ: خَاطَبَ فُلَانًا يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، أَي: وَجَّهَ إِلَيْهِ كَلَامًا.

الْجَهْلُونَ: رَجَمَعَ مُفْرَدُهُ جَاهِلٌ، وَهُوَ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ (جَهَلَ يَجْهَلُ جَهْلًا)، وَلَهُ مَعْنَيَانِ:

١- ضِدُّ الْعِلْمِ. تَقُولُ: فُلَانٌ يَجْهَلُ كَذَا، أَي لَا يَعْرِفُهُ.

٢- ضِدُّ الْحِلْمِ. تَقُولُ: جَهْلَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ، أَي تَسَافَهَ عَلَيْهِ وَأَسَاءَ إِلَيْهِ وَالْمُرَادُ فِي الْآيَةِ الْمَعْنَى الثَّانِي.

قَالُوا سَلَامًا: يَقُولُونَ لِلْجُحَّالِ كَلَامًا يَدْفَعُونَهُمْ بِهِ بَرْفَقٍ وَلِينٍ وَبِأَدَبٍ مُقَابِلَ السَّفَهَةِ.

يَبْيِثُونَ: بَاتَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ: فَعَلَهُ لَيْلًا. وَبَاتَ فِي مَكَانٍ كَذَا: قَضَى فِيهِ اللَّيْلَ. وَالْمُرَادُ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ.

سَجَدًا: مُفْرَدُهُ سَاجِدٌ، وَمِثْلُهُ: رُكَّعٌ جَمْعُ رَاكِعٍ، وَتَوَرُّمٌ جَمْعُ نَائِمٍ.

وَقِيْلَمًا: جَمْعُ قَائِمٍ، مِثْلُ: صِيَامٌ جَمْعُ صَائِمٍ.

أَصْرَفَ: فِعْلٌ دُعَاءٍ مِنْ (صَرَفَ يَصْرِفُ) صَرَفَ الشَّيْءَ: رَدَّهُ مِنْ وَجْهِهِ وَأَبْعَدَهُ عَنْهُ.

غَرَامًا: الْغَرَامُ الْمُلَازِمُ الدَّائِمُ.

سَاءَتْ: (سَاءَ) فِعْلٌ يُسْتَعْمَلُ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ كَ (بِئْسَ). يُقَالُ: سَاءَ مَا فَعَلْتَ. وَضِدُّهُ (حَسَنَ).

- مُسْتَقَرًّا:** الْمُسْتَقَرُّ: الْمَنْزِلُ، وَهُوَ اسْمُ مَكَانٍ مِنْ (اسْتَقَرَّ).
- وَمُقَامًا:** أَقَامَ فِي الْمَكَانِ: سَكَنَ فِيهِ. الْمُقَامُ: مَحَلُّ السَّكَنِ وَالْإِقَامَةِ.
- أَنْفَقُوا:** أَنْفَقَ الْمَالُ: بَذَلَهُ وَصَرَفَهُ.
- يُسْرِفُوا:** أَسْرَفَ فِي إِنْفَاقِ الْمَالِ: بَذَرَهُ وَأَضَاعَهُ فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ. مَصْدَرُهُ: إِسْرَافٌ.
- يَقْتَرُوا:** (قَتَرَ يَقْتَرُ قَتْرًا)، وَ(قَتَرَ يَقْتَرُ قُتُورًا)، وَ(قَتَرَ يَقْتَرُ تَقْتِيرًا) وَ(أَقْتَرَ يَقْتَرُ إِقْتَارًا) بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَهُوَ الْبُحْلُ وَالتَّضْيِيقُ فِي النَّفَقَةِ.
- قَوَامًا:** عَدْلًا وَسَطًا.
- أَثَامًا:** الْأَثَامُ: جَزَاءُ الْآثِمِ؛ عِقَابُهُ.
- يُضَعَفُ:** ضِعْفُ الشَّيْءِ أَوْ الْعَدَدِ مِثْلُهُ، ضِعْفُ الْوَاحِدِ (اثنان)، وَضِعْفُ الْعَشْرَةِ (عِشْرُونَ). وَجَمْعُ (ضِعْفٍ) أَضْعَافٌ، وَضَاعَفَ الشَّيْءَ: جَعَلَهُ أَضْعَافًا.
- مُهَانًا:** اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ (أَهَانَ يَهِينُ)، وَالْمَعْنَى: مُحْتَقَرًا ذَلِيلًا.
- تَاب:** رَجَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَرَكَ هَذِهِ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ.
- يُبَدِّلُ:** بَدَّلَ الشَّيْءَ شَيْئًا آخَرَ: جَعَلَهُ مَكَانَهُ.
- سَيِّئَاتِهِمْ:** السَّيِّئَاتُ مُفْرَدُهَا سَيِّئَةٌ، وَهِيَ: الْعَمَلُ الَّذِي يُذَمُّ فَاعِلُهُ، وَضِدُّ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةُ.
- مَتَابًا:** مَصْدَرٌ مِمِّيٌّ مِنْ (تَابَ يَتُوبُ) أَيْ تَوْبَةً نَصُوحًا صَادِقَةً.
- الزُّور:** الْكَذِبُ وَالْبُهْتَانُ.
- بِاللَّغْوِ:** الْبَاطِلِ السَّاقِطِ مِنَ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ.

كِرَامًا: أَي يُكْرِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِابْتِعَادِهِمْ عَنِ اللَّغْوِ، وَهُوَ جَمْعُ كَرِيمٍ.
لَمْ يَخْرُؤْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمِيَانًا: أَي لَمْ تَصَمَّ أَذَانُهُمْ وَلَمْ تَعَمَّ أَبْصَارُهُمْ عِنْدَ سَمَاعِهِمُ التَّذْكِيرَ بِآيَاتِ اللَّهِ، بَلْ يَخْرُونَ سُجَّدًا وَبُكْيًا. وَكَلِمَةُ (صُمٌّ) جَمْعُ أَصَمٍّ، وَهُوَ مَنْ لَا يَسْمَعُ، وَ(عُمِيَانٌ) جَمْعُ أَعْمَى وَهُوَ مَنْ لَا يُبْصِرُ.
هَبْ: فِعْلٌ دُعَاءٍ مِنْ (وَهَبَ يَهَبُ) أَي: أَعْطِنَا، وَامْنَحْنَا.
قُرَّةَ أَعْيُنٍ: حُصُولُ الرِّضَا وَمَا يَسُرُّ النَّاظِرِينَ.
الْعُرْفَةُ: الدَّرَجَةُ الرَّفِيعَةُ، وَهِيَ أَعْلَى مَنَازِلِ الْجَنَّةِ وَأَفْضَلُهَا.
تَحِيَّةً: مَصْدَرٌ (حَيَّ يُحْيِي) أَي: سَلَّمَ يُسَلِّمُ.
مَا يَعْبُؤُ: مَا يُبَالِي. وَالْعَبَاءُ: الثَّقْلُ.
لِزَامًا: لِأَزْمًا، مُلَازِمًا جِدًّا، ثَابِتَ الْوُقُوعِ.

(ب) الإِعْرَابُ:

تأمل في الآياتِ الْكَرِيمَةِ مَا يَأْتِي:

- ١- ﴿يَبْتَئُونَ﴾: (بَاتَ يَبِيتُ) مِنْ أَخَوَاتِ (كَانَ)، تَرْفَعُ الْمُبْتَدَأَ وَتَنْصِبُ الْخَبَرَ، **نَحْوُ:** مُحَمَّدٌ قَائِمٌ - بَاتَ مُحَمَّدٌ قَائِمًا.
- ٢- ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: الْمُسْتَقَرُّ اسْمُ مَكَانٍ مِنْ: (اسْتَقَرَّ، يَسْتَقِرُّ). وَالْمُقَامُ اسْمُ مَكَانٍ مِنْ (أَقَامَ، يُقِيمُ). يَكُونُ اسْمُ الْمَكَانِ مِنَ الْفِعْلِ غَيْرِ الثَّلَاثِيِّ الْمَجْرَدِ عَلَى وَزْنِ اسْمِ الْمَفْعُولِ، **نَحْوُ:** مُجْتَمَعٌ، مُسْتَشْفَى، مُسْتَقَرٌّ، مُقَامٌ. وَيَكُونُ مِنَ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمَجْرَدِ عَلَى وَزْنِ (مَفْعَلٍ) وَ(مَفْعِلٍ)، **نَحْوُ:** مَسْجِدٍ، مَنْزِلٍ، مَجْلِسٍ، مَلْعَبٍ، مَكْتَبٍ، مَسْكَنٍ.

٣- ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾: (مَنْ) اسْمُ شَرْطٍ يَجْزِمُ فِعْلَيْنِ؛ الْأَوَّلُ: فِعْلُ الشَّرْطِ. وَالثَّانِي جَوَابُهُ. (يَفْعَلْ): فِعْلُ الشَّرْطِ. (يَلْقَ): جَوَابُ الشَّرْطِ مَجْزُومٌ بِحَذْفِ لَامِهِ؛ لِأَنَّهُ مُعْتَلٌّ اللَّامِ، وَأَصْلُهُ: يَلْقَى.

٤- ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾: (مَنْ): شَرْطِيَّةٌ. (تَابَ): فِعْلُ الشَّرْطِ. (فَإِنَّهُ يَتُوبُ): الْجَوَابُ، وَهُوَ جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ، وَلِذَلِكَ اقْتَرَنَ بِالْفَاءِ.

٥- ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾: (أُولَئِكَ) مُبْتَدَأٌ، وَجُمْلَةٌ (يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ) خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ. وَ(مَا) فِي (بِمَا صَبَرُوا) مَصْدَرِيَّةٌ أَيْ بِصَبْرِهِمْ.

٦- ﴿حَسُنْتَ مُسْتَقَرًّا﴾: (مُسْتَقَرًّا) تَمَيِّزُ نِسْبَةٍ، وَهُوَ مُحَوَّلٌ عَنِ الْفَاعِلِ أَيْ حَسَنَ مُسْتَقَرُّهُمْ فِيهَا.

٧- ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾: (لَوْلَا) حَرْفُ امْتِنَاعٍ لَوْجُودٍ. (دُعَاؤُكُمْ) مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ كَانَتْ أَوْ مَوْجُودٌ.

٨- ﴿لِزَامًا﴾: خَبَرُ (يَكُونُ) مَنْصُوبٌ، وَاسْمُهَا مَحذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: فَسَوْفَ يَكُونُ جَزَاءَ التَّكْذِيبِ لِزَامًا.

(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ هَذِهِ صِفَاتُ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أَيْ بَسَكِيَّةٍ وَوَقَارٍ مِنْ غَيْرِ اسْتِكْبَارٍ وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَمْشُونَ بِضَعْفٍ كَالْمَرَضَى تَصَنُّعًا وَرِيَاءً، فَقَدْ كَانَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ﷺ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا تُطَوَّى لَهُ الْأَرْضُ. وَهَذِهِ الصِّفَةُ الْأُولَى لَهُمْ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أَيُّ إِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمُ الْجَهَّالُ بِالْقَوْلِ السَّيِّئِ لَمْ يُقَابِلُوهُمْ عَلَيْهِ بِمِثْلِهِ، بَلْ يَغْفُونَ وَيَصْفَحُونَ وَيَقُولُونَ خَيْرًا. وَهَذِهِ الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ أَيُّ يَقْضُونَ اللَّيْلَ سَاجِدِينَ وَقَائِمِينَ فِي طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَفِي آيَةٍ أُخْرَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وَهَذِهِ هِيَ الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ إِنَّ عِبَادَ الرَّحْمَنِ أَهْلُ دُعَاءٍ، وَالِدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، فَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ رَبَّهُمْ أَنْ يُبَاعِدَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَذَابِ النَّارِ؛ لِأَنَّهُ يُلَازِمُ أَصْحَابَ النَّارِ وَلَا يَنْفَكُ عَنْهُمْ. وَجَهَنَّمَ أَسْوَأُ مَكَانٍ يُسْتَقَرُّ فِيهِ وَيَقَامُ فِيهِ. وَهَذِهِ هِيَ الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ أَيُّ إِنَّهُمْ لَيْسُوا مُبَدِّرِينَ يَصْرِفُونَ فَوْقَ الْحَاجَةِ وَلَا بُحْلَاءَ مُقْصِرِينَ، بَلْ هُمْ مُعْتَدِلُونَ فِي الْإِنْفَاقِ. وَهَذِهِ صِفَتُهُمُ الْخَامِسَةُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ أَيُّ إِنَّهُمْ لَا يُشْرِكُونَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ. وَيَتَّبِعُونَ كَذَلِكَ عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ بغيرِ الْحَقِّ. أَمَّا الْقِصَاصُ وَرَجْمُ الزَّانِي الثَّيِّبِ وَقَتْلُ الْمُزْتَدِّ حَدًّا فَهَذَا قَتْلٌ بِحَقٍّ. وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ بغيرِ حَقٍّ. كَذَلِكَ يَتَّبِعُونَ كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ فَاحِشَةِ الزَّنى وَسَائِرِ الْفَوَاحِشِ. وَهَذِهِ صِفَتُهُمُ السَّادِسَةُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أَيَّ أَنْ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فِي عِبَادَتِهِ أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بَغَيْرِ حَقٍّ أَوْ زَنَى فَسَيَلْقَى عَذَابًا شَدِيدًا وَنَكَالًا، فَيُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ وَيَبْقَى فِيهِ مُهَانًا ذَلِيلًا حَقِيرًا، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ اسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْعَذَابِ التَّائِبِينَ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَمْحُو مَا قَبْلَهَا مِنْ ذُنُوبٍ، وَالتَّوْبَةُ هُنَا مَقْرُونَةٌ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. فَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ كَلَامًا يَقُولُهُ الْإِنْسَانُ فَحَسَبُ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ بُرْهَانٍ عَلَيْهَا وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الْمَقْرُونَةُ بِالْإِقْلَاعِ عَنِ الذَّنْبِ وَالنَّدَمِ عَلَى مَا فَاتَ وَالْعَزْمِ عَلَى أَلَّا يَعُودَ لِلذَّنْبِ أَبَدًا، وَرَدَّ الْمَظَالِمِ إِلَى أَهْلِهَا. وَمَا ذَكَرَ فَهُوَ شُرُوطُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ. فَمَنْ تَابَ فَإِنَّ اللَّهَ يُعَيِّرُ السَّيِّئَاتِ الَّتِي اقْتَرَفَهَا إِلَى حَسَنَاتٍ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا يَغْفِرُ لِعِبَادِهِ الْمُسْتَغْفِرِينَ وَيَرْحَمُهُمْ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أَيُّ مَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ وَيَغْفُو عَنْهُ، أَوْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ وَيَعْمَلَ صَالِحًا، فَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ قِيلَ: الزُّورُ هُوَ الشَّرْكُ وَعِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَقِيلَ: الْكَذِبُ وَالْفِسْقُ وَاللَّغْوُ وَالْبَاطِلُ، وَقِيلَ: هُوَ اللَّغْوُ وَالْغِنَاءُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَهُوَ الْكَذِبُ الْمُتَعَمَّدُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ - ثَلَاثًا - الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ -»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَكِنًا فَجَلَسَ، فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى

قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عليه السلام مَرْفُوعًا. فَعِبَادُ الرَّحْمَنِ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ. وَهَذِهِ صِفَتُهُمُ السَّابِعَةُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أَيَّ أَنْهُمْ إِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكْيًا؛ لِأَنَّهُمْ يَعْقِلُونَهَا وَيَفْقَهُونَ مَعَانِيَهَا، فَلْيَسُوا فِي ذَلِكَ مِثْلَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ تَصُمُّ آذَانُهُمْ وَتَعْمَى أَبْصَارُهُمْ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَيَوَلُّونَ مُسْتَكْبِرِينَ كَأَن لَّمْ يَسْمَعُوهَا. وَهَذِهِ صِفَتُهُمُ الثَّامِنَةُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أَيَّ أَنْهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُمُ الذَّرِّيَّةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي تَعْبُدُهُ وَتُوحِّدُهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، فَتَقَرُّ بِهِمْ أَعْيُنُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَهُمْ لَا يُرِيدُونَ مُجَرَّدَ الزَّوْجَاتِ وَلَا مُجَرَّدَ الذَّرِّيَّةِ، بَلْ يُرِيدُونَ زَوْجَاتٍ صَالِحَاتٍ وَذُرِّيَّةً صَالِحَةً تَقَرُّ بِهَا الْأَعْيُنُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. كَمَا يَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الْخَيْرِ، وَهُدَاةً دُعَاةً إِلَى الْخَيْرِ. وَهَذِهِ صِفَتُهُمُ التَّاسِعَةُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مِنْ أَوْصَافِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَا ذَكَرَ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الْجَلِيلَةِ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ: أُولَئِكَ الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ يُجْزَوْنَ الْجَنَّةَ بِسَبَبِ صَبْرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا التَّحِيَّةَ وَالْإِكْرَامَ وَالتَّوْقِيرَ وَالْإِحْتِرَامَ فَلَهُمُ السَّلَامُ وَعَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَيَّ مُقِيمِينَ لَا يَحْوِلُونَ عَنْهَا وَلَا يَطْعَنُونَ وَلَا يَمُوتُونَ. ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أَيَّ حَسَنَتْ مَنَظَرًا وَطَابَتْ مَنَازِلًا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَهُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ أَيَّ

لَا يُبَالِي وَلَا يَكْتَرِثُ بِكُمْ، وَمَا يَصْنَعُ بِعَذَابِكُمْ؟ لَوْلَا دُعَاؤُهُ إِيَّاكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَكَذَّبْتُمْ رُسُلِي أَتَيْهَا الْكَافِرُونَ فَسَوْفَ يَكُونُ تَكْذِيبُكُمْ سَبَبًا فِي لُزُومِ عَذَابِكُمْ وَاسْتِمْرَارِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ:

١- صِفَاتُ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ:

أ- أَنَّهُمْ يَمْشُونَ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ.

ب- أَنَّهُمْ إِذَا سَفِهَ عَلَيْهِمُ الْجَاهِلُونَ لَمْ يَقَابِلُوا سَفَهَهُمْ بِسَفِهِ، بَلْ لَا يَقُولُونَ إِلَّا خَيْرًا.

ج- أَنَّهُمْ قَلِيلًا مَا يَنَامُونَ مِنَ اللَّيْلِ، بَلْ يَجْتَهِدُونَ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ.

د- أَنَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ بِالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُنَجِّيَهُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

هـ- أَنَّهُمْ مُعْتَدِلُونَ فِي إِنْفَاقِهِمْ فَلَا يُسْرِفُونَ وَلَا يَبْخُلُونَ.

و- أَنَّهُمْ لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا فِي عِبَادَتِهِمْ، وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسًا بَعِيرَ حَقٍّ وَلَا يَقْتَرِبُونَ مِنَ الْفَوَاحِشِ.

ز- أَنَّهُمْ لَا يُشْهَدُونَ الزُّورَ وَلَا يُجْلِسُونَ مَجَالِسَ اللَّغْوِ وَالْبَاطِلِ.

ح- أَنَّهُمْ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.

ط- أَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُمُ الزَّوْجَاتِ الصَّالِحَاتِ وَالذَّرِّيَّةَ الصَّالِحَةَ.

ي- أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ هُدًى مُّهْتَدِينَ دُعَاءً إِلَى الْخَيْرِ.

٢- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ تَوْبَةَ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ تَابُوا إِلَيْهِ وَيَرْحَمُهُمْ وَيَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ اسْتَغْفَرُوهُ.

٣- أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ جَزَاؤُهُمْ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ.

٤- أَنَّ الْكَافِرَ لَا وَزْنَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَقْدَرُ بِإِيمَانِهِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ.



الْمَنَاقِشَةُ

١- أَجِبْ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

أ- جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَوْصَافُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ. اذْكُرْهَا.

ب- مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾؟

ج- مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾؟

د- مَا مَعْنَى: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾؟

هـ- مَا مَعْنَى: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾؟

٢- هَاتِ مُفْرَدَ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ:

عِبَادٌ - جَاهِلُونَ - سُجَّدٌ - قِيَامٌ - سَيِّئَاتٌ - حَسَنَاتٌ - صُمْ - عُمَيَّانٌ.

٣- هَاتِ الْمُضَارِعَ وَالْمَصْدَرَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْآتِيَةِ:

مَشَى - خَاطَبَ - بَاتَ - صَرَفَ - أَنْفَقَ - أَصَمَّ - قَتَرَ - دَعَا - لَقِيَ - خَرَّ.

٤- اسْتَخْرِجْ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَأْتِي:

أ- فِعْلًا مِنْ أَخَوَاتِ (كَانَ، وَبَيَّنَّ اسْمَهُ وَخَبَرَهُ).

ب- إِسْمَ مَكَانٍ.

ج- أُسْلُوبَ شَرْطٍ، وَبَيَّنَّ جَوَابَهُ.

٥- اذْكُرْ مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ.

الدَّرْسُ السَّادِسُ

فَرِيضَةُ الصَّيَامِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ
مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ
فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ
بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى
مَا هَدٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: [١٨٣ - ١٨٥].

(أ) مَعَايِي الْكَلِمَاتِ:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ: فُرِضَ عَلَيْكُمُ، أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

الصَّيَامُ: مَصْدَرُ (صَامَ يَصُومُ)، وَهُوَ لُغَةٌ: الْإِمْسَاكُ، وَشَرْعًا:
الْإِمْسَاكُ عَنِ الْمُفْطَرَاتِ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ مَعَ النَّيَّةِ.

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: الْأُمَمُ السَّابِقَةُ.

مَعْدُودَاتٍ: لَهْنٌ عَدَدٌ مَعْلُومٌ.

فَعِدَّةٌ: الْعِدَّةُ: الْمَعْدُودُ، وَالْمُرَادُ: عَدَدُ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا.

أُخَرٌ: جَمْعٌ مُفْرَدُهُ (أُخْرَى)، وَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ.

يُطِيقُونَهُ: يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِمَشَقَّةٍ.

فَذِيَّةٌ: مَا يُفْتَدَى بِهِ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ، وَهِيَ كَالْتَّغْوِيضِ بِسَبَبِ التَّقْصِيرِ فِي الْعِبَادَةِ.

هُدًى: هَادِيًا إِلَى الْخَيْرِ وَالِاسْتِقَامَةِ.

الْفُرْقَانِ: الَّذِي يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

شَهِدَ: أَيْ حَضَرَ وَكَانَ مُقِيمًا غَيْرَ مُسَافِرٍ.

الْيُسْرَ: السُّهُولَةَ وَالتَّخْفِيفَ.

الْعُسْرَ: الْمَشَقَّةَ وَالْعَنَتَ وَالصُّعُوبَةَ.

وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ: أَيْ لِتُسْتَمُوا أَيَّامَ الشَّهْرِ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ.

(ب) الْإِعْرَابُ:

لَا حِظَّ فِي الْآيَاتِ مَا يَأْتِي:

١- ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (لَعَلَّ) حَرْفُ

تَرْجَّ وَهُوَ طَلَبُ الْأَمْرِ الْمَحْبُوبِ، تَكُونُ لِلْإِشْفَاقِ فِي الْمَحْذُورِ.
وَهِيَ حَرْفٌ مُشَبَّهٌ بِالْفِعْلِ يَنْصَبُ الْمُبْتَدَأَ وَيَرْفَعُ الْخَبَرَ. وَاسْمُهَا هُنَا
الضَّمِيرُ الْمُتَّصِلُ (كُمُ)، وَخَبَرُهَا جُمْلَةُ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ فِي ﴿تَتَّقُونَ﴾.
وَتَأْتِي بِمَعْنَى الْإِشْفَاقِ، وَمِنْ شَوَاهِدِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكَ بَخْعٌ
نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. كَمَا تَأْتِي بِمَعْنَى (كَيِّ) لِلتَّعْلِيلِ وَمِنْ
شَوَاهِدِهَا ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾، وَ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ
الْغَالِبِينَ﴾.

٣- ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: (عِدَّةٌ) مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ:
فَعَلَيْهِ عِدَّةٌ.

٤- ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾: (طَعَامٌ) بَدَلٌ مِنْ (فِدْيَةٍ).

٥- ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾: (فَلْيَصُمْهُ) اللَّامُ
لِلْأَمْرِ، وَلَا مَ الْأَمْرِ حَرْفُ جَزْمٍ طَلَبِيٍّ يَجْزِمُ الْمُضَارِعَ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى
الْكَسْرِ، وَيُسَكَّنُ بَعْدَ الْوَاوِ وَالْفَاءِ وَ(ثُمَّ).

(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾:
خَطَابٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ الصَّوْمَ فَرِيضَةٌ عَلَيْهِمْ. ﴿كَمَا
كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وَهُمْ أَهْلُ الْمَلِكِ السَّابِقَةِ. ﴿لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾ بَيَانٌ لِّعِلَّةِ فَرَضِ الصَّوْمِ وَالْحِكْمَةِ مِنْهُ، وَهُوَ أَنَّهُ السَّبِيلُ إِلَى
تَقْوَى اللَّهِ ﷻ بِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، وَتَرْوِيضًا لِلنُّفُوسِ،

وَتَعْوِيدًا لَهَا عَلَى كَسْرِ الشَّهَوَاتِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِ
الْمَعَاصِي. وَقَدْ كَانَ فَرَضُ الصَّوْمِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أَيَّامًا مُعَيَّنَةً بِعَدَدٍ مَعْلُومٍ، وَهِيَ
أَيَّامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، تَخْفِيفًا وَرَحْمَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ مَنْ كَانَ
مَرِيضًا أَوْ مُسَافِرًا سَفَرًا إِبَاحَةً فَأَفْطَرَ ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فَشَرَعَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ لَهُمَا أَنْ يُفْطِرَا وَيَقْضِيَا أَيَّامًا بِعَدَدِ الَّتِي أَفْطَرَهَا تَيْسِيرًا مِنْهُ تَعَالَى
وَرَحْمَةً بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾
أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ
هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ كَانَ مَنْ شَاءَ
صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ وَيَفْتَدِي، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَعْدَهَا فَنَسَخَتْهَا
﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾. فَهَذِهِ الْآيَةُ كَانَتْ رُخْصَةً عِنْدَ
ابْتِدَاءِ فَرَضِ الصَّوْمِ لِأَنَّهُ شَقَّ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ مَنْ أَطْعَمَ كُلَّ يَوْمٍ مَسْكِينًا
تَرَكَ الصَّوْمَ وَهُوَ يُطِيقُهُ ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ مَنْ زَادَ فِي
الْإِطْعَامِ وَأَطْعَمَ أَكْثَرَ مِنْ مَسْكِينٍ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّ الصِّيَامَ
خَيْرٌ مِنْ هَذَا كُلِّهِ. ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ أَنَّ
الصِّيَامَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَفْضَلُ مِنَ الْإِفْطَارِ مَعَ الْفِدْيَةِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ بَيَانُ لِفَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ

نُزُولُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَجَعَلَهُ هِدَايَةً وَنُورًا وَفُرْقَانًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَسَبِيلًا إِلَى السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ مَنْ حَضَرَ هَذَا الشَّهْرَ وَكَانَ مُقِيمًا غَيْرَ مُسَافِرٍ مُكَلَّفًا قَادِرًا فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْهِ الصَّوْمُ.

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تَخْفِيفًا مِنْهُ تَعَالَى عَنِ الْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ سَفَرٍ إِباحَةٍ أَنْ يُفْطِرَ عَلَى أَنْ يَقْضِيَ أَيَّامًا أُخْرَى مَكَانَ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَهَا بَعْدَهَا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ أَيِّ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ صِيَامِ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ، وَالتَّخْفِيفِ عَنِ الْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ، يُرِيدُ بِكُمْ فِي هَذَا التَّخْفِيفِ وَالرَّحْمَةِ وَالسُّهُولَةَ وَالْيُسْرَ، وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْمَشَقَّةَ وَالْعَنَتَ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ وَعَدَدُ أَيَّامِ الشَّهْرِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «صُومُوا لِرُؤُوسِهِ وَأَفْطَرُوا لِرُؤُوسِهِ، فَإِنْ غُمِّي عَلَيْكُمْ الشَّهْرُ فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ».

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ وَهَذَا التَّكْبِيرُ لَيْلَةَ الْعِيدِ إِلَى أَنْ يُصَلِّيَ الْإِمَامُ صَلَاةَ الْعِيدِ. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هَذِهِ النِّعْمَةُ وَالتَّيْسِيرُ.

(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ:

١- أَنَّ الصِّيَامَ فَرَضٌ وَسَبِيلَةٌ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَرْبِيَةٍ لِلنَّفْسِ عَلَى الطَّاعَةِ.

٢- أَنَّ الصَّوْمَ فَرَضٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا أَنَّهُ كَانَ مَفْرُوضًا عَلَى الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

٣- فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى إِبَاحَةِ الْفِطْرِ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ سَفَرًا طَاعَةً وَإِبَاحَةً وَعَلَيْهِمَا قَضَاءُ الْأَيَّامِ الَّتِي أَفْطَرَاهَا.

٤- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ دَلِيلٌ عَلَى وَجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مُكَلَّفٍ قَادِرٍ مُقِيمٍ.

٥- سَمَاحَةُ التَّشْرِيعِ وَيُسْرُهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»^(١).

٦- اسْتِحْبَابُ التَّكْبِيرِ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ إِلَى أَنْ يُصَلِّيَ الْإِمَامُ صَلَاةَ الْعِيدِ، رُويَ ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّهُمَا كَانَا يَفْعَلَانِ ذَلِكَ.



(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

المناقشة

١- أجب عن الأسئلة الآتية:

- أ- مَا الصَّوْمُ لُغَةً وَشَرْعًا؟ وَمَا حُكْمُهُ؟ وَمَتَى فُرِضَ؟
- ب- مَا حُكْمُ الْفِطْرِ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ؟ وَمَا الَّذِي يُلْزَمُهُمَا؟ اذْكُرِ الدَّلِيلَ مِنَ الْآيَاتِ.
- ج- فِي الْآيَاتِ بَيَانٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَصَّ شَهْرَ رَمَضَانَ بِأَفْضَلِيَّةٍ. مَا هِيَ؟
- د- بَيِّنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وَمَا الْحُكْمُ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنَ الْآيَةِ؟
- هـ- فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى يُسْرِ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ وَسَمَاحَتِهِ بَيِّنْ ذَلِكَ.

٢- اذكر معنى الكلمات الآتية:

- كُتِبَ - الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ - مَعْدُودَاتٍ - عِدَّةٌ - الْيُسْرَ - الْعُسْرَ - هُدًى - الْفُرْقَانِ - شَهِدَ - اكْمَلُوا الْعِدَّةَ.

٣- فِي الْآيَاتِ دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ التَّكْبِيرِ لَيْلَةَ الْعِيدِ، بَيِّنْ ذَلِكَ.



الدَّرْسُ السَّابِعُ

مِنَ الْأَدَابِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: [١١ - ١٣].

(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

يَسْخَرُ: سَخِرَ فَلَانٌ مِنْ فَلَانٍ اخْتَقَرَهُ وَاسْتَصَغَرَ شَأْنَهُ.

عَسَى: فِعْلٌ جَامِدٌ لَا مُضَارِعَ لَهُ وَلَا أَمْرَ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الرَّجَاءِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الْإِشْفَاقِ وَهُوَ هُنَا بِالْمَعْنَى الثَّانِي.

تَلْمِزُوا: لَمَزَ فُلَانٌ فُلَانًا عَابَهُ وَقَالَ فِيهِ سُوءًا.

تَنَابَزُوا: أَصْلُهُ تَنَابَزُوا مِنْ: تَنَابَزَ الْقَوْمُ تَنَابُزًا، إِذَا دَعَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِلَقَبِ سُوءٍ. وَنَبَزَهُ يَنْبِزُهُ: عَابَهُ.

بِئْسَ الْأَسْمُ: بِئْسَ: فِعْلٌ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ. وَالْإِسْمُ هُنَا الْمَقْصُودُ بِهِ الصِّفَةُ الَّتِي يَتَصِفُونَ بِهَا.

الْفُسُوقُ: مُصَدِّرٌ مِنْ فَسَقَ يَفْسُقُ، أَيْ خَرَجَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ.

يَتُوبُ: تَابَ يَتُوبُ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ وَأَقْلَعَ عَنْ ذَنْبِهِ.

الظَّالِمُونَ: جَمْعُ الظَّالِمِ، وَهُوَ اسْمٌ فَاعِلٍ مِنْ ظَلَمَ، إِذَا تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ وَتَجَاوَزَ أَوْامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيَهُ.

اجْتَنِبُوا: اْتَرَكُوا، اجْتَنَبَ الشَّيْءَ: ابْتَعَدَ عَنْهُ.

الظَّنُّ: الْقَوْلُ بِدُونِ عِلْمٍ وَالتُّهْمَةُ وَالتَّخَوُّنُ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ.

إِثْمٌ: ذَنْبٌ، وَخَطِيئَةٌ.

تَجَسَّسُوا: أَصْلُهُ تَجَسَّسُوا، مِنْ: تَجَسَّسَ فُلَانٌ تَجَسُّسًا، إِذَا تَتَبَعَ أَحْوَالَ النَّاسِ وَبَحَثَ عَنْ عَوْرَاتِهِمْ سِرًّا، وَالتَّجَسُّسُ يُطْلَقُ غَالِبًا فِي الشَّرِّ، وَمِنْهُ الْجَاسُوسُ، وَالتَّحَسُّسُ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ غَالِبًا.

وَلَا يَغْتَابُ: اغْتَابَ يَغْتَابُ: ذَكَرَ أَخَاهُ بِمَا يَكْرَهُ.

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ: شُعُوبًا جَمْعُ شَعْبٍ، وَالشَّعْبُ هُوَ الْجَمْعُ مِنَ النَّاسِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ. وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْقَبِيلَةِ، وَالْقَبِيلَةُ وَاحِدَةٌ مِنَ قَبَائِلِ الشَّعْبِ.

(ب) الْإِعْرَابُ:

لَا حِظَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ مَا يَلِي:

- ١- ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ﴾: (لا) الناهية وَهِيَ تَجْزَمُ الْمُضَارِعَ، فالفعل (يَسْخَرُ) مجزوم بـ (لا) الناهية، ومثله ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾.
- ٢- ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: (مَنْ) شَرْطِيَّةٌ، و(أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) جُمْلَةٌ الْجَوَابِ، وَاقْتَرَنْتِ بِالْفَاءِ لِأَنَّهَا اسْمِيَّةٌ.
- ٣- ﴿تَنَابَزُوا﴾، ﴿تَجَسَّسُوا﴾، ﴿تَعَارَفُوا﴾: هَذِهِ الْأَفْعَالُ أَصْلُهَا: تَنَابَزُوا، تَتَجَسَّسُوا، تَتَعَارَفُوا. فَالْفِعْلُ إِذَا كَانَ مِنْ بَابِي (تَفَاعَلَ وَتَفَعَّلَ) وَكَانَ مُضَارِعُهُ مَبْدُوءًا بِالتَّاءِ جَازَ حَذْفُ إِحْدَى التَّائِينَ مِنْهُ تَخْفِيفًا.
- ٤- ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾: الْفِعْلُ (جَعَلَ) مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَنْصِبُ مَفْعُولَيْنِ، فَالْكَافُ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ وَ(شُعُوبًا) الْمَفْعُولُ الثَّانِي.

(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ السُّخْرِيَّةِ مِنَ النَّاسِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ بِهِمْ وَاحْتِقَارِهِمْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُحْتَقَرُّ أَكْثَرُ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ السَّاخِرِ مِنْهُ الْمُحْتَقَرِّ لَهُ. وَخَصَّ النِّسَاءَ مَعَ أَنَّهُنَّ دَاخِلَاتٌ فِي نَهْيِ الْقَوْمِ؛ لِأَنَّهُنَّ يَشِيعُ بَيْنَهُنَّ هَذَا الْأَمْرُ أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أَيَّ لَا تَذْكُرُوا عُيُوبَ النَّاسِ، فَالْهَمَّازُ اللَّمَّازُ مِنَ النَّاسِ مَذْمُومٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبِلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةً﴾.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أَيَّ لَا يُنَادِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْأَلْقَابِ الَّتِي يَسُوءُ الشَّخْصَ سَمَاعُهَا. رُويَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي بَنِي سَلَمَةَ، قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَيْسَ فِيهِمْ رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، فَإِذَا دُعِيَ بِأَحَدِهَا غَضِبَ، فَنَزَلَتْ الْآيَةُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُئْسَ الْإِنْسُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أَيَّ هَذِهِ الصِّفَةُ وَهِيَ الْفُسُوقُ وَالْخُرُوجُ بَعْدَ الْإِيمَانِ أَسْوَأُ صِفَةٍ؛ لِأَنَّهَا مِنْ عَادَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أَيَّ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ هَذِهِ الذُّنُوبِ وَظَلَّ عَلَى عِصْيَانِهِ، فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ظُلْمًا كَبِيرًا وَظَلَمَ غَيْرَهُ، فَسَيَحَاسِبُ عَلَى ظُلْمِهِ وَيُقْتَصُّ مِنْهُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ يَنْهَى سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ كَثِيرٍ مِّنَ الظَّنِّ وَهُوَ التُّهْمَةُ وَالتَّخَوُّنُ لِلنَّاسِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ ذَلِكَ يَكُونُ إِثْمًا خَالِصًا وَذَنْبًا عَظِيمًا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أَيَّ لَا يَتَّبِعْ أَحَدُكُمْ عَوْرَاتِ الْآخَرِينَ وَلَا يَبْحَثَ عَنْ عُيُوبِهِمْ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْغِيْبَةِ، وَقَدْ

فَسَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَمَا سُئِلَ: مَا الْغِيْبَةُ؟ قَالَ ﷺ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ». وَالْغِيْبَةُ مُحَرَّمَةٌ بِالْإِجْمَاعِ وَلَا يُسْتَتْنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا رُجِّحَتْ مَصْلَحَتُهُ كَالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَالنَّصِيحَةِ. وَقَدْ وَرَدَ فِيهَا الزَّجْرُ الشَّدِيدُ، وَلِهَذَا شَبَّهَهَا ﷺ بِأَكْلِ اللَّحْمِ مِنَ الْأَخِ الْمَيِّتِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أَيُّ كَمَا تَكْرَهُونَ هَذَا الْفِعْلَ بِطَبْعِكُمْ، فَاكْرَهُوا ذَلِكَ الْفِعْلَ الْمُحَرَّمَ شَرْعًا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ أَيُّ اخْشَوْا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَاقِبُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ عَلَى مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، رَحِيمٌ بِمَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ، وَالتَّوْبَةُ مِنَ الْغِيْبَةِ الْإِفْلَاحُ عَنْهَا وَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَيْهَا، وَالنَّدَمُ عَلَى الْوُقُوعِ فِيهَا، مَعَ الْإِسْتِغْفَارِ لِمَنْ وَقَعَتْ فِيهِ الْغِيْبَةُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى النَّاسَ جَمِيعًا بِأَنَّهُ خَلَقَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَهُمَا: آدَمُ وَحَوَّاءُ. وَجَعَلَهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، فَالنَّاسُ جَمِيعًا بِالنَّسَبِ الطَّيْنَةِ إِلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ سَوَاءً، وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ يَكُونُ بِالتَّقْوَى، وَهِيَ طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَاتِّبَاعُ الرُّسُولِ ﷺ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْخَرَ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ أَوْ يَلْمِزَهُ أَوْ يُنَابِزَهُ أَوْ يَظُنَّ بِهِ غَيْرَ الْخَيْرِ أَوْ يَغْتَابَهُ، فَإِنَّهُ أَخُوهُ. وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، فَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةُ أَتْقَاهُمْ. إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُمْ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِكُمْ وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ:

- ١- النَّهْيُ عَنِ السُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالنَّاسِ وَاحْتِقَارِهِمْ.
- ٢- النَّهْيُ عَنِ اللَّمَزِ وَالْإِفْسَادِ بِالْقَوْلِ السَّيِّئِ.
- ٣- النَّهْيُ عَنِ التَّنَابُزِ بِالْأَلْقَابِ، وَالِالْتِزَامِ بِالْإِيمَانِ وَعَدَمِ الْخُرُوجِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.
- ٤- النَّهْيُ عَنِ الظَّنِّ السَّيِّئِ بِالنَّاسِ؛ لِأَنَّهُ إِثْمٌ عَظِيمٌ.
- ٥- النَّهْيُ عَنِ التَّجَسُّسِ.
- ٦- النَّهْيُ عَنِ الْغِيْبَةِ، وَتَشْدِيدُ الزَّجْرِ عَلَيْهَا، فَقَدْ شُبِّهَتْ بِأَكْلِ لَحْمِ الْأَخِ مِثْلًا.
- ٧- الْأَمْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ وَتَمَامِ طَاعَتِهِ.
- ٨- بَيَانُ أَنَّ مَنْشَأَ النَّاسِ جَمِيعًا وَاحِدٌ، وَأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنْ أَبِي وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ، وَلَا فَضْلَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ.



المناقشة

١ - أَجِبْ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

- أ- نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ عَنْ أُمُورٍ، اذْكُرْهَا.
 ب- شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى الْغِيَّةَ بِحَالٍ قَبِيحَةٍ، اذْكُرْهَا.
 ج- بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ، اذْكُرِ الْآيَةَ الَّتِي تُبَيِّنُ ذَلِكَ.
 د- مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾؟
 هـ- هَلْ هُنَاكَ تَفَاضُلٌ بَيْنَ النَّاسِ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ؟

٢- هَاتِ مَعَانِيَ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ:

لَا تَلْمِزُوا - لَا تَنَابِزُوا - إِثْمٌ - لَا يَغْتَابُ.

٣- اذْكُرْ مَاضِيَ الْأَفْعَالِ الْآتِيَةِ:

يَتَجَسَّسُ - يَتَنَابَزُ - يَلْمِزُ - يَغْتَابُ.

٤- اسْتَخْرِجْ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَأْتِي:

- أ- مُضَارِعًا مَجْزُومًا بِ (لَا) النَّاهِيَةِ وَبَيِّنْ عِلَامَةَ جَزْمِهِ.
 ب- مُضَارِعًا مَجْزُومًا بِ (لَمْ) وَبَيِّنْ عِلَامَةَ جَزْمِهِ.
 ج- فِعْلًا يَنْصِبُ مَفْعُولَيْنِ وَبَيِّنِ الْمَفْعُولَيْنِ.
 د- جَوَابَ شَرْطٍ مُقْتَرَنًا بِالْفَاءِ.

٥- بَيِّنْ مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ

وَجُوبُ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ: [١٦٣ - ١٦٧].

(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

وَاللَّهُكُمْ: إِلَهِ كُلِّ مَا عُبِدَ.

الرَّحْمَنُ: وَصِفٌ عَلَى وَزْنِ فَعْلَانٍ مَعْنَاهُ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَهُوَ خَاصٌّ بِاللَّهِ تَعَالَى.

الرَّحِيمُ: وَصَفٌ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ مَعْنَاهُ كَثِيرُ الرَّحْمَةِ.
وَالْفُلْكِ: السَّفِينَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْمُفْرَدِ وَالْجَمْعِ، وَيُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ.
وَبَثَّ: نَشَرَ وَفَرَّقَ. بَثَّ يَبُثُّ وَالْمَصْدَرُ بَثٌّ.
دَابَّةٌ: الدَّابَّةُ كُلُّ حَيَوَانٍ فِي الْأَرْضِ وَجَمْعُهَا: دَوَابٌّ.
وَتَصْرِيفُ الرِّيحِ: تَوَجِّهُهَا وَتَدْبِيرُ أَمْرِهَا، وَالرِّيَّاحُ جَمْعُ رِيحٍ، وَهُوَ الْهَوَاءُ إِذَا تَحَرَّكَ.

وَالسَّحَابِ: الْغَيْمِ، وَجَمْعُهُ سُحُبٌ، وَالْقِطْعَةُ مِنْهُ سَحَابَةٌ.
الْمُسَخَّرِ: الْمَذَلَّلِ، الْمَقْهُورِ.
أَنَدَادًا: جَمْعُ نَدٍّ بِمَعْنَى مِثْلٍ.
الْأَسْبَابُ: جَمْعُ سَبَبٍ، وَهُوَ الصَّلَةُ وَالْعَلَاقَةُ.
كَرَّةً: رَجْعَةً، وَعَوْدَةً، مَرَّةً أُخْرَى.
حَسَرَاتٍ: جَمْعُ حَسْرَةٍ، وَهِيَ شِدَّةُ الْحُزْنِ.

(ب) الْإِعْرَابُ:

تَأْمَلْ مَا يَلِي:

١- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: (لَا) نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ، وَ(إِلَهَ) اسْمُهَا وَ(إِلَّا) أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ (هُوَ) بَدَلٌ مِنْ مَحَلٍّ (لَا) النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ وَاسْمُهَا.

٢- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسِتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: اللَّامُ الْمُزْحَلَّةُ دَخَلَتْ عَلَى اسْمٍ (إِنَّ) الْمُتَأَخِّرِ عَنْ خَبَرِهَا

الَّذِي هُوَ شَبُهَ جُمْلَةٍ (فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ)، (لَا يَتَّ) إِسْمٌ (إِنَّ) مَنْصُوبٌ
وَعَلَامَةٌ نَصْبِهِ الْكُسْرَةُ لِأَنَّهُ جَمْعٌ بِالْأَلِفِ وَالتَّاءِ.

٣- ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: (مَا) هُنَا إِمَّا مَصْدَرِيَّةٌ وَإِمَّا مَوْصُولَةٌ.

٤- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ﴾: هَذِهِ (مِنْ) التَّبْعِيضِيَّةِ.

٥- ﴿كُحِبَّ اللَّهُ﴾: مَصْدَرٌ مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلُ مَحْذُوفٌ
أَيِ الْمُؤْمِنِينَ.

٦- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾: (حُبًّا) تَمَيِّزُ النِّسْبَةِ مَنْصُوبٌ
مُحَوَّلٌ عَنِ الْفَاعِلِ.

٧- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾: (لَوْ) هُنَا
لِلتَّمْنِي وَالْفَاءُ فَاءُ السَّبَبِيَّةِ، وَالْفِعْلُ مَنْصُوبٌ بِ (أَنْ) مُضْمَرَةٌ وَجُوبًا.

٨- ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾: (يُرِي) إِمَّا
أَنْ تَكُونَ بَصَرِيَّةً، فَتَكُونَ (حَسَرَاتٍ) حَالًا. وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ قَلْبِيَّةً، فَتَكُونَ
(حَسَرَاتٍ) الْمَفْعُولُ الثَّلَاثِ.

٩- ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾: (مَا) الْحِجَازِيَّةُ الْعَامِلَةُ عَمَلٍ
(لَيْسَ)، وَزِيدَتِ الْبَاءُ فِي خَبَرِهَا.

(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ﴾ يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ تَفَرُّدِهِ بِالْأُلُوْهِيَّةِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا
عَدِيلَ. بَلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ

كُلُّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا، وَخَصَّ بِهَا فِي الْآخِرَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، ﴿الْم ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾» (١).

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ لَمَّا بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ تَعَالَى أَمْرَ التَّوْحِيدِ وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَجِبُ بَيَانُهُ وَيَحْرُمُ كُتْمَانُهُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ عَقَبَ ذَلِكَ بِالدَّلِيلِ الدَّالِّ عَلَيْهِ، وَهُوَ هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْظَمِ صَنْعَةِ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ سُبْحَانَهُ، وَالَّتِي لَا يَتَأْتَى مِنَ الْآلِهَةِ الَّتِي أَثْبَتَهَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ تَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَهِيَ: خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَعَاقُبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاخْتِلَافُهُمَا ظُلْمَةً وَنُورًا، وَجَزْيُ الْفُلُكِ فِي الْبَحْرِ، وَإِنْزَالُ الْمَطَرِ مِنَ السَّمَاءِ وَإِحْيَاءُ الْأَرْضِ بِهِ، وَبَثُّ الدَّوَابِّ فِيهَا بِسَبَبِهِ، وَتَضْرِيفُ الرِّيَّاحِ شَمَالًا وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا وَرَحْمَةً وَعَذَابًا وَمُلَقَّحَةً وَعَقِيمًا. فَإِنَّ مَنْ فَكَّرَ فِيهَا، بَلْ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا كَانَ لِرَازِمًا عَلَيْهِ التَّصَدِيقُ بِأَنَّهُ صَانِعُهَا هُوَ اللَّهُ ﷻ.

رَوَى عَنْ أَبِي الضُّحَى قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنْ كَانَ هَكَذَا فَلْيَأْتِنَا بَايَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الْآيَةَ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي الشُّعَبِ وَغَيْرُهُمْ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...﴾ وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ ﷻ الدَّلِيلَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، أَخْبَرَ أَنَّهُ مَعَ هَذَا الدَّلِيلِ الظَّاهِرِ الْمُفِيدِ لِعَظِيمِ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

سُلْطَانِهِ وَجَلِيلِ قُدْرَتِهِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْخَلْقِ، قَدْ وُجِدَ فِي النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مَعَهُ سُبْحَانَهُ نِدًّا يَعْبُدُهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَشْخَاصِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْأَمْوَاتِ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالرُّؤَسَاءِ وَعُلَمَاءِ الشُّوْءِ فِي طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مَعَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَى مُجَرَّدِ عِبَادَةِ الْأَنْدَادِ، بَلْ أَحْبَبُوهَا حُبًّا عَظِيمًا، وَبَالِغُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى صَارَ حُبُّهُمْ إِيَّاهَا مُتِمِّكِنًا فِي صُدُورِهِمْ كَتَمَكُنِ حُبِّ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ ﷻ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ...» الْحَدِيث.

وَفِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ أَخْبَرَ ﷻ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ ﷻ حُبًّا لَا يَعْدِلُهُ حُبُّ هَؤُلَاءِ لِأَلِهَتِهِمْ مَهْمَا بِالْغُوا فِي حُبِّهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ حُبَّ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ خَالِصٌ لَا يَخَالِطُهُ شَيْءٌ آخَرُ. أَمَّا هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَهَا لِتَقَرُّبِهِمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى كَمَا يَزْعُمُونَ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ أَيُّ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِشُرْكِهِمْ بِاللَّهِ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ فِي الْآخِرَةِ بِسَبَبِ شُرْكِهِمْ أَنَّ لَا قُوَّةَ لِأَلِهَتِهِمْ، بَلِ الْقُوَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ، لَعَلُّمُوا ضَرَرَ اتِّخَاذِهِمُ الْأَلِهَةَ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ. فَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ جَوَابُ (لَوْ) مَحْذُوفًا.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ حِينَئِذٍ تَبَرَّأَ الْأَلِهَةُ الَّتِي عِبَدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ عَابِدِيهَا الَّذِينَ أَشْرَكُوهَا مَعَ اللَّهِ، فَتَبَرَّأَ الْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْعُلَمَاءُ

وَالْأَصْنَامُ وَالْأَشْجَارُ وَالْأَحْجَارُ وَالْتُّجُومُ وَالْكَوَاعِبُ مِمَّنْ عَبْدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ. عِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الدُّنْيَا لِيَتَبَرَّءُوا مِنْ عِبَادَتِهِمْ لِإِلَهَتِهِمْ وَيُوحِّدُونَ اللَّهَ التَّوْحِيدَ الْكَامِلَ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَاذِبُونَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِيهِمْ وَفِي أَمْثَالِهِمْ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨] - وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَتَّبَعُوا لَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ أَيُّ أَنَّهُمْ مِثْلَمَا رَأَوْا شُرَكَاءَهُمْ وَكِبَرَاءَهُمْ وَتَخَاصُّمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَتَحَاجُّوا فِي النَّارِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُرِيهِمُ الْأَعْمَالَ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا فَيَتَحَسَّرُونَ عِنْدَمَا يَجِدُونَهَا هَبَاءً مُثَوَّرًا، لَا تُقَرِّبُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَلَا تُخَفِّفُ عَنْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا، بَلْ يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ مَآكِثِينَ فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ:

- ١- وَجُوبُ تَوْحِيدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِفْرَادُهُ بِالْعُبُودِيَّةِ.
- ٢- أَنَّ التَّفَكُّرَ فِي عَظِيمِ خَلْقِ اللَّهِ وَاتِّسَاعِ مَلَكُوتِهِ تَفَكُّرًا سَلِيمًا يُؤَدِّي إِلَى تَوْحِيدِهِ سُبْحَانَهُ.
- ٣- أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ عَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ وَأَغْلَقَتْ قُلُوبُهُمْ فَلَا يَتَنَفَّعُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ تَعَالَى وَلُزُومِ طَاعَتِهِ.
- ٤- أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَتَحَسَّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى شِرْكِهِمْ حَيْثُ يُعَانُونَ عَذَابَ اللَّهِ الشَّدِيدِ.

٥- أَنَّ الْإِلَهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَرُّاً إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَابِدِيهَا وَتَبْتَعِدُ عَنْهُمْ، وَتَقْطَعُ أَحْبَالَ الْمَوَدَّةِ وَالصَّلَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

٦- أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يَخْلُدُونَ فِي النَّارِ وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَداً.



المناقشة

١- إشرح الكلمات الآتية:

الفلک - الدابة - الریح - السحاب - الكرّة - النّد.

٢- هات جمع الكلمات السابقة.

٣- إشرح الآيات شروحاً مختصراً.

٤- بين ما يستفاد من هذه الآيات.

٥- استخرج من الآيات دليلاً على خلود الكفار في النار.

٦- أذكر النص الذي يُستفاد منه تخصّم العابدين مع المعبودين يوم القيامة.

٧- أذكر الآية التي تضمّنّت بيان قدرة الله وعظمته وتذبيره الحكيم.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

بُطْلَانُ عَقِيدَةِ النَّصَارَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ: [٧٢ - ٧٦].

(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

إِسْرَءِيلَ: لَقَبٌ يُعْقَبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَبَنُو إِسْرَءِيلَ الْمُرَادُ بِهِمْ هُنَا الْيَهُودُ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

حَرَّمَ: حَرَّمَ اللَّهُ الشَّيْءَ جَعَلَهُ حَرَامًا، وَضِدُّهُ: أَحَلَّ أَيَّ جَعَلَهُ حَلَالًا.

مَأْوَاهُ: المأوى المسكن، والمنزل.
أَنْصَارٍ: الأنصار جمع نصير، أي: أعوان.
ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ: واحد من آلهة ثلاثة.
يَنْتَهُوا: انتهى عن الشيء: تركه ورجع عنه.
لَيَمَسَنَّ: مسه العذاب: أصابه. ومس الشيء: لمسه بيده، من باب (فعل يفعل).
أَلِيمٌ: بمعنى مؤلم، أي شديد الألم.
خَلَّتْ: خلا: مضى وذهب.
صِدِّيقَةٌ: مصدقته، مؤمنته بالله تعالى وكلماته ورؤسليه، وبكل ما جاء من عنده تعالى.
نُبِّئَ: بين الشيء: أوضحه.
أَنَّى: كيف.
يُؤْفَكُونَ: أفك فلاناً عن الشيء: صرفه عنه. **يُؤْفَكُونَ:** يُصْرَفُونَ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، يُقَالُ: أَفَكَ يَأْفِكُ، صَرَفَ يَصْرِفُ، وَيَأْتِي (أَفَكَ) بِمَعْنَى: كَذَبَ وَافْتَرَى.
ضَرًّا: الضرر ضد النفع.

(ب) الْإِعْرَابُ:

تأمل في الآيات الكريمة ما يلي:

١- ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾: (من): اسم

شَرْطٍ جَازِمٍ يَجْزِمُ فِعْلَيْنِ. (يُشْرِكُ): شَرْطٌ مَجْزُومٌ بِ(مَنْ). (فَقَدْ حَرَّمَ): جَوَابُ الشَّرْطِ. إِذَا كَانَ جَوَابُ الشَّرْطِ جُمْلَةً فِعْلِيَّةً فَعَلُهَا مَقْرُونٌ بِ (قَدْ) يَجِبُ اقْتِرَانُهُ بِالْفَاءِ. وَمِنْ شَوَاهِدِهَا فِي الْقُرْآنِ أَيْضًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧].

٢- ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: (يَمَسُّ): فِعْلٌ مُضَارِعٌ مُؤَكَّدٌ بِالنُّونِ. يَجِبُ تَوْكِيدُ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ بِالنُّونِ إِذَا كَانَ جَوَابًا لِقَسَمٍ مُثَبَّتًا مُسْتَقْبَلًا، نَحْوُ: وَاللَّهِ لَا أَحْفَظَنَّ الْقُرْآنَ. وَاللَّهُ لَا جَاهِدَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَنَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾. وَلَا يَجُوزُ تَوْكِيدُ الْمُضَارِعِ الْوَاقِعِ جَوَابًا لِقَسَمٍ إِذَا كَانَ مَنْفِيًّا، نَحْوُ: وَاللَّهُ لَا نَتْرُكُ الْكُفَّارَ يَنْشُرُونَ دِينَهُمْ فِي بِلَادِنَا.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَتَكَوَّنُ مِنْ:

(١) إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا يَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. (شَرْطٌ وَجَوَابُهُ).

(٢) وَاللَّهُ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. (قَسَمٌ وَجَوَابُهُ).

إِذَا اجْتَمَعَ شَرْطٌ وَقَسَمٌ، كَانَ الْجَوَابُ لِلْسَّابِقِ مِنْهُمَا، وَكَانَ جَوَابُ الْمُتَأَخِّرِ مَحْذُوفًا، مِثَالُ ذَلِكَ:

١- إِنْ تُسَافِرُ أُسَافِرْ.

٢- وَاللَّهُ لَا تُسَافِرَنَّ.

إِذَا قَدَّمْنَا الْقَسَمَ قُلْنَا: وَاللَّهُ إِنْ تُسَافِرُ لَا تُسَافِرَنَّ.

٣- ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾: (أَنِّي): كيف، وَلَهَا مَعَانٍ أُخْرَى:

أ- فَتَأْتِي بِمَعْنَى (مَتَى)، نَحْوُ: أَنَّى جِئْتَ؟

ب- وَتَأْتِي بِمَعْنَى (مِنْ أَيْنَ)، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَمْرَيْمُ أَنَّى
لَكَ هَذَا﴾.

ج- وَقَدْ تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الشَّرْطِ، فَتَجْزِمُ فِعْلَيْنِ، نَحْوُ: أَنَّى تَجْلِسُ
أَجْلِسُ.
وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى (أَيْنَ).

(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى حَاكِمًا بِتَكْفِيرِ النَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْمَسِيحَ
هُوَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِمْ وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ. وَقَدْ سَبَقَ أَنْ قَالَ الْمَسِيحُ
فِي الْمَهْدِ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]، وَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ. ثُمَّ قَالَ
لَهُمْ فِي كُهُولَتِهِ وَنُبُوتِهِ أَمْرًا لَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ رَبِّهِ وَرَبِّهِمْ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾؛ لِأَنَّ الَّذِي يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا قَدْ
أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَلَيْسَ لِلظَّالِمِ أَيُّ الْمُشْرِكِ نَاصِرٍ
وَلَا مَانِعٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ﴾
يَحْكِي اللَّهُ كُفْرَ النَّصَارَى الْمُثَلَّثِينَ، سَوَاءٌ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الثَّلَاثَةَ هِيَ:

الْأَبُ وَالْإِبْنُ وَالرُّوحُ الْقُدُّسُ، أَوْ: الْأَبُ وَالْإِبْنُ وَالْكَلِمَةُ الْمُنْبَثَّةُ مِنَ الْأَبِ إِلَى الْإِبْنِ، أَوِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْمَسِيحَ وَأُمَّهُ الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَجَعَلُوا إِلَهَهُ ثَلَاثَةً، فَكُلُّ ذَلِكَ كُفْرٌ. وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لَيْسَ مُتَعَدِّدًا، بَلْ هُوَ فَرْدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَهُوَ إِلَهُ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَيُّ لَيْسَ لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ هَذَا الْإِفْتِرَاءِ وَالْكَذِبِ لَيَذُوقَنَّ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي الْآخِرَةِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَهَذَا مِنْ كَرَمِهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ بَعَادِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْ هَذَا الْإِثْمِ الْعَظِيمِ وَهَذَا الْإِفْتِرَاءِ الْكَبِيرِ فَكُلُّ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَابَ عَلَيْهِ وَغَفَرَ لَهُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى مُبَيَّنًا حَقِيقَةَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُبْرَهِنًا عَلَى إِنْسَانِيَّتِهِ فَهُوَ رَسُولٌ مِثْلُ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ لَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، قَدْ سَبَقَهُ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعَدَدٌ كَثِيرٌ مِنَ الرُّسُلِ وَلَيَسُوا جَمِيعًا آلِهَةً، بَلْ هُمْ بَشَرٌ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ إِلَى عِبَادِهِ لِيَكُونُوا مِنْهُمْ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أَيُّ أُمُّهُ مُؤْمِنَةٌ بِرَبِّهَا مُصَدِّقَةٌ بِرِسَالَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِمَا يَأْتِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَيْسَتْ إِلَهَةً بَلْ هِيَ بَشَرٌ أَيْضًا.

ثُمَّ يَأْتِي سُبْحَانَهُ بِالذَّلِيلِ عَلَى بَشَرِيَّةِ عِيسَى وَأُمِّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾، وَالَّذِي يَأْكُلُ الطَّعَامَ مَخْلُوقٌ وَلَيْسَ إِلَهًا،

فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّغْذِيَةِ بِالطَّعَامِ وَإِخْرَاجِهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أَيِ انْظُرْ كَيْفَ نُوَضِّحُ لَهُمُ الْأَدِلَّةَ وَالْبَرَاهِينَ وَمَعَ ذَلِكَ هُمْ يَضِلُّونَ وَيَفْتَرُونَ وَيَتَمَسَّكُونَ بِالْبَاطِلِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أَيِ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ يَعْبُدُونَ إِلَهَةً غَيْرَ اللَّهِ مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَمُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالنُّجُومِ وَالْكَوَكِبِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، قُلْ لِكُلِّ هَؤُلَاءِ: أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ ضَرِّ عَنْكُمْ وَلَا إِصْصَالِ نَفْعٍ إِلَيْكُمْ. ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أَيِ الَّذِي يَسْمَعُ أَقْوَالَ عِبَادِهِ، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ تَعْدِلُونَ عَنْهُ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ مِمَّا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا؟!

(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ:

١- كُفِّرَ فِرْقَ النَّصَارَى الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ، وَكَذَلِكَ الْقَائِلِينَ بِالتَّثْلِيثِ.

٢- إِقَامَةُ الدَّلِيلِ عَلَى بَشَرِيَّةِ عِيسَى وَأُمِّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِثْلَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، فَهُوَ رَسُولٌ مِثْلَ الرُّسُلِ وَهِيَ صِدِّيقَةٌ.

٣- أَنَّ الشِّرْكَ يُوجِبُ لِصَاحِبِهِ النَّارَ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.

٤- أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَيَقْبَلُ تَوْبَةَ عِبَادِهِ.

٥- أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يُفَكِّرُونَ تَفْكِيرًا جَيِّدًا؛ لِأَنَّهُمْ يُشْرِكُونَ مَعَ بَيَانَ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ.

الْمُنَاقَشَةُ

١- أَجِبْ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

- أ- لَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ كُفْرَ النَّصَارَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، فَمَا سَبَبُ كُفْرِهِمْ؟
- ب- جَاءَ فِي الْآيَاتِ بُرْهَانٌ عَلَى بَشَرِيَّةِ عِيسَى وَأُمِّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، مَا هَذَا الْبُرْهَانُ؟
- ج- مَا جَزَاءُ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ؟

٢- هَاتِ مُضَارِعَ الْأَفْعَالِ الْآتِيَةِ وَمَصَادِرَهَا:

كَفَرَ - عَبَدَ - أَشْرَكَ - تَابَ - اسْتَغْفَرَ - خَلَا.

٣- مَا نَوْعُ اللَّامِ فِي (لَقَدْ)؟

٤- اسْتَخْرِجْ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَأْتِي:

أ- (إِنَّ) وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا.

ب- (كَانَ) وَاسْمُهَا وَخَبَرُهَا.

ج- إِسْمَ فَاعِلٍ.

د- جَمْعِي تَكْسِيرٍ.

هـ- شَرْطًا وَيَبَيِّنُ جَوَابَ الشَّرْطِ.

٥- اذْكُرْ مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ.

الدَّرْسُ الْعَاشِرُ

عِلْمُ الْغَيْبِ لِلَّهِ وَحْدَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ: [٥٩ - ٦٢].

(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

مَفَاتِيحُ: جَمْعُ مِفْتَاحٍ، وَهُوَ الْمِفْتَاحُ. وَجَمْعُ الْمِفْتَاحِ: مَفَاتِيحُ، وَهُوَ آلَةُ الْفَتْحِ.

الْغَيْبُ: كُلُّ مَا غَابَ عَنْكَ وَلَمْ تُشَاهِدْهُ، وَجَمْعُهُ غُيُوبٌ.

وَرَقَةٍ: الْمُرَادُ وَرَقَةُ الشَّجَرِ.

ظَلَمَتِ الْأَرْضُ: بَاطِنُهَا وَدَاخِلُهَا.

رَظِي: لَيْنٌ غَيْرُ جَافٍ.

يَابِس: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ يَبَسَ يَبْسُ إِذَا جَفَّ.

يَتَوَقَّلُكُمْ: يُمِيتُكُمْ وَيُيْمِكُمْ.

جَرَحْتُمْ: كَسَبْتُمْ وَعَمِلْتُمْ.

أَجَلٌ مُسَمًّى: وَقْتُ مَعْلُومٍ.

الْقَاهِرُ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ قَهَرَ أَيُّ غَلَبَ، فَهُوَ غَالِبٌ .

حَفَظَةً: جَمْعُ حَافِظٍ أَيُّ كَاتِبٍ، يَحْفَظُونَ بَدَنَ الْإِنْسَانِ وَيَكْتُبُونَ عَمَلَهُ.

رُسُلَنَا: أَيُّ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ.

يُقَصِّرُونَ: أَيُّ يَقْصِرُونَ.

مَوْلَاهُمْ: أَيُّ سَيِّدُهُمْ.

(ب) الْإِعْرَابُ:

تَأْمَلْ فِي الْآيَاتِ مَا يَأْتِي:

١ - ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾: (عِنْدَهُ) خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ(مَفَاتِحُ)

مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ.

٢ - ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾: اسْتِثْنَاءٌ مُفَرَّغٌ وَالضَّمِيرُ فَاعِلٌ، وَالْجُمْلَةُ

مُؤَكَّدَةٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الْأُولَى، وَهِيَ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾.

(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ أَخْرَجَ
الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ
خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ
الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].»

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا
يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ،
وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ.»

فَمِنْ هَذَا يُعْلَمُ أَنَّ مَا يَشِيعُ بَيْنَ النَّاسِ الْيَوْمَ مِنْ كُفَّانٍ وَسَحَرَةٍ
وَعَرَّافِينَ أَوْ دَجَّالِينَ مِمَّنْ يَدَّعُونَ الصَّلَاحَ، وَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنَ
الْغَيْبِ - إِنَّمَا ذَلِكَ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى. وَيَكْفِي قَوْلُ
الصَّادِقِ الْمُضْذَوِّقِ رضي الله عنه فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ: «مَنْ أَتَى
عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»^(١).

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا﴾ يُخْبِرُ رضي الله عنه عَنْ إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ بَرِّيَّهَا وَبَحْرِيَّهَا،
فَهُوَ خَالِقُهَا، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ وَلَا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ لَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾:
مَا مِنْ شَجَرَةٍ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا وَمَلِكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا يَكْتُبُ مَا يَسْقُطُ مِنْهَا.

(١) رَوَاهُ الْأَرْبَعَةُ وَالْحَاكِمُ، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أَيِ الْحَبَّةِ الْمَسْتُورَةِ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، سَوَاءً وَضَعَهَا الْإِنْسَانُ أَمْ لَمْ يَضَعَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ شَأْنَهَا، تَبَّتْ أَمْ لَا تَبَّتْ، بَخِيرٌ أَمْ بَشَرٌ، بِنَافِعٍ أَمْ بِضَارٍّ. كَذَلِكَ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ عِنْدَهُ عِلْمُهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى: أَنَّهُ يَتَوَقَّى عِبَادَهُ فِي مَنَامِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَهَذَا التَّوَقَّى الْأَصْغَرُ الَّذِي بَعْدَهُ اسْتِيقَاضُ مِنَ النَّوْمِ ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ أَيِ وَيَعْلَمُ مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالنَّهَارِ. وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ دَلَّتْ عَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِهِ تَعَالَى بِخَلْقِهِ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ فِي حَالِ سُكُونِهِمْ وَحَالِ حَرَكَتِهِمْ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُم فِيهِ﴾ أَيِ يُحْيِيكُمْ مِنَ الْمَوْتَةِ الصُّغْرَى فِي النَّهَارِ أَيِ أَنْ مَنْ نَامَ تُرَدُّ إِلَيْهِ رُوحُهُ فِي النَّهَارِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أَيِ لِيُسْتَكْمَلَ الْأَجَلُ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ ﷻ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيِ ثُمَّ تُرْجَعُونَ إِلَى اللَّهِ ﷻ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ، فَيُخْبِرُكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ وَيُطْلِعُكُمْ عَلَيْهَا، ثُمَّ يُجَازِيكُمْ بِهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ أَيِ هُوَ الَّذِي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ، فَخَضَعَ لَجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبَرِيَّائِهِ كُلُّ شَيْءٍ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أَيِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ بَدَنَ الْإِنْسَانِ، وَحَفَظَةً يَحْفَظُونَ عَمَلَهُ وَيُحْصُونَهُ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أَيِ حَتَّىٰ إِذَا احْتَضَرَ أَحَدُكُمْ وَحَانَ أَجَلُهُ تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، وَهُمْ أَغْوَانُ مَلِكِ الْمَوْتِ. ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أَيِ يَحْفَظُونَ الرُّوحَ وَيُنْزِلُونَهَا حَيْثُ شَاءَ ﷻ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَبْرَارِ فَفِي عِلِّيِّينَ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْفَجَّارِ فَفِي سَجِّيْنِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفُجُورِ وَعَاقِبَتِهِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾ أَيِ ثُمَّ يُرَدُّ جَمِيعُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَعْرِفُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ عِنْدَ الْبَعْثِ، وَيُشَاهِدُونَ مَا أَنْكَرُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنَّهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ الَّذِي كَانَ يُنْبِغِي لَهُمْ إِلَّا يَعْبُدُوا غَيْرَهُ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ﴾ أَيِ لَهُ الْحُكْمُ وَحْدَهُ يَوْمَئِذٍ، فَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ وَلَا مُعَقَّبَ، وَهُوَ يُحَاسِبُ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ سُبْحَانَهُ، فَلَا يَشْغَلُهُ حِسَابُ أَحَدٍ عَنْ أَحَدٍ.

(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ:

١- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَأْثَرَ بِعِلْمِ الْغَيْبِ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، لَا نَبِيًّا مُرْسَلًا وَلَا مَلَكًا مُقَرَّبًا.

٢- أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى شَامِلٌ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ، فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ وَالرَّطْبِ وَالْيَابِسِ.

٣- أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدَّرَ أَجَالَ النَّاسِ وَأَعْمَارَهُمْ، وَهُوَ يَتَوَفَّاهُمْ الْوَفَاةَ الصُّغْرَى وَهِيَ النَّوْمُ بِاللَّيْلِ، وَيَبْعَثُهُمْ بِالنَّهَارِ حَتَّى تَنْقُضِيَ أَجَالُهُمْ وَيَحِينُ وَقْتُ مَوْتِهِمْ.

٤- أَنَّ اللَّهَ ﷻ فَوْقَ عِبَادِهِ ظَاهِرٌ وَقَاهِرٌ، وَأَنَّهُ كَلَّفَ الْمَلَائِكَةَ بِحِفْظِهِمْ حَتَّى تَحِينَ أَجَالُهُمْ.

٥- أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ النَّاسَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ وَيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ.



المناقشة

١- اِشْرَحِ الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةَ:

مَفَاتِيحُ - ظُلُمَاتُ الْأَرْضِ - يَابِسٌ - يَتَوَفَّاكُم - يُفَرِّطُونَ.

٢- بَيْنَ مَعْنَى الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الْآيَةِ:

أ- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾.

ب- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم

بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾

ج- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ﴾.

٣- بَيْنَ مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ.



التوحيد

برنامج الدبلوم المستوى الثالث



المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرُّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ
 خَيْرِ مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الدِّينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. أَمَّا بَعْدُ:
 فَإِنَّ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، يَبَيِّنُ لهذه الأمة أُمُورَ
 دينها وأرشدَها إلى ما يُصلح دنيها وآخرتها.
 وَإِنَّ أَوَّلَ ما بدأ به - صلوات الله وسلامه عليه - الدعوة إلى شهادة
 أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولُ اللَّهِ. وهاتان الشهادتان هما أساسُ
 التوحيد.

ثم قام بالمحافظة على جناب التوحيد، وإبعاد الناس عن كلِّ
 ما هو مُؤَصِّل إلى الشرك، فنراه يَنْهَى عن الاستعاذة بغير الله تعالى،
 وعن السَّحر والرِّياء، وأرشد إلى التوكل على الله، ووضَّح كيف
 تكون طاعة العالم والأمير في الإسلام، ثم أمرنا بالاعتداء بنبِيِّه ﷺ،
 وطاعته والابتعاد عن كلِّ فتنةٍ بالتزام تقوى الله في كلِّ أحوالنا لنفوز
 بسعادة الدارين: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
 الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

إِنَّ طَالِبَ اللغة العربية - وقد وصل إلى هذا المستوى الدراسي،
 وهو العام الدراسي الثالث في معهد إعداد الدعاة - من حقِّه علينا
 أن نقدم له دروسًا في العقيدة الإسلامية، وفَقًّا لما يحتاجه منها في
 شؤون حياته وآخرته، وبما يتناسب مع مستواه الدراسي.

ولقد تمّ- على هذا الأساس - اختيارُ عشرة دروسٍ جامعةٍ تكون
له زادًا في طريقه لتحقيق العلم بإذن الله تعالى. وقد خُتم كلُّ درسٍ
بمفرداتٍ وتدريبٍ ومناقشةٍ تساعد الطالب على فهم الموضوع، وتزيدُ
في ثروته اللُّغوية.

والله من وراء القصد، وهو يهdy السبيل.

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ

الدَّعَاءُ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

المدرس: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الطلاب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

المدرس: لقد عرفنا- فيما مضى- الشهادتين، فمن يذكرهما؟

ياسر: الشهادتان هما قول المسلم: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».

المدرس: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ نَبِيَّهٖ مُحَمَّدًا ﷺ، بِأَنْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ دَعْوَةً وَاضِحَةً، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ أَنْ طَرِيقَهُ وَسُبُّتُهُ - هُوَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ - الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ فِي ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ وَبُرْهَانٍ، وَأَنَّهُ يُنَزِّهُ اللَّهَ وَيُعَظِّمُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكَ فِي أُلُوْهِتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَشُرَكَهُمْ.

مبارك: نريد آيةً فيها المعاني التي قُلْتَ لَنَا الْآنَ فِي شَأْنِ الدَّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

المدرس: ففي الدعوة إلى الله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

عبد الرحمن: ما معنى سبيلي؟ وما معنى على بصيرة؟

المدرس: معنى سبيلي: طريقي، وسُتِّي، ومعنى على بصيرة: على بينة من الأمر وعلى علم.

محمد: يقول المسلم: (سُبْحَانَ اللَّهِ) في أوقات كثيرة. فما المراد بهذا القول؟

المدرس: إِنَّ قَوْلَ الْمُسْلِمِ: (سُبْحَانَ اللَّهِ): تعبيرٌ فيه تعظيمُ الله تعالى؛ فكلمة (سُبْحَانَ): اسمٌ مصدرٍ، ومعناها: أَسْبَحَ اللهُ تَسْبِيحًا. فَأَنْزَلَ اللهُ وَأَقْدَسَهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ.

يونس: أريد أن أدعو الناس إلى الله، فما الذي علّني عمله؟

المدرس: جزاك الله خيرًا، هذا شعورٌ ممتازٌ نحو الدعوة إلى الله، عليك يا يونس، بل علينا جميعًا أن نكون - أولًا وقبل كل شيء - على بصيرة، أي: على بينة من الأمر الذي ندعو الناس إليه، فيعرف كلٌّ مِنَّا أركان الإسلام الخمسة، وكيف يطبقها بإحسانٍ، بالإضافة إلى أركان الإيمان الستة التي درستها سابقًا، ثم تستعين بالله وتدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة للدخول في دين الله.

فيصل: رأيت رجلًا على غير دين الإسلام. فبأي شيء أبدأ معه دعوتي؟

المدرس: تبدأ دعوتك له بالشهادتين، ثم تبين له معنى: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

أحمد: ههل بين الرسول ﷺ، للمسلمين طريقة دعوتهم إلى الله ﷻ؟

المدرس: نعم. لقد بين لنا الرسول محمد ﷺ، كيف ندعو الناس

إلى الإسلام، وإليكم الحديث الآتي: عن ابن عباس رضي الله عنه أن مُعَاذًا رضي الله عنه قال: بعثني رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ. وَآتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

محمد: هل هناك دليل على أن الإسلام واجب على الناس جميعًا؟

المدرس: نعم، إن الدليل على وجوب الإسلام على الناس أجمعين هو قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

عبد الرحمن: إلى أين ذهب مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه بالدعوة إلى الله؟

المدرس: لقد أرسل النَّبِيُّ ﷺ معاذَ بن جبلٍ رضي الله عنه إلى اليمن يدعو إلى الله سنة عشر من الهجرة.

مسعود: جاء في الحديث ذكرُ أهلِ الكتاب، فمن هم أهل الكتاب؟

المدرس: أهل الكتاب: اليهود والنصارى، الذين آتاهم الله تعالى التوراة والإنجيل، ثم أخذ عليهم العهد بالدخول في الإسلام، إذا جاءهم الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وترك ما هم عليه من الأديان التي حصل فيها التحريف بالزيادة والنقص، فأسلم بعض أهل الكتاب وكفر كثير منهم، فلا حُجَّةَ لهم إذ ذاك؛ لأنَّ النَّدَاءَ وصلهم، والتبليغ بالإسلام حصل، وما بقي لهم

(١) (متفق عليه).

إِلَّا أَنْ يُطِيعُوا مَنْ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

سليمان: إذا أقرَّ أحدُ الناس بالشهادتين، فماذا نأمره؟

المدرس: كما تقدم في حديث مُعَاذٍ رضي الله عنه، نخبره بأن الله كتب على المسلمين خمسَ صلواتٍ في كُلِّ يومٍ وليلةٍ، وزكاةً تُؤخذ من أغنيائهم فتَرَدُّ في فقرائهم، وبالإضافة إلى هذه الأركان الثلاثة التي جاءت في حديث مُعَاذٍ رضي الله عنه، نأمره بالصيام والحجَّ اللذين ذُكِرَا في نصوصٍ أخرى من الكتاب والسنة؛ لأنَّ الإسلام بُني على خمسةٍ أركان.

فيصل: فقال الرسول ﷺ «إِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ». فما معنى هذه العبارة؟

المدرس: وهذه وصيةٌ من المصطفى ﷺ، لمُعَاذٍ رضي الله عنه، وهي عامَّةٌ للمسلمين جميعاً، وخصوصاً مَنْ تَوَلَّى أمرَ الأموال، وجملةُ: «إِيَّاكَ وَالشَّيْءَ» تعني: احذرهُ، فهذا أسلوبٌ تحذير.

وكرائمُ الأموال: الجيدةُ منها، بل أفضلُها، وهذا جمعٌ لكلمة «كريمةٌ»، ونفهم من هذا التحذير أنَّ جامعَ الزكاة لا يتدبَّر بأخذ أجود الأموال عند جمعِ الزكاة لكنَّ إنَّ تطوَّعَ أحدُ الناس بذلك فلا بأس عليه حينئذٍ بأخذها.

عيسى: كم مرةً في السنة تجب الزكاة في عامَّةِ الأموال؟

المدرس: تجب الزكاة في عامَّةِ الأموال إذا حَال عليها الحَوْلُ، أي: مرَّةً واحدةً في السنة، وبلغتَ نِصَابًا، أي: مقداراً معلوماً، وبيَّأنه في كتب الفقه.

عمر فما المراد بقول النبي ﷺ: «وَاتَّقِ دُعَاةَ الْمَظْلُومِ»؟

المدرس: المراد بهذا القول: التحذير من الظلم، فكلمة (اتَّقِ): فعل أمر، وماضيه (اتَّقَى)، والمعنى: احذر عاقبة الظلم؛ لأنَّ المظلوم سوف يدعو الله على الظالم فيجيبه الله؛ إذ لا مانع ولا حاجز يحول بين دعوة المظلوم وبين الله رب العالمين ﷻ.

والآن أريد أن تذكروا لي بعض فوائد هذا الدرس.

مصطفى: لقد استفدنا -بفضل الله تعالى- من هذا الدرس عدّة فوائد منها:

- ١- يجب على المسلم أن يدعو الناس إلى توحيد الله على بصيرة .
- ٢- أنّ الدعوة الإسلامية تكون على مراحل، ابتداء بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.
- ٣- أنّ الإسلام دينٌ يحذّر من الظلم.
- ٤- أنّ أهل الكتاب عليهم أن يدخلوا في الإسلام، ويؤمنوا به قولاً واعتقاداً وعملاً؛ فهو دينُ الله إلى الناس جميعاً.
- ٥- على الداعي أن يتعد عن الشرك، وأن يتبرأ من المشركين؛ لأنّهم أعداء الله ﷻ.

اللغة

الدعاء: النداء، وهو الدعوة أيضًا، ومنه الفعل: دعا، يدعو.

برهان: دليل يؤكد ويشهد لما يقوله القائل من خبر.

افتراض: كتب - أمر - أوجب، كقولك: افترض الله الزكاة على الأغنياء.

حجاب: ممانع - حاجز - ساتر، كقولك: لا حجاب بين الله ودعوة المظلوم، أي: لا شيء يمنعها من الوصول إلى الله.

التدريب

استعمل هذه الكلمات في جمل مفيدة:

الدعاء - برهان - حجاب.

المناقشة

١- قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أ- من المخاطب بهذه الآية؟

ب- بين معنى: سبيلي - على بصيرة - اتبعني - سبحان الله.

ج- ما الذي يفيدُه قول الله تعالى: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}؟

٢- ما أول أمر ندعو إليه الناس من غير المسلمين ليدخلوا في الإسلام؟

٣- إلى أين ذهب معاذُ به جبل ﷺ، للدعوة إلى الله؟ ومن أمره بذلك؟ ومتى ذهب؟

٤- من أهل الكتاب؟ وهل يجب عليهم الدخول في الإسلام؟ اذكر الدليل على قولك.

الدَّرْسُ الثَّانِي

مِنَ الشِّرْكِ: الْإِسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى

المدرس: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ
أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾
الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ١-٦].

هذه السورة هي سورة الناس، وفي أول آية منها ذِكْرٌ للاستعاذة بالله تعالى.

يونس: ما معنى الاستعاذة؟

المدرس: الاستعاذة هي الاعتصامُ والالتجاء وطلب النَّصْر والحماية، وحقيقتها: البُعدُ عَمَّا يُؤْذِيكَ إِلَى مَنْ يَعْصِمُكَ ويحفظك، ومنها الفعل: عَاذَ يُعْذُو.

ولا يستعيذُ المسلم إلا بالله تعالى، لكنَّ أهل الجاهلية استعاذوا بغير الله فوقعوا في الشرك، قال الله تعالى:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦]: يُخبرنا الله ﷻ - في هذه الآية الكريمة - أَنَّهُ كَانَ رجال من بنى آدم يلجؤون (يعتصمون) إذا خافوا إلى رجال من الجن طلباً لحمايتهم من الأخطار، فزاد الإنسُ الجنَّ باستعاذتهم بهم طُغياناً وتكبراً، أو زاد الجنُّ الإنسَ باستعاذتهم بهم خوفاً وضلالاً وشدةً وسوءاً.

محمد: كيف كانت الاستعاذة الجاهلية؟

المدرس: لقد كان بعضُ الناس في الجاهلية يقولون- إذا نزلوا مكانًا-: نعوذ بسيّد هذا الوادي. يقصدون رئيسَ جنِّ الوادي، فتلك استعاذة جاهلية؛ لأنَّ الوادي لا يملكه كبيرُ الجنِّ أو صغيرُهم، فلا يجوز للمسلم أن يستعيذَ بغير الله، كالجنِّ أو الملائكة أو الأنبياء، أو الرجال الصالحين من أصحاب القبور وغيرهم. فَمَنْ فَعَلَ ذلك لم يزد إلا إثْمًا، ويجب على المسلم أن يفهم جيدًا أن الاستعاذة نوعٌ من أنواع العبادة، وصِرْفُ العبادة لغير الله تعالى شركٌ وضلالٌ مبين.

يحيى ههل وردت الاستعاذة في حديثٍ عن الرَّسُول ﷺ ؟

المدرس: نعم، إليكم الحديث الآتي: عن خَوْلَةَ بنتِ حَكِيمٍ رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ »^(١).
أسامة: ما معنى يَرْتَحِلُ؟

المدرس: يرتحل أي: يُغَادِرُ المكان- يُسَافِر، كقولك: ارْتَحَلْنَا لِلْعُمْرَةِ. والآن نريد بعضَ فوائد هذا الدرس. فمن يذكرها؟
عبد الرحمن: من درس الاستعاذة حصلنا على كثير من الفوائد، وأهمها:

- ١- أن الاستعاذة عبادةٌ ولا يجوز صرفها لغير الله
- ٢- أن من استعاذ بغير الله لم يزد إلا رَهَقًا وسُوءًا.
- ٣- أن المصطفى ﷺ، علّمنا الاستعاذة الشرعية، وهي أن يقول المسلم: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ».

(١) (رواه الإمام مسلم).

٤- أن الله يحفظ عباده الصالحين ويُعينُهُم من الشر.

ياسر: عرفنا معنى الاستعاذة بغير الله، لكن ما معنى الاستغاثة بغير الله؟

المدرس: الاستغاثة: طلبُ الإغاثة والإعانة، فإذا كان الطلبُ مُوجَّهًا لله تعالى، فهذه الاستغاثة عبادةً لله. وإن كان الطلبُ مُوجَّهًا لغير الله، مما لا يقدر عليه إلا الله، فهذه استغاثة شِرْكِيَّة، كالذي يفعلُه بعضُ أهل الجَهْل من دُعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم، وطلبِ الحوائج منهم، مع تقريب الذبائح والهدايا للقبور ظنًا منهم أن هذا العمل فيه شفاء للمريض أو عفو عن السيئات، ولكنَّه لا يزيدهم إلا بُعدًا عن التوحيد. وأما إذا كان طلبُ الإغاثة مُوجَّهًا للناس فيما يقدرُون عليه فهذا جائزٌ، ومن باب التعاونِ على الخير.

أحمد: إذا حصلت لي ضرورة، أو كنتُ في شدَّة، أفلا أستغيثُ بالرَّسُول ﷺ، وأطلب منه المَدَد؟

المدرس: ألم أقل لك أنَّ الاستغاثة بالأَمْوات شركٌ؟ بل عليك أن تتوجَّه إلى الله وحده بالدُعاء؛ ليكشف السوء، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَا لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

مسعود: ما معنى: الْمُضْطَرُّ؟

المدرس: الْمُضْطَرُّ: من وقع في ضرورة، أي الذي أصابه الضَّرُّ والسوء، والله يكشف السوء إذا استغاث به المؤمنُ وسأله ودعاه دعاء المسألة بإخلاص.

ومن الأمثلة: اللهم اكشف عَنَّا البلاء، اللهم نَجِّنَا من الأعداء.

اللغة

يُعُوذُونَ: فعل مضارع للجماعة الغائبين، ويقال: عاذ يعوذ، أي: اعتصم والتجأ وطلب النصر والحماية.

الجاهلية: الزمن الذي كان قُبْلَ الإسلام، وكُلُّ أمرٍ يُخالف الإسلام يُسمَّى جاهليةً أيضًا، أي: من عادات أهل الجاهلية وأفعالهم.

الوادي: المكان المنخفض من الأرض بين المرتفعات، ومثاله: وادي العقيق بالمدينة.

التَّامَات: الكاملات، اللاتي لا نقص فيهنَّ ولا عيب.

خُلَفَاء: جمع خليفة، وهو مَنْ خَلَفَ السابقين له في مُلْكٍ ونحوه

التدريب

استعمل هذه الكلمات في جمل مفيدة:

يُعُوذُ - الوادي - التامات.

المناقشة

- ١- يبين معنى الاستعاذة، واكتب آية تدل عليها.
- ٢- ما الذي كان يقوله أهل الجاهلية إذا نزلوا مكاناً؟
- ٣- ماذا حصل لرجال من الإنس لما استعاذوا بغير الله تعالى؟
- ٤- ما الدعاء الذي يقوله المسلم إذا نزل مكاناً؟
- ٥- استعاذ أحدُ الناس بصاحب قبر، فهل هذا العمل جائز؟ وما دليلك؟
- ٦- اكتب حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها، الذي قرأته في موضوع الاستعاذة، مع الضبط بالشكل.
- ٧- يبين معنى الاستغاثة، وكيف تكون شركيةً مرة، ومشروعة مرة أخرى؟
- ٨- إذا استغاث رجلٌ بقبر النَّبِيِّ ﷺ، أو طلب منه المدد، فما الواجب عليك أن تقول له؟ وما دليلك؟

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

حِمَايَةُ الْمُصْطَفَى ﷺ، جَنَابِ التَّوْحِيدِ

المدرس: أخذنا- في درسٍ مضى- التوحيد وأنواعه الثلاثة، وفي هذا الدرس نريد معرفة المحافظة على جناب التوحيد.

ياسر: ما معنى جناب التوحيد، وحمايته؟

المدرس: جناب التوحيد: مقامُ التوحيد ومنزلته، ومعنى حمايته: المحافظة عليه وحراسته والعناية به، ودفع كل قول أو فعل يخالف التوحيد.

مبارك: كيف حافظ الرسول ﷺ، على جناب التوحيد؟

المدرس: حافظ الرسول المصطفى ﷺ، على جناب التوحيد بأفعاله وأقواله، وكان حريصاً على المؤمنين، فإذا حصلت أخطاءٌ من بعض الناس في حق التوحيد نراه يغضبُ الله تعالى، ولا يرضى لعباد الله الوقوع في الشرك مهما كان صغيراً؛ وذلك رحمةً بالمؤمنين حتى يستقيموا في توحيدهم لله رب العالمين.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

أحمد: للامن الخطاب في قول الله تعالى: ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾؟

المدرس: الخطاب في الآية للمؤمنين المتبعين للرسول محمد ﷺ؛

بدليل قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

مسعود: فما معنى قول الله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؟

المدرس: إنَّ من معاني كلمة ﴿عَزِيزٌ﴾: شديد. ومعنى: ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: ما أصابكم من شدة، فيكون المعنى العام: شديدٌ على الرُّسول ﷺ، ويُحزنُهُ وَقُوعُكُمْ فِي الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ، وذلك بسبب مخالفة بعضكم لشرع الله.

سليمان: لو نهاني أحدٌ عن اعتياد زيارة قبر صديقي قائلاً: إنَّ اعتياد القبر يخالف جناب التوحيد. فهل هو على صواب؟

المدرس: نعم، إنَّه على صواب في هذه المسألة، ودليله الحديث الآتي: عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيْدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُ"^(١). فإذا كان النَّهْيُ عَنْ جَعْلِ قَبْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، عِيْدًا، فكذلك القبورُ بصفة عامة يشملها الحُكْمُ.

محمد: كيف تكون البيوتُ قُبُورًا؟

المدرس: هذا تشبيهٌ لحال البيوت بالقبور؛ فإنَّ القبور لا يُصَلِّي الناسُ فيها، بل يُصَلُّون في المساجد جماعةً. فإذا هُجرت البيوتُ بدون صلاة فيها-أي: صلاة النافلة- تكون حالها كحال القبور، إذن فعلينا أن لا نُصَيِّرَ بُيُوتَنَا مثل القبور بغير صلاةٍ فيها.

فيصل: ما معنى جَعْلِ الْقَبْرِ عِيْدًا؟

(١) رواه الإمام أبو داود بإسناد حسن.

المدرس: أُبَيِّنْ لَكَ أَوَّلًا مَعْنَى كَلِمَةِ (عِيدٍ): إِنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْاَعْتِيَادِ وَالْمُعَاوَدَةِ لِلشَّيْءِ فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ يَتَكَرَّرُ كُلُّ أُسْبُوعٍ أَوْ كُلَّ شَهْرٍ أَوْ كُلَّ سَنَةٍ مِثْلًا، وَيُطْلَقُ لَفْظُ الْعِيدِ عَلَى الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَالْاِحْتِفَالِ بِمُنَاسَبَةٍ مَعِينَةٍ، مِثْلَ: عِيدِ الْفِطْرِ وَعِيدِ الْأَضْحَى، وَيَحْتَفِلُ بَعْضُ النَّاسِ بِمُنَاسَبَةِ وَفَاةِ شَيْخٍ عِنْدَ قَبْرِهِ أَوْ بِمُنَاسَبَةِ مَوْلِدِهِ، وَيُسَمُّونَ هَذَا الْاِحْتِفَالِ ذِكْرَى أَوْ مَوْلَدًا، فَلَا يَجُوزُ مِثْلُ هَذَا الْاِحْتِفَالِ، وَهُوَ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا الْجَاهِلُونَ عِنْدَ الْقُبُورِ، وَيَدْخُلُ تَحْتَ النَّهْيِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قُبْرِي عِيدًا».

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ ﷺ: «الْعِيدُ مَا يُعْتَادُ مَجِيئُهُ وَقَصْدُهُ مِنْ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْمُعَاوَدَةِ وَالْاَعْتِيَادِ، فَإِنْ كَانَ اسْمًا لِلْمَكَانِ فَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يُقْصَدُ فِيهِ الْاجْتِمَاعُ لِلْعِبَادَةِ أَوْ غَيْرِهَا، كَمَا أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَمِنَى وَالْمُزْدَلِفَةَ وَعَرَفَةَ وَالْمَشَاعِرَ جَعَلَهَا اللَّهُ عِيدًا لِلْخُنَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَ«مَثَابَةً»: مَعَادًا، كَمَا جَعَلَ أَيَّامَ الْعِيدِ فِيهَا عِيدًا. وَكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَعْيَادُ زَمَانِيَّةٌ وَمَكَانِيَّةٌ، فَلَمَّا فَرَضَ اللَّهُ دِينَ الْإِسْلَامِ أَبْطَلَهَا وَعَوَّضَ الْحُنَفَاءَ بَدَلًا مِنْهَا عِيدَ الْفِطْرِ وَعِيدَ الْأَضْحَى وَأَيَّامَ مِنَى. كَمَا عَوَّضَ أَعْيَادَ الْمُشْرِكِينَ الْمَكَانِيَّةَ بِالْكَعْبَةِ وَمِنَى وَالْمُزْدَلِفَةَ وَالْمَشَاعِرَ». انتهى (١).

إِذَنْ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَّخِذَ النَّاسُ الْقَبْرَ عِيدًا، أَيْ: مَكَانًا يُزَارُ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ فِي زَمَنٍ مَخْصُوصٍ، وَأَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قُبْرِي عِيدًا»: لَا تُصَيِّرُوا قُبْرِي مِثْلَ الْعِيدِ الْمَكَانِيِّ، وَهَذَا النَّهْيُ عَنِ جَعْلِ الْقَبْرِ عِيدًا لَا يَعْنِي أَنْ يُنْمَعَ النَّاسُ مِنْ زِيَارَةِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ جَائِزَةٌ، لَكِنْ لَا نَجْعَلُ لَزِيَارَتِهَا أَوْقَاتًا مَخْصُوصَةً مِنَ السَّنَةِ أَوْ الشَّهْرِ أَوْ الْأُسْبُوعِ مِثْلًا؛ كَيْ لَا تَكُونَ عِيدًا.

أسامة: أَمَرَنَا الرَّسُولُ ﷺ، فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَائِلًا: «وَصَلُّوا عَلَيَّ»
فَمَا مَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ؟

المدرس: مَعْنَى هَذَا الْأَمْرِ: (قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ)،
وَهَذَا دَعَاءٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.
وَإِلَيْكُمْ الْآنَ خِلَاصَةُ الْحُكْمِ فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ:

لَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا الْمُصْطَفَى ﷺ، كَيْفَ نَحْذَرُ عِنْدَمَا نَزُورُ الْقُبُورَ بِقَوْلِهِ:
«لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا»^(١).

وَلَقَدْ كَانَتْ الزِّيَارَةُ لِلْقُبُورِ مَمْنُوعَةً، ثُمَّ جَاءَتْ الرِّخْصَةُ بِزِيَارَتِهَا،
فَقَالَ الْمُصْطَفَى ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا
تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ»^(٢).

وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ فَإِنَّ زِيَارَةَ الْقُبُورِ تَجُوزُ، وَهِيَ مِنَ السُّنَّةِ، لَكِنْ
مِنْ غَيْرِ أَنْ نَجْعَلَهَا عِيدًا - كَمَا تَقْدُمُ - وَعِنْدَ وَصُولِنَا إِلَى الْقُبُورِ نُسَلِّمُ
عَلَى أَهْلِهَا؛ اتِّبَاعًا لِّلْسُنَّةِ. وَنَدْعُو اللَّهَ لِأَهْلِهَا وَنُطَلِّبُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةَ
وَالْمَغْفِرَةَ.

وَقَدْ عَلَّمَنَا الرَّسُولُ ﷺ، صِيغَةَ السَّلَامِ وَالْدَعَاءَ فِي أَثْنَاءِ زِيَارَتِنَا
لِلْقُبُورِ، فَنَقُولُ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ،
وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلْآحِقُّونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ)^(٣). وَبَعْدَ الدَّعَاءِ
نَخْرُجُ مِنَ الْمَكَانِ وَلَا نَبْقَى وَقْتًا طَوِيلًا فِيهِ. وَهَذِهِ الزِّيَارَةُ تُذَكِّرُنَا الْآخِرَةَ
وَالْمَوْتَ، وَهِيَ زِيَارَةٌ مَشْرُوعَةٌ مُبَاحَةٌ.

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ.

(٢) الْحَدِيثُ عِنْدَ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ، وَالْحَاكِمِ، وَابْنِ مَاجَه.

(٣) رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ.

أما الزيارة الممنوعة فهي ما يفعله كثير من الجاهلين من أمور مخالفة للسنة، مثل: الصلاة إلى القبور أو الجلوس عليها، أو الاستعانة بأصحاب القبور أو وضع الأزهار والشُرُج عليها، وكذلك السفر من أجل القبور، فهذا كله مخالف للإسلام.

عيسى: قال المصطفى ﷺ: (وَصَلُّوا عَلَيَّ)، أوجب علينا أن نقول هذا الدعاء عند القبر فقط؟

المدرس: ككلاً؛ ألم تقرأ في هذا الحديث قول النبي ﷺ: «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»: أي سواء أكنّا قريين من القبر أم بعيدين جداً، فإنّ هذا التسليم وهذه الصلاة سيبلغان النبي المصطفى ﷺ، بأمر الله تعالى وعلمه، وهذا فضل من الله على نبيه ﷺ، وعلى المؤمنين.

بعد أن عرفنا معنى المحافظة على جناب التوحيد، نذكر بعض الفوائد من هذا الدرس، وهي كما يلي:

١- أن الرسول محمداً ﷺ، بشر - أي: إنسان من بني آدم - فضله الله تعالى بالرسالة، وقد حافظ على جناب التوحيد بقوله وفعله، ويحزنه وقوع المؤمنين في مخالفة جناب التوحيد.

٢- لا ينبغي لنا أن نُعطّل بيوتنا من صلاة النافلة، حتى لا تكون كالقبور.

٣- تعلّمنا كيف نزور القبور، وماذا نقول عند الزيارة.

٤- أن علينا أن نحذر مما يفعله بعض الناس المخالفين للسنة عند زيارتهم للقبور.

اللغة

حَرِيصٌ: محافظ، كثير الرعاية، وضد كلمة (حريص): مُهْمَل، ومثال لها: محمد حريص على دروسه وأخوه مهمل لها.

النَّافِلَة: العَطِيَّة عَنْ يَدٍ، والنافلة ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه، ومن ذلك نافلة الصلاة.

المَشَاعِر: المعالم التي نَدَبَ الله إليها وأمر بالقيام عليها، ومنه سُمِّيَ المَشْعَرُ الحرام، لأنه مَعْلَمٌ للعبادة وموضع، والمشاعر: مواضع المناسك.

الحُنْفَاء: جمع حَنِيف، وهو المائل إلى جهة دون غيرها. وسُمِّيَ المسلمون حُنْفَاء؛ لأنهم مالوا عن الشرك إلى جهة توحيد الله ﷻ.

السَّراج: المصباح المضيء، وجمعه: سُرُج.

اتَّخَذَ: فعل ماضٍ متعدِّدٌ لمفعولين، وهو بمعنى: جَعَلَ وصَيَّر، كقولك: لا تتخذ القبر عيدًا.

البدع: جمع بدعة، وهي ما جاء على غير مثالٍ سابق. والزيادة على الدين مما ليس منه يقال لها بدعة.

التدريب

استعمل هذه الكلمات في جمل مفيدة:

حريص - حنفاء - اتخذ.

المناقشة

١- قال النبي ﷺ: « لا تجعلوا بيوتكم قبورا.....» أكمل الحديث، مع الضبط بالشكل.

٢- رجل يصلّي إلى القبور، فما حكم صلاته؟ اذكر الدليل على قولك.

٣- بيّن معنى: حماية- المصطفى- جناب التوحيد- عيد- تبلغني- من أنفسكم- حيث كنتم- عزيز- حريص.

٤- حافظ النبي ﷺ، على جناب التوحيد. تحدث في هذا الموضوع بما لا يقل عن الصفحة.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

السَّحَرُ

المدرس: نريدُ- في هذا الدرس- أن نعرفَ أمراً من الأمور التي تُخالف جناب التوحيد، وتُوصل صاحبها إلى الشُّرك إذا لم يُتَّب منها؛ حتى نحذِر منه، ونعرف حقيقته وخطره على الناس، إنه السَّحَرُ.

عمر: ما معنى السحر؟

المدرس: السَّحَرُ لغةً: الأُخْذَةُ، وكلُّ ما لُطِف مأخذه: سببه، ودقُّ فهو سِحْرٌ، والجمع: أسحار وسُحور، والفاعل: ساحرٌ، وجمعه: سَحَرَةٌ. ومعنى السَّحَرُ شرعاً: صَرَف الشيء عن حقيقته إلى غيره في الظاهر، فكأنَّ الساحرَ لما جاء بالباطل وصوّر الشيء على غير حقيقته قد سَحَرَ الشيءَ عن وجهه، أي: قلبه بسخره.

أحمد: عرفنا أنَّ الفاعل للسَّحَر يقال له ساحرٌ، فَمَنْ الذي يأمره بهذا العمل الباطل؟ وكيف يأتي بالسَّحَر؟

المدرس: إنَّ السَّحَر فعلٌ خَفِيَّ السَّبب، ظاهرُ الأثر، يفعلُه من أطاع الشيطانَ وأشرك بالله تعالى، وإنَّ الشيطانَ هو الذي يأمر السَّاحِرَ بِعَمَلِ السَّحَر الذي يضر السَّاحِرِينَ ولا ينفعهم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴾ إلى أن قال الله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا

يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْئَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٠٢﴾:

ومن خلال هذا النص يتبين لنا أنَّ السَّحَر لا يَنْفَعُ مَنْ يَفْعَلُهُ، بل يَضُرُّهُ، ثم إنَّ الفاعلين للسَّحَر انصرفوا عن كتابِ الله تعالى، وأخذوا السَّحَر الذي تَقَوَّلَتْهُ الشَّيَاطِينُ.

مسعود: ما الفرق بين الفعلين: اشْتَرَى وشرى، من جهة المعنى؟

المدرس: إنَّ الفعلَ (اشْتَرَى) يعنى: دفع ثمنًا لشيء يأخذه من البائع، كقولك: اشتريت ثلاثة أقلام ودفعت الثمن ريالين، والمضارع من الفعل (اشْتَرَى): (يَشْتَرِي).

وأما كلمة: (شَرَى) فهي ضد اشْتَرَى، أي: باع ما عنده من شيء وأخذ ثمنه، كقول الله تعالى - في سورة يوسف: ﴿وَشَرَّوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠]: أي باعوه وأخذوا ثمنه دراهم معدودة، والمضارع من الفعل: (شَرَى): (يَشْرَى).

وعلى هذا المعنى، يكون في الآية الإخبار عن حال الذين اشتروا السَّحَرَ واستبدلوه بأنفسهم التي جعلوها ثمنًا للسَّحَر، فأوقعوها في العذاب الشديد، وذلك الخُسران المبين.

سليمان: مما معنى قول الله تعالى: ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾؟

المدرس: هذه جملةٌ مسبوقَةٌ بِنَفْيٍ، وكلمةُ (خَلَقَ) بمعنى: (حَظٌّ، أو دِينٌ، أو نصيبٌ). فمعنى الآية: أنَّ مَنْ اشْتَرَى السَّحَرَ، أي تعلَّمه أو عمل به ليس له من حظٍّ ولا دين ولا نصيب يوم القيامة؛ إذ يأتي الناسُ بحسناتٍ وهو لا شيء له منها، وذلك بسبب شِرْكَه بالله تعالى

وطاعته للشياطين في عمله بالسحر.

فيصل: هل السحر من كبائر الذنوب أم من صغائرها؟

المدرس: إنَّ السَّحَرَ من كبائر الذنوب؛ فإنه لا يأتي إلا بالشرك، وفاعله مشرك إلا من تاب إلى الله تعالى.

وإنَّ من آثار السَّحَرِ أنه يُفَرِّق بين المرء وزوجه، ويورث العداوة بين الناس.

ولا يقع السَّحَرُ إلا بإذن الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَّارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وإليكُم الدليل من السُّنَّة النبوية على تحريم السَّحَر، في حديث يُعرَفُ بحديث (السَّبعِ المُوبقاتِ): فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السَّبعِ المُوبقاتِ. قالوا: يا رسول الله. وما هُنَّ؟ قال: الشُّركُ بالله، والسَّحَرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحقِّ، وأكلُ الرِّبَا، وأكلُ مالِ اليتيم، والتَّوَلِّي يومَ الزَّحفِ، وقذفُ المُحصَناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ»^(١).

أسامة: ما المعنى الذي تُفِيده عبارة: «اجتنبوا السبع الموبقات»؟

المدرس: هذه الجملة تفيدُ النَّهْيَ عن الاقتراب من سبعِ سيئاتٍ كبيرةٍ، ولقد وصفهنَّ رسولُ الله ﷺ، بالموبقات، أي المُهْلِكَات، والموقعات صاحبهنَّ في العذاب بسبب ما اقترفه من الإثم.

إنَّ كلمة: اجتنبوا: تُفيد النَّهْيَ عن الاقتراب، وهي أشدُّ دلالةً في النَّهْيِ من كلمة (لا تفعلوا)، ومثالها قولك: اجتنب النار.

(١) (متفق عليه).

فيسل: ما أعظم ذنبٍ في هذه الموبقات؟

المدرس: ابتداءً النص بذكر أكبر الكبائر، أعني: الشرك بالله، والسحر، وهو محلُّ الشاهد في هذا الحديث، ثم جاء ذكرُ القتل بغير الحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، والقذف بالزنا ظلمًا وعدوانًا.

عيسى: ما الرِّبا الذي ذكر في السبع الموبقات؟

المدرس: الرِّبا زيادةٌ غيرُ مشروعةٍ في المال من طرقٍ محرمة، وهو أنواع:

فمنه: ربا الفضل: أي الزيادة في الكيل والوزن، كقول أحدهم: أعطني صاعاً من شعيرٍ أردُّه إليك صاعاً ونصفاً.

ومنه: ربا النسيئة: أي الزيادة في المال مقابل الأجل في الدين بين المحتاج وصاحب المال، كقول أحدهم: أعطني ألف ريالٍ أردُّها إليك بعد أجلٍ نسيئةً ألف ريال ومائة.

وهناك أنواعٌ كثيرةٌ من الرِّبا، نسأل الله تعالى أن يحفظ أموالنا منها.

ولقد حرّم الله هذه الأنواع من المعاملات في المال؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

عمر: من اليتيم؟

المدرس: اليتيم من الناس من مات أبوه وهو صغيرٌ دون البلوغ.

مصطفى: وما المراد بيوم الزَّحف، والتولي فيه؟

المدرس: إنَّ يوم الزحف هو يوم القتال بين المسلمين وأعدائهم، ولا

يجوز للمسلمين التولي، أي الفرار في ذلك اليوم، فيجب على المسلمين الثبات وعدم الفرار؛ قال الله تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

طارق: إن من السبع الموبقات قذف المُحصنات المؤمنات الغافلات، نريد بياناً حول هذه العبارة.

المدرس: إليك معنى هذه العبارة على النحو التالي:

إن كلمة (قذف): مصدر قَذَفَ يَقْذِفُ، أي: رَمَى يَرْمِي، كقولك: قذف الولد حجارة في الماء، أما معناها في هذا النص، فإنه: الرَّمْيُ بلفظٍ يكون أشدَّ من الحجارة؛ إنه الرمي بالزنا، كأن يقول أحدُ الناس لامرأة: «أنت زانية».

والمُحصنات: جمع مُحْصَنَةٍ، وهي الحرة العفيفة، وهذا وصف للنساء اللاتي أحصنهنَّ الله تعالى، أي: حفظهن من الوقوع في ما حَرَّمَ. وسواء كنَّ متزوجات أو غير متزوجات.

والغافلات: البعيدات عن الباطل من قولٍ أو فعلٍ، ومفردها: غافلة.

محمد: ما حكم الرجل السَّاحِر إذا لم يَثْبُ إلى الله؟

المدرس: إن السَّاحِر إذا لم يَثْبُ إلى الله، حكمه أنه كافرٌ ومشرِكٌ بالله تعالى، ويُقتل؛ قال جُنْدُب رضي الله عنه: «حُدَّ السَّاحِرُ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ»^(١).

والآن من يذكُر لنا بعضَ فوائد هذا الدرس؟

يونس: عرفت عِدَّةَ فوائد من دراستنا لموضوع السَّحر والسَّبْع الموبقات، ومنها:

(١) (رواه الترمذي).

١- أَنَّ المعاصي والذنوب سببٌ في وقوع صاحبها في الإثم والعذاب الأليم.

٢- أَنَّ السَّحَر من عمل الشيطان، وفاعله كافرٌ إلا مَنْ تاب.

٣- أَنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ، حَذَرْنَا من الوقوع في ما حَرَّمَ الله من أفعالٍ أو أقوالٍ كثيرة؛ ومنها: السبع الموبقات التي هي: الشرك بالله، والسحر، والقتل بغير الحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

٤- أَنَّ السَّحَر سببٌ في وقوع العداوة بين الناس.

٥- أَنَّ السَّحَر ليس من كرامات أولياء الله تعالى، بل هو من عمل الشيطان.

اللغة

يُضُر: يأتي بالسوء والخسارة ويؤذي، وعكس (يضر): يَنْفَع، أي: يأتي بالخير والفائدة.

بُئْسَ: ساء، وهذا اللفظ يأتي في أسلوب الذمّ، وضده: نِعَم، أي: حَسُنَ، يقال: بُئْسَ الرجلُ هذا إن كان كاذبًا، ونِعَمَ الرجلُ أخوكَ الصادقُ.

فئة: جماعة من الناس، والمثنى فِئتان، والجمع فِئاتٌ .

المعاصي: جمع مَعْصِيَةٍ، وهي مُخالفة الأمر، وضدها: الطاعة.

التدريب

استعمل هذه الكلمات في جمل مفيدة:

يضر - فئة - المعاصي.

المناقشة

- ١- يبين معنى السحر، ثم اذكر حكم العمل به مع ذكر الدليل.
- ٢- يوصف الساحر بأنه مشرك، فما سبب هذا الوصف؟
- ٣- اذكر حديث السبع الموبقات، مع الضبط بالشكل.
- ٤- اذكر المفرد للكلمات الآتية: الموبقات - المحصنات - الغافلات - المؤمنات - الفئات.
- ٥- هات عكس الكلمات الآتية: بُس - شرى - يضر - معصية.
- ٦- في موضوع مختصر تحدث عن السحر من جهة المعنى، والحكم والآثار الواقعة على الناس بسببه.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ

الِاسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ

المدرس: يُصلي المسلمون - في بعض الأوقات - صلاةً غير الفريضة تُسمَّى: صلاة الاستسقاء، ومناسبتُها أَنَّهُمْ يسألون الله تعالى أَنْ يُنْزِلَ إِلَيْهِمُ المَطَرَ ليسقي العبادَ والبلادَ، ويُجددون التوبةَ إِلَيْهِ سبحانه، وهذا عملٌ مشروعٌ، وفيه طلبٌ للحاجة والمطر من الله تعالى دون غيره، لكنَّ هناك قومًا من بني آدم يستسقون بالأنواء.

محمد: ما المراد بالاستسقاء بالأنواء؟

المدرس: إن كلمة (استسقاء): مصدرٌ دخلت عليه الهمزة والسين والتاء للطلب، فأصلُ الكلمة: سَقَيْ، والسَّقَايَةُ موضع السقي، فإذا قلت: استسقى الطفلُ، أي: طلبَ مِنَّا أَنْ نَسْقِيَهُ ماءً.

والأنواء: جمع نوء، وهي منازلُ النجوم التي تُعرف عن طريق النظر في سيرها والحساب عند جريانها في السماء بأمر الله تعالى.

وأصلُ الاستسقاء بالأنواء حاصلٌ من عادات الجاهلية الأولى؛ لأنَّ المشركين كانوا ينسبون نزولَ المطرِ إلى الأنواء، أي: إلى منازل النجوم أو القمر، قال الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

روى الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾: شُكْرُكُمْ ﴿أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾: وتَقُولُونَ: مُطْرُنَا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا».

فالمعنى على هذا: وتجعلون شكركم لله على ما أنزل إليكم من الغيث والرحمة أنكم تُكذِّبون: أي: تُسبِّونه لغير الله ﷻ.

يحيى: نحمد الله الذي جعلنا مسلمين وأمرنا بدعائه، وأخبرنا بأنه يستجيب لنا إن صدقنا معه في حياتنا كلها، لكن هل نتصور اليوم أن هناك من ينسب نزول المطر لغير الله؟

المدرس: نعم، هناك الكثيرون ممن ينسبون نزول المطر لغير الله تعالى، وبسبب هذا انقسم الناس: فقومٌ مؤمنون يقولون: إنَّ الفضل من الله، وقوم كافرون ينسبون نزول المطر لغير الله تعالى؛ وذلك لجهلهم بتوحيد الربوبية، فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرُنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرُنَا بنوء كذا وكذا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ»^(١).

عبد الرحمن: جاء في أول الحديث جملة: (صَلَّى لَنَا). أليست الصلاة لله تعالى؟

المدرس: بلى، إنَّ الصلاة لا تكون إلا لله تعالى، لكن هنا جاز إطلاق الـ «لام» لتقوم مقام الـ «باء» فيكون المعنى: (صَلَّى بِنَا

(١) (متفق عليه).

إمامًا). وكانت تلك الصلاة هي صلاةُ الفجر، في مكانٍ يُقال له (الحُدَيْبِيَّةُ)، وهذا موضعُ قُرب مكة، وفي تلك الليلة أنزل الله إليهم مطرًا.

أحمد: ما معنى (على إثر سماء)؟

المدرس: كانت صلاة الفجر على إثر سماء، أي: بعد نزول مطرٍ من السماء بفضل الله ورحمته.

بشير: مما معنى قول الله تعالى في الحديث القدسي: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»؟

المدرس: معنى هذا القول: أنه انقسم الناس إلى فريقين: مؤمنين وكافرين، فالمؤمنون يردُّون الفضل لله تعالى في نزول المطر، وأمَّا من قال: إِنَّ الْأَنْوَاءَ أَمْطَرْتَهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ وَمُكَذِّبٌ؛ إذ ينسب نزول المطر لغير الله تعالى.

ياسر: إذا كانت النجوم أو الأنواء لا تُنزل المطر، فما فائدتها إذن؟

المدرس: إِنَّنَا آمَنَّا بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ النُّجُومِ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. وَأَنَّ النُّجُومَ لَا أَثَرَ لَهَا فِي إِنْزَالِ الْمَطَرِ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ النُّجُومَ وَسَيَّرَهَا فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ خَرَّجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رحمته، في صحيحه عن قتادة معلقًا قوله: خَلَقَ اللَّهُ هَذِهِ النُّجُومَ لثَلَاثٍ: زِينَةً لِلْسَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيْبَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ». ومن هذا النص نستفيد أَنَّ النجوم لا دخل لها في نزول المطر؛ إنها: زينةٌ ورُجومٌ وعلاماتٌ.

فيصل: ما معنى كلمة (رُجُوم)؟ وما معنى (علامات)؟

المدرس: الرُّجُوم: جمع رَجَمٍ، وهو ما يرسله الله تعالى من السماء فيضيب به الشياطين، فيقضى عليهم.

وأما العلامات: فهي الدلالات التي يستدلُّ بها المسافر ليحدد جهة سفره بَرًّا أو بَحْرًا، فمن تأوَّل، أي: فسَّر النِّجم بغير ما ذُكر، فإنَّه قائلٌ على الله ما لا علم له به وضالٌّ عن سواء السبيل.

مبارك: يقول بعضُ الناس أنَّه من وُلد بنوء كذا أو في بُرج كذا فحظُّه سعيد، فهل هذا صحيح؟

المدرس: لا لا يعلم غيب السموات والأرض إلا الله، فالحظُّ السعيدُ علَّمُه عند الله، ثم إنَّ البروج - كما علمت سابقًا - لا تملك نفعًا ولا ضرًّا، ولا تُغيِّر في حظوظ الناس، بل علينا أن نَجِدَّ ونجتهد ونسعى نحو الحصول على السعادة من فضل الله، ونعملَ بالأسباب المشروعة التي نأمل أن تُوصلنا لسعادة الدنيا والآخرة، ولا ننظر إلى من يقرأُ الحظَّ ويتَّبِع البروج ويعتمد عليها، إنَّ المؤمن القوي يتعدَّى عن مثل هذه الأكاذيب وأفكار السوء، ويلتزم بالكتاب والسُّنة، وليعلم كلُّ منَّا أنَّه: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والآن نريد من يذكر لنا بعض الفوائد من هذا الدرس.

يونس: استفدنا من هذا الدرس أمورًا عظيمة منها:

١- أن الله هو الذي يُنزلُ الغيث، فلا يجوز لأحدٍ أن ينسب نزول المطر إلى النجوم ونحوها.

٢- عرَفنا الفرق بين قول أهل الجاهلية وقول المسلمين عند نزول المطر.

٣- أَنَّ الله خلق النجوم زينةً للسماء الدنيا، وعلاماتٍ يُهتدى بها،
ورُجوماً للشياطين.

٤- أَنَّ حظوظ الناس لا ترتبط بالبروج والأنواء.

اللغة

مُطَرَّنَا: فعل ماضٍ مبني للمجهول بمعنى: أنزل إلينا المطر.
تَكَلَّفَ: تَحَمَّلَ ما لا يستطيع أداءه من فعلٍ أو قولٍ إلا بالتعب الشديد.

تَأَوَّلَ: فَسَّرَ، وهذا فعل ماضٍ مصدره: تأوَّل: أي تفسير.
حَظ: نصيب وقسمة، وجمعه: حُظوظ.
البروج: جمع بُرْج: وهو منزل النجم أو القمر في حساب الأيام والأشهر والسنين.

التدريب

استعمل هذه الكلمات في جمل مفيدة:

مُطَرَّنَا - حظ - البروج.

المناقشة

- ١- اذكر معنى الاستسقاء بالأنواء. ثم بيّن حكمه مع ذكر الدليل.
- ٢- ماذا يقول أهل الجاهلية عند نزول المطر؟ وما الواجب علينا أن نقول إذا نزل المطر؟ وأي القولين فيه شرك؟ ولماذا؟
- ٣- بيّن معنى: الأنواء- مُطَرْنَا- الحُدَيْبِيَّة- تَكَلَّف- حظ.
- ٤- عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، قال: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صلاة الصبح...» أكمل النص، مع الضبط بالشكل.

الدَّرْسُ السَّادِسُ

التَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى

المدرس: إذا خرج أحدنا من بيته ذاهبًا لأمر من الأمور النَّافعة، فعليه أن يقول: (تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ)؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُعِينُهُ وَيُسَهِّلُ مَطْلَبَهُ فِي الْخَيْرِ.

عبد الرحمن: ما معنى التوكل على الله؟

المدرس: التوكل: الاعتماد على الله تعالى مع فعل الأسباب والاجتهاد في العمل الصالح، والاسم التُّكْلَان، وتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ: اعتمدتُ عليه مُفْتَقِرًا إِلَيْهِ. والوكيل من أسماء الله تعالى وهو الْمُقِيمُ الْكَفِيلُ بِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ، والوكيل الحافظ، وإذا قال الناس: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» أي: كافينا الله ونعم المولى.

أحمد: هل التوكل على الله عبادة؟

المدرس: أجل، إِنَّ التوكل على الله عبادة، بل هو فرضٌ على المؤمنين. وَصَرَّفَهُ لغير الله شَرَكٌ، واعلموا أَنَّ التوكلَ يجب إخلاصه لله تعالى؛ لَأَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَعْلَى مَقَامَاتِ التَّوْحِيدِ، بل جعله الله شرطًا في الإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وكلِّمًا قوي إيمانُ العبد كان توكله على الله أقوى وثقته بالله أشدَّ وحبُّه لله أصدق.

ياسر: إذا قال أحد الناس: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)، فما الذي يدعوه إلى هذا القول؟

المدرس: تتذكر يا ياسر، أننا قلنا: إِنَّ معنى: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»: كافينا الله ونعم المولى. وَأَنَّ الذي يدعو المؤمن إلى هذا القول ثَقَّتُهُ بالله تعالى واعتماده عليه، وهذا القول ينبغي أن نجعله حاضرًا في قلوبنا على كلِّ حال، وأن نُكثر ذكره حين يُصيب المسلم كَرْبٌ أو يقع في شِدَّةٍ وبلاء.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، قالها إبراهيم عليه السلام، حين أُلقي في النَّار، وقالها مُحَمَّدٌ عليه السلام، حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ^(١).

مبارك: ما مناسبة الآية لموضوع التوكل؟

المدرس: إن مناسبة الآية هي أَنَّ أحدَ الناس قال للمسلمين بعد غزوة أُحُد: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، يعنى: أبا سفيان ومن معه من مُشركي قريش، يُخَوِّفُ النَّبِيَّ عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم، لكنَّ المؤمنين لم يخافوا بهذا الوعيد وزادهم إيمانًا، وقالوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

مسعود: هل نفهم من هذه القصة التي حصلت بعد غزوة أُحُد أننا نتوكل على الله ولا نعملُ فيعطينا كلَّ شيء وينصرنا على أعدائنا؟

المدرس: كلا، إِنَّ هذه صفةُ العاجزين، والعجزُ مخالفٌ للتوكل على الله، بل علينا أن نعملَ ونبذلَ الأسبابَ المشروعة مع التوكل على الله؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) رواه الإمام البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ. وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

وخلاصة هذا المقام، أي: مقام التَّوَكُّلِ، أَنَّهُ عَلَى الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فِي حَيَاتِهِ، مَعَ الْإِسْتِمْرَارِ فِي الْعَمَلِ وَالْجِدِّ وَالنَّشَاطِ، ثُمَّ لِنَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ اللَّهَ نَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ الْوَكِيلُ فَهُوَ يَحْفَظُنَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَدْ تَكْفَّلَ بِرِزْقِنَا وَنَصْرِنَا عَلَى عَدُوِّنَا إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، وَنَهَانَا عَنِ الْقُعُودِ وَالْكَسَلِ وَأَمَرَنَا بِالسَّعْيِ الْجَادِ الْبِنَاءِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَرَفَ مَعْنَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وَقَامَ يَعْمَلُ فَإِنَّهُ عَابِدٌ لِلَّهِ وَمُتَوَكِّلٌ عَلَيْهِ.

والتَّوَكُّلُ هُوَ الْإِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَعَلَى الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَهْلُ الْإِيمَانِ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ فِي الْإِيمَانِ بِهِ وَنُصْرَةِ دِينِهِ وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَجِهَادِ أَعْدَائِهِ وَتَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالآن نَرِيدُ بَعْضَ فَوَائِدِ هَذَا الدَّرْسِ، فَمَنْ يَذْكُرُهَا؟

سليمان: من فوائد هذا الدرس:

١ - التَّوَكُّلُ عِبَادَةُ لِلَّهِ تَعَالَى.

٢ - عَلَيْنَا أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَنَعْمَلَ صَالِحًا وَلَا نُفْسِرَ التَّوَكُّلَ بِالْكَسَلِ وَالْقُعُودِ عَنِ الْعَمَلِ.

(١) رواه الإمام مسلم.

- ٣- المؤمن القوى خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف.
- ٤- أنَّ من يتوكل على الله يُعينه ويكفيه.
- ٥- عرفنا كيف يجب أن تكون حالُ المؤمنين في التوكل على الله ﷻ.

اللغة

تَكْفَّلَ: ضَمِنَ القيامَ بالأمر وإصلاح الشأن، وتعهَّد.

الكَرْبُ: الشَّدَّةُ في الأمر والحزنُ.

اخشَوْهُمْ: خافوهم، والخشية: الخوف، والمُسْنَد للغائب: خَشِيَ يَخْشَى.

الوَعِيد: التهديد بالعقوبة، والفعل (أَوْعَدَ)، وضده: الوعد بالخير والعطاء، والفعل (وعد).

العِزُّ: خلاف العِزْم، واسم الفاعل: العاجز الذي لا يقدر على شيء.

عَزَمَ: جَدَّ في الأمر، والعِزْمُ: الجِدُّ وإرادة الفعل، كقولك: عَزَمْتُ السفرَ إلى مكة.

حَرَصَ: الحِرْصُ: شِدَّةُ إرادة المطلوب، كقولك: أبوك حَرِصٌ - أو حَرِصٌ - عليك، أي: يريد نفعك، والطالب المجتهد حَرِصٌ على العلم.

التدريب

استعمل هذه الكلمات في جمل مفيدة:

الكرب - الوعيد - العجز.

المناقشة

- ١- اذكر معنى التوكل، مع آية تدل عليه.
- ٢- «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». ما معنى هذه العبارة؟ ومتى قالها النبي إبراهيم ﷺ؟ ومتى قالها النبي محمد ﷺ؟
- ٣- تحدث باختصار في قول المسلم: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، متذكراً معنى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ».
- ٤- عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب...» أكمل الحديث، مع الضبط بالشكل.
- ٥- بَيِّنْ معنى: (تَكْفَّلُ - الكَرْبُ - الوَعِيدُ - عَزَمَ - حرص)، مع ذكر أمثلة لها.

الدَّرْسُ السَّابِعُ

الرِّيَاءُ

المدرس: يقوم بعضُ الناس بأعمالٍ وعباداتٍ لله تعالى، فمنهم من يكون عمله بإخلاصٍ لله تعالى، وحده لا شريك له، وبعضهم يقوم بالعبادة رياءً، أو مع شيءٍ من الرِّياء.

فصل: ما معنى الرِّياء؟ وكيف يكون في العبادة؟

المدرس: الرِّياء لغة: معناه الإظهار، ومعناه شرعاً: فعلُ الخير بقصد أن يراه الناسُ ويحمدوه عليه، فترى المُرَّائي يُحسِّن العملَ أمام الآخرين، ولا يقصد طاعةَ الله بهذا التحسين للعمل.

أسامة: الصلاة عبادةٌ لله تعالى. فهل يحصل فيها رياءٌ؟

المدرس: نعم، قد يحصل الرِّياء من بعض الناس في أثناء الصلاة، كأن يُقوم الرَّجُلُ فيُصلِّي فيزيِّنُ صلاته لما يرى من نظَرِ رَجُلٍ، وقد يشتدُّ خطرُ الرِّياء على أحدهم فيصلُّ به إلى حالِ النِّفاق وهو يُرائي الناسَ بعمله.

وإنَّ من أهم أسباب الرِّياء: حُبُّ الظهور والرئاسة، وضعف الإيمان. وأخطرُ نتائج الرِّياء: عدمُ قبول الأعمال عند الله تعالى، وعدمُ الثقة بين الناس.

ولا تنسوا أنَّ الله تعالى جعل للأعمال المقبولة شرطين أساسيين، هما:

أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ صَالِحًا صَوَابًا مَشْرُوعًا مُوَافِقًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.
أَنْ يَكُونَ عَمَلًا خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى بَعِيدًا عَنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الشَّرِكِ كَبِيرِهِ
وَصَغِيرِهِ، وَمَنِ الشَّرِكِ الرَّيَاءُ.

عيسى: هل هناك دليلٌ يجمعُ هذين الشرطين للعمل المقبول عند الله؟

المدرس: نعم، إِنَّ الدليل على هذين الشرطين هو قول الله تعالى: ﴿قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ
رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن هذا النص نرى أَنَّهُ من أراد لقاء الله لقاء حسنًا ورجى ثوابه،
فإنَّ عليه أن يُخْلِصَ العمل لله وحده لا شريك له، مُتَّبِعًا فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ
مُحَمَّدًا ﷺ، فلا يُدْخِلُ فِيهِ شِرْكًَا أَوْ رِيَاءً، ولا يَخَالِفُ نصوص الكتاب
والسُّنَّةَ.

ولنعلم جيدًا أَنَّ الله تعالى غنيٌّ لا يحتاج إلى أَحَدٍ من خلقه، بل كُلُّ
الخلقِ بِحاجةٍ إلى الله ﷻ؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا
أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»^(١).

ومن هذا الحديث القدسي الذي يرويه الرَّسُولُ ﷺ، عن الله تعالى،
نفهم أَنَّهُ لا يجوز لأَحَدٍ أن يجعلَ نصيبًا من العبادة لغير الله تعالى، وَمَنْ
جعلَ لغير الله شيئًا من العبادة تركه الله وشركه، أي لا يُعْطِيهِ الثَّوَابَ
على تلك العبادة.

عمر: هل للرَّيَاءُ اسمٌ آخر؟

(١) رواه الإمام مسلم.

المدرس: نعم، إن الرياء يُسمى الشرك الخفي.

مصطفى: لم سُمِّي الرياء الشرك الخفي؟

المدرس: سُمِّي الرياء بهذا الاسم لأنه يخفى على كثير من الناس، أي: لا يظهر لهم قصد صاحبه، وتعلمون أن النية محلها القلب، فيخفى على الناس قصد الشخص المرائي في عبادته، ويظنون أنه مخلص لله تعالى في عبادته وسائر أعماله، لكن الله سيُجازيه على هذه السيئة العظيمة ويفضحه إما عاجلاً في الدنيا أو آجلاً في الآخرة إن لم يتب إلى الله تعالى ويترك الرياء.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن رأى رأى الله به»^(١).

طارق: ما معنى: «من سمع سمع الله به»؟

المدرس: سمع: فعل ماضٍ من السَّمْعَة، وهي قصد الإنسان بأقواله وأعماله أن يسمع الناس بها ليكرموه ويعظموه، وسمع الله به أي: فضحه وكشف أمره بين الناس في الدنيا والآخرة.

اللغة

يُزَيِّنُ: يُحَسِّنُ، يجعل الشيء حسناً، والمصدر (زينة).

يُخَادِعُونَ: يحاولون الخدعة، وهي الكذب وقلب الأمور.

كُسَالَى: جمع كسلان، وهو المَقْصُرُّ في عمله، وضده: النشط.

يرجو: يريد ويطلب مع خوفٍ من تقصيرٍ أو نقصٍ، كقولك: الصائم يرجو من الله الثواب.

أَغْنَى: الاسم تفضيل على وزن (أفعل)، وهي تعنى: أن الله لا يحتاج إلى أحد.

الشركاء: جمع شريك، والشريك من يكون له نصيب مع غيره في أمر من الأمور أو ملكٍ أو تجارة.

التدريب

استعمل هذه الكلمات في جمل مفيدة:

يُزَيِّنُ - يُخَادِعُونَ - الرِّيَاء.

المناقشة

- ١- يبين معنى الرياء، ثم اذكر أمثلة لأعمالٍ فيها رياء.
- ٢- اذكر شرطين لقبول الأعمال عند الله ﷻ.
- ٣- أكمل مع الضبط بالشكل: قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ..... أَحَدًا﴾.
- ٤- يبين معنى: يُزَيَّنُ - أَغْنَى - الشُّرَكَاء - السُّمْعَةُ.
- ٥- تحدث في موضوع مختصر عن الرياء، وأسبابه، ونتائجه.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ

طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ

المدرس: اعلّموا أيّها الطلاب الأعزاء أنه من أطاع العلماء والأمرأ في تحرّيم ما أحلّ الله أو تحليل ما حرّمه الله فقد اتّخذهم أرباباً من دون الله.

يحيى: من العلماء والأمرأ؟

المدرس: العلماء جمع عالم، وهو من تعلم أموراً من علوم الدين كالفقيه، وعمل بما يصلح نفسه والناس، والأمرأ جمع أمير، وهم الحُكّام الذين يحكمون البلاد.

يونس: ما معنى كلمة (أرباب)؟ وكيف يكون العلماء والأمرأ أرباباً؟

المدرس: إن كلمة أرباب هي جمع (ربّ)، والربُّ هو المالك والمتصرف في الأمر والنهي، وفي كلّ شيء، وإذا أُطلق اللفظ فهو لله ربّ العالمين.

ويكون العلماء والأمرأ أرباباً من دون الله إن أمروا الناس بما يخالف شريعة الله ﷻ: كجعل الحلال حراماً والحرام حلالاً، ونحن نعلم أن شرع الله لا يجوز تغييره، فكأنّهم جعلوا أنفسهم أرباباً من دون الله، ولا يجوز لهم أن يكونوا كذلك؛ لأنّهم شرّعوا للناس ما لم يأذن به الله تعالى.

محمد: هل حصل في قوم مثل هذه الحال، أعنى: الطاعة بما يخالف الدين؟

المدرس: أجل، لقد حصل في بني إسرائيل مثل ذلك فاتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، والحديث الآتي يذكر تلك الحال التي كانوا عليها:

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، أنه سمع الرسول ﷺ، يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...﴾ [التوبة: ٣١] قال عدي رضي الله عنه: قلتُ له: إنا لسنا نعبدُهم! قال: «أليس يُحرَّمون ما أحلَّ الله فتحرَّمونه ويُحلُّون ما حَرَّمَ الله فتُحلُّونه؟ قلتُ: بلى. قال: فتلك عبادتُهم»^(١).

وفي هذا الحديث يخبرنا عدي بن حاتم رضي الله عنه - أنه لما سمع النَّبِيَّ ﷺ، يقرأ تلك الآية من القرآن الكريم، والتي فيها ذُكر اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله. - والأحرار جمع حَبْرٍ، وهم علماء اليهود، والرهبان جمع راهبٍ، وهم علماء النصارى - استفهم رضي الله عنه، من النَّبِيِّ ﷺ، مُنْكَرًا عبادة اليهود والنصارى للأحرار والرهبان؛ ظناً منه أنَّ العبادة تكون بالركوع والسجود والتقرب لهم بالذبح وغيره، فأخبر النَّبِيَّ ﷺ، أن طاعتهم لهم التي كانت في تحريم الحلال وتحليل الحرام هي عبادتهم من دون الله، وذلك لأنَّهم جعلوهم شركاء مع الله في الطاعة والتشريع. وتركوا ما أمرهم الله به من التوراة والإنجيل.

يحيى: أنفهم من هذه القصة أننا لا نطيع أحداً في كل شأنٍ؟

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي.

المدرس: كلا، وإليك البيان الآتي: قال الإمام الشافعي رحمه الله: «أجمع العلماء على أن من استبانت، أي: ظهرت، له سنة رسول الله ﷺ، لم يكن له أن يدعها، أي: يتركها، لقول أحد».

إن طاعة العلماء والأمرأ واجبة علينا فيما أباحه الله وأحلّه، وممنوعة فيما حرّم، ثم إن طاعتهم بالمعروف من طاعة الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «على المزمء المسلم السَّمْعُ والطَّاعةُ فيما أحبَّ وكره إلا أن يؤمر بمَعْصيةٍ، فإن أمر بمَعْصيةٍ فلا سَمْعَ ولا طاعة»^(١).

عبد الرحمن: لو أمرتُ بفعل شيءٍ أراه حسناً لكنّه مخالفٌ للسُّنة، وعملتُ به طاعةً للأمرأ واحتراماً له، فهل عليّ إثمٌ؟

المدرس: أجل؛ إن الإثم يقع على كلّ من يخالف المصطفى ﷺ، وقصد طاعة غيره، ثم إن طاعة الرسول ﷺ، هي الدليل الواضح والبرهان الأكيد على المحبة الصادقة؛ لأنّ من شروط المحبة الصادقة للمرسلين: طاعتهم واتباعهم بكلّ ما جاء في رسالتهم من عند الله تعالى.

وتكون طاعة العلماء والأمرأ تبعاً لطاعة المرسلين التي هي - أوّلاً وآخرأ - طاعة لله ﷻ، وعلى هذا الأساس، فإن ميزان المحبة يكون عادلاً إذا حصل الاتّباع الصحيح، قال الله تعالى: ﴿فَلْإِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

(١) متفق عليه.

ياسر: هل ورد في السُّنَّة حديث يتضمن معنى هذه الآية؟

المدرس: نعم، لقد ورد في السُّنَّة أحاديث كثيرة تحمل معنى هذه الآية، منها الحديث الآتي: عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١).

وإذا كان الإيمان يتوقَّفُ على محبة المصطفى ﷺ، فإنَّ المحبة تتوقَّفُ - كذلك - على اتِّباعه والمحافظة على ما جاء به من عند الله ﷻ، فما من خير إلا دلَّ عليه وأمر به، وما من شرٍّ إلا نهى عنه وحذَّر منه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

وبعد هذا البيان الواضح في محبة المصطفى ﷺ، ووجوب طاعته يتبيَّن لنا أنه لا يجوز للمسلمين طاعة أحدٍ يخالفُ شرع الله، وسواء أكان من العلماء أم من الأمراء.

مبارك: أيقنُّ للعالم أو الأمير أن يضع تشريعاً يعمل به زيادةً على ما جاء في الكتاب والسُّنَّة؟

المدرس: لا يجوز للعالم أو الأمير أن يضع تشريعاً زيادةً على ما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

واعلم - أيضاً - أن العلماء والأمراء هم قادة الأمة، وعليهم الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ ليستقيم أمرُ البلاد والعباد، وهنا تجب علينا طاعتهم كما ذكرت لكم سابقاً، أي: في حدود الشرع، أمَّا إذا أحدثوا في الدين ما ليس منه فلا نقبله.

(١) متفق عليه.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هذا ما ليس منه، فَهُوَ رَدٌّ» ^(١).

أحمد: ما معنى (أحدث)؟ وما معنى (فَهُوَ رَدٌّ)؟

المدرس: إليك شرحًا موجزًا لمعنى هذا الحديث: أي من جاء بشيء حَدَثٍ (جديد) وأراد أن يجعله في هذا الدين الإسلامي، وهو ليس منه، ومخالفٌ له، فهو مردودٌ على صاحبه غيرُ مقبول. نسأل الله أن يُعيننا على اتباع المصطفى ﷺ، في كل أمور ديننا، وأن نعمل على طاعة العلماء والأمراء بما يوافق الإسلام.

والآن نذكر بعض ما يستفاد من هذا الدرس:

- ١- أن بنى إسرائيل جعلوا الأحرار والرهبان أربابًا من دون الله؛ بسبب تحريمهم الحلال وتحليلهم الحرام، وطاعتهم في ذلك.
- ٢- أن الإسلام أمرنا بطاعة العالم والأمير في المعروف.
- ٣- أن الله هو الذي يَشْرَعُ الأحكام ولا يجوز لنا تغييرها.
- ٤- أن محبة المصطفى ﷺ، تكون باتباع السُّنة، وترك البدعة.

(١) متفق عليه.

اللغة

اتَّخَذُوا: جعلوا، وهذا فعل ماضٍ مسند لضمير الجماعة الغائبين، وهو متعدٍ لمفعولين، كقولك: اتخذتُ الإسلام دينًا، واتَّخذت طلب العلم طريقًا.

أنكر: رفض، ولم يوافق، والمصدر: إنكار.

الشرعية: ما سن الله من الدين وأمر به، فهو شريعة وشرع.

أولو الأمر: أصحاب الشأن الآمرون، وهم الحكام أو الأمراء.

تنازعتم: اختلفتم في مسألة، والمصدر: تنازع.

أحسن تأويلا: أفضل مرجعًا وتفسيرًا.

المعصية: مخالفة الأمر وفعل المنهي عنه، وضدها: الطاعة واتباع الأمر وترك المنهي عنه.

التدريب

استعمل هذه الكلمات في جمل مفيدة:

أنكر - أولو الأمر - تنازعتم.

المناقشة

١- من العلماء والأمرء؟ تحدث باختصارٍ عن طاعتهم في الإسلام على هذي الكتاب والسنة.

٢- اشرح قول الله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، ذاكراً القوم الذين فعلوا ذلك.

٣- وضح كيف تكون محباً للرَّسُول محمد ﷺ، واذكر أدلةً على ما تقول.

٤- بيِّن معنى ما يلي: اتَّخِذُوا- أَحْبَار- رُهْبَان- أُمَرَاء- عُلَمَاء- أَرْبَاب- تنازعتهم- البدعة.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَغْيِيرُ الْإِسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

المدرس: فوجب على المسلمين احترام أسماء الله تعالى وتعظيمها وتكريمها، ومعرفة معانيها الدالة على عظمة الله ﷻ.

ولقد سبق أن عرفتكم - في أنواع التوحيد - توحيد الأسماء والصفات، فالله له الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهناك أسماء خاصة بالله تعالى لا يجوز أن تكون للناس، مثل: الرحمن، والحكم - بصيغة الاسم المفرد -، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا...﴾ [الأعراف: ١٨٠].

عبد الرحمن: وهل يكون في المسلمين من يخالف فلا يحترم أسماء الله تعالى؟

المدرس: قد يقع من كثير من المسلمين خطأ عظيم في حق أسماء الله تعالى: كأن يُسمِّي أحدهم ولده باسم خاص بالله تعالى، أو يُناديه قومه بكُنية لا يعرفون خطرَها.

ياسر: ما معنى الكنية؟ وما مثال تلك المخالفات في حق أسماء الله تعالى؟

المدرس: معنى الكنية: كلُّ اسم صُدِّرَ بـ «أَبٍ» أو «أُمٍّ»، وقد تكون بالأوصاف، مثل: أبي الفضائل، وقد تكون بالنسبة إلى الأولاد مثل: أبي شريح، وأمُّ أحمد، وتكون بما يُلبسه، أي: يصاحبه، مثل:

أبي هُريرة، وتكون للعلمية مثل: أبي بكر.

أما مثال المخالفات في حق أسماء الله تعالى، فهو كما يلي:

لقد حصل موقفُ أمام الرسول محمد ﷺ، فيه درسٌ لكل المسلمين، وهو في الحديث الآتي:

عن أبي شريح - هانئ بن يزيد ﷺ، أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ، مع قومه سمعهم يَكْنُونُهُ بأبي الحَكَم، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ فَلَمْ تُكْنِ أبا الحَكَم؟ فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال رسول الله ﷺ: ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟ قال: لي شريح ومسلم وعبدُ الله. قال: فمن أكبرهم؟ قال: قلتُ: شريح. قال: فأنت أبو شريح»^(١).

مبارك: لِمَ غَيَّرَ الرَّسُولُ ﷺ، كُنْيَةَ الرَّجُلِ؟

المدرس: غَيَّرَ الرَّسُولُ ﷺ، كُنْيَةَ الرَّجُلِ احتراماً لأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، ولأنَّهَا كُنْيَةٌ لَهُ بِاسْمِ خَاصٍ بِاللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ «الْحَكَمُ».

وجملة: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، تؤكد اختصاص الله تعالى بهذا الاسم، فهو ﷺ الْحَكَمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أحمد: ما معنى كلمة (الْحَكَم)؟

المدرس: الْحَكَمُ: هُوَ مَنْ إِذَا حَكَمَ لَا يُرَدُّ حُكْمُهُ، وَهَذَا اسْمُ خَاصٍ بِاللَّهِ تَعَالَى - كَمَا قُلْتُ لَكُمْ الْآنَ - فَاللَّهُ هُوَ الْحَكَمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. يَحْكُمُ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا بِوَحْيِهِ وَعِلْمِهِ بِهِمْ، وَفِي

(١) رواه الإمامان أبو داود والنسائي.

الآخرة يَحْكُم بينهم بالحساب بعدلِهِ وفضْلِهِ.

مسعود: وإذا سَمَّى أحدُ الناس ولَدَه بـ (عَبْدِ الحَكَم) أيجوز هذا؟

المدرس: نعم، يجوز أن نقول (عَبْدِ الحَكَم)؛ فهو مثل قولنا (عبد الله وعبد الرحمن).

سليمان: قُلْتُ لنا قبلُ: يجوز لنا أن نُسَمَّى أحدَ أبنائنا (عبد الحَكَم) و (عبد الرحمن). لكن كيف لو أراد أحدُ أن يُسَمَّى ابنه (عبد الرَّسُول)، أو (عبد النَّبِيِّ)، أو (عبد الكُعبَةِ)، أيجوز إطلاق هذا الأسماء على أبناء المسلمين؟

المدرس: كَلَّا، لا يجوز لأحد المسلمين أن يتخذ لولده اسمَ (عَبْدٍ) مضافاً لغير الله تعالى؛ فَإِنَّ هذه الأسماء تحمل معنى شِرْكِيًّا، ولو حصل لأحدهم مثلُ هذه الكُنية وجَب عليه أن يُغَيِّرَها في أقرب وقت ممكن احتراماً لأسماء الله تعالى.

فصل: فكيف بمن سُمِّي بـ (عَبْدِ المُطَلَب) قديماً؟ وقد قال الرَّسُول ﷺ: «أنا ابنُ عَبْدِ المَطْلَب»؟

المدرس: لا يجوز لنا إنشاء اسمٍ جديد يكون فيه العَبْدُ مضافاً لغير الله تعالى، وقد كان اسم (عبد المطلب) في الجاهلية، قال العلماء: إن قول النبي ﷺ: «أنا ابنُ عبد المطلب»: هذا ليس من باب إنشاء التسمية بذلك، وإنما من باب الإخبار بالاسم الذي عُرف به المسمَّى دون غيره، والإخبارُ بمثل ذلك على وجه تعريفِ المسمَّى لا يَحْرُمُ، وهذا هو الفرق بين إنشاء التسمية وبين الإخبار بذلك عَمَّن هو اسمه (عبد المطلب)، ومثله: عبد شمس أو عبد مناف: نخبرُ عنه

ولا نُسَمِّي به أبنَاءَنَا.

أسامة: للقد عرفتُ - بفضل الله تعالى - كيف يكون احترامُ أسماء الله تعالى، لكن كيف نغيّر - في هذا الزمن - أسماء بعضنا إن كانت مخالفةً للدين الإسلامي؟

المدرس: من كان اسمه مخالفاً للإسلام - حقيقةً - فعليه أن يختارَ لنفسه اسماً موافقاً للدين، ويُخبر المجتمع الذي هو فيه بالاسم الإسلامي الجديد، ويبيّن لهم سبب التغيير، ولا حرج عليه في هذا، إن شاء الله تعالى، وله أجرٌ عظيم.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَحَبَّ أَسمَائُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»^(١).

وختاماً لهذا الدرسِ أَذْكَرُ لَكُمْ بعضَ فوائده، وهي كما يلي:

يجب علينا احترام أسماء الله تعالى.

١ - من السُّنَّة تغييرُ الاسم أو الكُنية إن كان ذلك خاصاً بالله تعالى مثل: (الحَكَم).

٢ - لا يجوز لنا التسمي ب: عبدٍ، مضافٍ إلى غير الله تعالى، مثل: عبد شمس، عبد الرَّسُول.

٣ - تكون كُنية الرجل بـ (أبي) مضافٍ إلى أكبر أبنائه كأبي شُريح. وأبي عبد الله.

(١) رواه الإمام مسلم.

اللغة

احترام: تكريم وتعظيم، وهو مصدر للفعل احترام.

وَفَدَ: فعل ماضٍ بمعنى جاء، قدم مع وَفَدَ أي: مع جماعة، كقولك: وَفَدَ المسلمون إلى مكة- وَفَدَ الطلاب إلى الجامعة.

دعاه: ناداه، أو قال له: أقبل، والمضارع: يدعو.

أتوني: جاؤوا إليّ، والفعل المسند إلى الغائب: (أتى - يأتي).

لا حرج عليك: لا شدة، ولا ضيق عليك، فلا تقعُ بالإثم، كقولك: (لا حرج عليك في قَصْرِ الصلاة وأنت مُسافر).

التدريب

استعمل الكلمات الآتية في جمل مفيدة:

احترام- وَفَدَ- حكمتُ.

المناقشة

- ١- ما الواجب على المسلم نحو أسماء الله تعالى؟
- ٢- الصحابي هانئ بن يزيد رضي الله عنه، ما كُنْيته الأولى؟ وبأي كُنْيَةٍ أبدلت؟ وما سبب تغيير كُنْيته الأولى؟
- ٣- أتحب أن تكون لك كُنْيَة؟ اذكرها.
- ٤- «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ». من قال هذه العبارة؟ وما معناها؟
- ٥- ماذا كان يفعل هانئ بن يزيد رضي الله عنه، مع قومه؟
- ٦- أيجوز أن نسَمِّي أحدَ أبنائنا باسم عبدٍ مضافٍ لغير الله تعالى. مثل: (عبد النبي، عبد الرسول)؟ ولماذا؟
- ٧- تحدث باختصار عن:
 - أ- احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك.
 - ب- معنى الكنية، وبعض أمثلتها.

الدَّرْسُ الْعَاشِرُ

مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرٌ لِلَّهِ تَعَالَى، أَوْ الْقُرْآنِ، أَوْ الرَّسُولِ ﷺ

المدرس: بعضُ الناس - غير المؤمنين - إذا سمعوا شيئاً فيه ذكرُ الله تعالى، أو القرآن الكريم، أو الرسول ﷺ، قابلوهُ بالهزلِ واللَّعبِ وعدمِ الاهتمام وعدمِ التكريم، وكلُّ ذلك فيه اتباعٌ للشيطان ومُحاربةٌ للحقِّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عيسى: ما معنى (الهزل)؟

المدرس: إنَّ الهزل: هو اللُّعبُ وعدمُ الجِدِّ، ومنهُ أيضاً الاستهزاء والسُّخْريةُ وعدمُ الاهتمام بالأمر، يقال: هَزَلَ يَهْزِلُ: إذا لعب ولم يكن جاداً في الأمر وسخر، وإذا استَهْزَأَ ولم يحترم غيره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

عمر فوهِلَ حصل من أحدٍ أَنَّهُ استَهْزَأَ بالإسلام زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ؟

المدرس: نعم، حصل الاستهزاء بالإسلام والمسلمين كثيراً، ولكنَّ الله نصر عباده المؤمنين، فلم يضرَّهم مَنْ استَهْزَأَ بهم.

ولقد أنزل الله تعالى آياتٍ ليفضحَ شأنَ المنافقين الذين استهزؤوا بالله تعالى وآياته ورُسُوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزْءُوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ

أَيُّ اللَّهِ وَعَائِيَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا
مُجْرِمِينَ ﴿التوبة: ٦٤-٦٦﴾.

وفي نزول هذه الآيات قصة حصلت في غزوة تبوك.

مصطفى: حبذا لو ذكرت لنا ما حصل في ذلك الوقت بهذا الشأن.

المدرس: روى الإمام الطبري عن زيد بن أسلم: أَنَّ رَجُلًا
مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَالَ لِعَوْفِ بْنِ مَالِكٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا لِقَرَّائِنَا هَؤُلَاءِ
أَرْغَبْنَا بَطُونًا وَأَكْذَبْنَا أَلْسِنَةً وَأَجَبْنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ؟! فَقَالَ لَهُ عَوْفٌ: كَذَبْتَ،
وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَا خَبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَقَالَ زَيْدٌ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ:
فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ، يَقُولُ:
﴿إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، فَيَقُولُ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿أَيُّ اللَّهِ
وَعَائِيَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾^(١).

طارق: هل نفهم من هذه القصة أن الاستهزاء بالدين كفر؟

المدرس: أجل، وتجب على من فعل ذلك التوبة.

يونس: ما الذي يدعو المنافقين إلى قولهم السوء، وإلى الطعن

في المؤمنين؟

المدرس: إنها العداوة في قلوب أعداء الله، وكثيراً ما تظهر
كلمة السوء على ألسنة أهل التَّفَاق، وما تُخفي صدورهم أكبر.

محمد: ما معنى قول ذلك المنافق: (ما لِقَرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبْنَا

(١) تفسير الطبري: التوبة: ٦٤-٦٦.

بُطُونًا، وأَكْذَبْنَا أَلْسِنَةً، وَأَجَبْنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ؟!!

المدرس: هذه مقالة استهزاء بالمسلمين، وإليك معاني مفرداتها:

قُرَأَ: جمع قارئ، وهو من يَتْلُو القرآن.

(أَرْغَبَ وَأَكْذَبَ وَأَجَبَ): هذه كلمات على وزن أَفْعَلَ التفضيل أراد بها قائلها شتم المؤمنين.

فأراد بكلمة (أَرْغَبْنَا بُطُونًا): أي أكثرنا رغبةً وحُبًّا للأكل وملء البطون. وأراد بكلمة (أَكْذَبْنَا أَلْسِنَةً): أي أكثرنا كذبًا في الكلام.

وأراد بكلمة (أَجَبْنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ): أي أكثرنا جُبْنًا وخوفًا عند اللقاء: لقاء الأعداء في القتال.

يَحْيَى ههل يُوصف صحابة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بهذا الوصف أو بعضه؟

المدرس: كَلَّا، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ مَقَالَةُ الْمَنَافِقِ الَّذِي يُظْهَرُ الْإِسْلَامَ وَيُخْفِي الْكُفْرَ فِي قَلْبِهِ؟ كَيْفَ يَكُونُ الصَّحَابَةُ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَهُمْ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الْجُوعِ وَكَانُوا يَقْتَسِمُونَ الْقَلِيلَ مِنَ التَّمْرِ فِيكَفِهِمْ؟ وَكَيْفَ يَكُونُونَ كَاذِبِينَ وَهُمْ الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ؟ وَكَيْفَ يَكُونُونَ جُبْنَاءَ وَهُمْ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى تَبُوكَ لِلْقَاءِ الْأَعْدَاءِ وَقِتَالِهِمْ؟ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَصِفَ الصَّحَابَةَ بِمَا يَنْقُصُ حَقَّهُمْ؛ إِنَّ حُبَّهُمْ جَمِيعًا عِلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِيمَانِ، وَإِنَّ بَغْضَ أَحَدِهِمْ أَوْ الْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ عِلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ.

عبد الرحمن: تَعَلَّقَ الْمَنَافِقُ بِحَقَبِ النَّاقَةِ تَنْكِبُهُ الْحَجَارَةُ. مَا مَعْنَى (حَقَبِ النَّاقَةِ) وَ (تَنْكِبُهُ الْحَجَارَةُ)؟

المدرس: مَعْنَى حَقَبِ النَّاقَةِ: الْحِزَامُ، يُشَدُّ بِهِ الرَّحْلُ فِي بَطْنِ

البعير، ومعنى (تَنْكُبُهُ الحَجَارَةُ): أي تُصِيب الحَجَارَةُ قَدَمَيْهِ فتؤذيها، فهو مَنْكُوبٌ.

ياسر: كان المنافقُ يقول: (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ). فما معنى نخوض؟

المدرس: هذا فعل مضارع مسند لضمير الجماعة المتكلمين، والأصل فيه: خاض يخوض خوضاً، أي: سار في الماء، فشَبَّه حديثهم واستهزاءهم بالمسلمين بالخوض في الماء واللعب فيه، كحال الأطفال اللاعبين.

مبارك: هل قُبِلَ اعتذارُهُم بكلمة: (نَخُوضُ وَنَلْعَبُ)؟

المدرس: كلاً، لم يقبل الله هذه المقالة الكاذبة منهم، بل قال لهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦].

وإليكم الآن بعض ما يُستفاد من هذا الدرس:

- ١- أَنَّ سَبَّ الدِّينِ وَأَهْلِهِ مِنْ عِلَامَاتِ النِّفَاقِ.
- ٢- وَجُوبُ الْمَبَادَرَةِ إِلَى إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ وَكُشْفِ أَعْدَاءِ الدِّينِ.
- ٣- إِبْثَاتُ مُعْجَزَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، حِينَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِالْخَبَرِ قَبْلَ وَصُولِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ.

اللغة

- المستهزئون:** الساخرون، والذين لا يحترمون غيرهم.
- الله يفضح المنافقين:** أي يكشف أسرارهم وما في قلوبهم.
- إِنْ نَعَفْ:** إِنْ نُسَامَحْ، ونَعَفْ: فعل مضارع مجزوم، والمسند للمفرد: (عفا - يعفو)، ومصدره: عَفُوٌّ.
- المبادرة:** المسارعة والابتداء بأقرب وقت، والفعل: بادر، كقولك: (بادر المؤمنون إلى الجهاد)، أي: سارعوا.
- طائفة:** فرقة من الناس أو جماعة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

التدريب

- استعمل الكلمات الآتية في جمل مفيدة:
- المستهزئون - يفضح - يعفو.

المناقشة

١- ما حكم من استهزأ بشيء فيه ذكر الله تعالى، أو القرآن، أو الرسول ﷺ؟

٢- ماذا قال المنافق في وصف المؤمنين؟ وهل هو على حق؟ اذكر دليلاً على ما تقول.

٣- استخرج ثلاثاً مما يُستفاد من قول الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ [التوبة: ٦٥].

٤- هل قبل الله تعالى اعتذار المنافقين؟ وما دليلك؟

٥- بين معنى: هَزَلَ - طَائِفَةٌ - أَرْغَبَ بُطُونًا - أَكْذَبَ - أَجَبَنَ.

تَمَّ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى

مِنْ دُرُوسِ التَّوْحِيدِ

وَصِيَّةٌ لِطَالِبِ الْعِلْمِ

الحمدُ لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على
رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين.

أما بعدُ: فعلى طالبِ العلم أن يهتمَّ بالأُمور الآتية:
أن يحفظ الأدلةَ من الكتاب والسنة بعد أن يعرف معاني المفردات
والشرح.

أن يعمل بهذه الدروس عملاً صواباً وخالصاً لله تعالى.
أن يُجيب عن المناقشات الواردة فيها عند نهاية كل درس.
أن يدعو الناسَ إلى الحق أينما كان، وتكون دعوته الإسلامية على
بصيرة.

أن يحتفظ بهذه الدروس أو يهديها لمن أحبَّ، ولا يلقِيها على
الأرض لما فيها من ذِكْرِ الله تعالى.
وفق الله الجميعَ لما يحبه ويرضاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ
العالمين.

تاريخ الخلفاء الراشدين

برنامج الدبلوم المستوى الثالث



مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه سيد الأولين والآخرين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعدُ:

فقد حمل راية الإسلام بعد انتقال النَّبِيِّ ﷺ، إلى الرفيق الأعلى خلفاؤه الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ رضي الله عنهم، فضربوا أروع الأمثلة في الإخلاص والأمانة والورع، فتمكن المسلمون في عهدهم من القضاء على حركة المُرْتَدِّين في جزيرة العرب، وفتح الفتوح الواسعة حتى امتدت رُقعة الدولة الإسلامية في أقلَّ من ثلاثين عامًا من تُرْكِسْتَان شرقًا إلى أواسط شمال إفريقيا غربًا، ومن أواسط آسيا الصغرى (تركيا) شمالًا إلى بلاد الثُّبَّة جنوبًا، وقد عامل المسلمون سكان البلاد التي فتحوها بما يأمر به الدينُ الحَنِيفُ من عدلٍ وتسامح وإصلاح، فأزالوا ظلم الأكاسرة والقيصرة الذي كان يُثقل كواهل أولئك السكان، وحققوا الأمن للجميع في أنفسهم ودياناتهم وأموالهم، وبذلك المعاملة الطيبة سارع الكثيرون إلى اعتناق الإسلام وتعلَّم اللغة العربية التي ورَدَت تعالىمُه العظيمة بها.

وهذه نبذة تاريخية مختصرة في تاريخ الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين، وهي مقرَّرة على طلبة المستوى الثالث في معهد إعداد الدعاة، وقد وضحنا فيها نسب كلِّ خليفة، ومولده، وإسلامه، وفضله، وبيعته، وأسلوبه في الحكم، وأهم أعماله، وخُتم كل موضوع

بأسئلة مُتنوعة شملت ما دُرس فيها، إضافةً إلى بعض الأسئلة اللُّغوية.
وفي الختام نسأل الله أن ينفع بها الطلاب، وأن يجعلَ عملنا هذا
خالصًا لوجهه إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.



أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه

(١١-١٣هـ / ٦٣٢ - ٦٣٤م)

نَسَبُهُ وَمَوْلِدُهُ:

هو: عبدُ اللهِ بنُ عثمانَ بنِ عامرِ بنِ عمرو بنِ كُعبِ بنِ سعدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ، يلتقي مع الرسول ﷺ في مُرَّةَ، وهو الجدُّ السادس له ﷺ، ووصفه الرسول ﷺ، بالصِّدِّيقِ عقبَ حادثة الإسراء والمعراج؛ إذ صدَّقه حين كذَّبه المشركون: «عندما أُسري بالنَّبِيِّ ﷺ، إلى المسجدِ الأَقْصَى، أصبح يتحدث الناسُ بذلك، فازتدَّ ناسٌ ممن كانوا آمنوا به وصدَّقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟! قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن قال ذلك لقد صدق. قالوا: أو تُصدِّقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبح؟! قال: نعم، إني أصدِّقه فيما هو أبعدُ من ذلك، أصدِّقه بخبر السماء في غَدْوَةٍ أو رَوْحَةٍ. فلذلك سُمِّيَ أبا بكر الصديق»^(١).

وُلِدَ ﷺ، بمكة بعد مولد الرسول ﷺ، بستين وأشهر ونشأ فيها.

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني المجلد الأول رقم ٣٠٦، أخرجه الحاكم في المستدرک ٦٣، ٦٢ / ٣.

إِسْلَامُهُ وَبَعْضُ مَشَاهِدِهِ:

كان أبو بكر رضي الله عنه، سريع الاستجابة لدعوة الرسول ﷺ؛ فقد عُدَّ أبو بكر الصديق أولَ مَنْ آمَنَ مِنَ الرِّجَالِ ^(١)، وقد أخبر النَّبِيُّ ﷺ، أنه لما بُعِثَ كَذَّبَهُ النَّاسُ وَصَدَّقَهُ أَبُو بَكْرٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي» مرتين ^(٢).

وقد صَحِبَ النَّبِيُّ ﷺ، فِي هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٤٠].

وشهد المشاهدَ كُلِّهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

وكان يُتَاجَرُ بِالثِّيَابِ وَبَلَغَ رَأْسُ مَالِهِ حِينَ أَسْلَمَ، أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَنْفَقَهَا عَلَى مَصَالِحِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَخَاصَّةً فِي عِثْقِ رِقَابِ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْأَرْقَاءِ ^(٣) مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وكان النَّبِيُّ ﷺ، يَقْضِي فِي مَالِ أَبِي بَكْرٍ كَمَا يَقْضِي الرَّجُلُ فِي مَالِ نَفْسِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ، مَدَى إِفَادَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ ذَلِكَ: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ».

وقد بَشَّرَهُ الرَّسُولُ ﷺ، بِالْجَنَّةِ وَتَرَكَ خَوْخَةَ ^(٤) دَارِهِ مُشَرَّعَةً عَلَى الْمَسْجِدِ

(١) فتح الباري ٧/ ١٧٠.

(٢) فتح الباري ٧/ ١٨.

(٣) جمع رقيق وهو المحلول.

(٤) الخوخة: باب صغير ينفذ منه إلى المسجد.

دون بقية الصحابة، وأمره بأن يؤمَّ الناس في الصلاة خلال مرضه وكان موضع مشورة النبي ﷺ، وقد صاهره بأن تزوج ﷺ، ابنته عائشة ﷺ^(١).

صِفَاتُهُ وَفَضْلُهُ:

أما عن صفاته ﷺ، فيمكن تقسيمها إلى قسمين :

١ - الصِّفَاتُ الْخُلُقِيَّةُ

وصفته ابنته عائشة ﷺ، فقالت: «كان رجلاً أبيض نحيفاً خفيف العارضين^(٢) أجناً^(٣) قليل لحم الوجه غائر^(٤) العينين ناتئ الجبهة (أي: بارزها) عاري الأشاجع» (أي: الأصابع)^(٥).

٢ - الصِّفَاتُ الْخُلُقِيَّةُ

كان ﷺ، أوَّاهاً^(٦)، شديد الحياء، كثير الورع، حازماً مع رحمة، يحفظ شرفه وكرامته، وكان غنياً بجاهه وأخلاقه، ولم يؤثّر عنه عبادة الأصنام، وأثر عنه الأخلاق الطيبة.

وقد أجمع أهل السنة على أنّ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ.

وكان ﷺ، حكيماً؛ فقد ظهرت حكمته ورباطة جأشه في مواجهة مُصاب الأمة بوفاة النبي ﷺ، كما ظهرت شخصيته القوية وجنّته السياسية في اجتماع السقيفة.

(١) عصر الخلافة الراشدة، للدكتور: أكرم ضياء العمري ص ٦٣.

(٢) خفيف العارضين: العارض صفحة الخد، والمراد خفيف شعر الخد.

(٣) أجناً: الأحذب، وكذلك يطلق على انحناء ما بين الكتفين على الصدر.

(٤) غائر العينين: أي عيناه داخلتان في رأسه.

(٥) الخلفاء الراشدون، أمين القضاة ص ١٥.

(٦) أوَّاهاً: الأواه كثير الدعاء، وكذلك رحيم القلب ورقيقه.

وقد عَبَّرَ عن تواضع جَمٍّ وزُهْدٍ في الخلافة حين رُشِّحَ ^(١) لها وذلك في خُطْبَتِهِ التي خُطِبَها في الناس بعد البيعة ومما جاء فيها: «إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيرِكم... الخُطْبَةُ» ^(٢).

ومع علمه بالقرآن والسُّنَّةِ وفهمه لمقاصد الشرع وأحكامه فقد كان كثيرَ الاستشارة للصحابَةِ، وكانت الرحمةُ تغلب على آرائه؛ فقد أشار بقبول المفاداة من أسرى بدرٍ ^(٣).

الْبَيْعَةُ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِالْخِلَافَةِ

بعد وفاة النَّبِيِّ ﷺ، اجتمع الأنصار في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ لاختيار خليفة منهم، فحضر إليهم نفرٌ من المهاجرين، ومنهم أبو بكر الصديق، وعمرُ بنُ الخطاب، وأبو عُبَيْدَةَ عامرُ بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتكلم أبو بكر ويثِّن فضلَ الأنصار، وقال: «لقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين فبايعوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ». فأخذ بيد عمر بن الخطاب، وبيد أبي عُبَيْدَةَ بن الجراح، فقال عمر بن الخطاب: «يا معشر الأنصار أَلَسْتُمْ تعلمون أنَّ رسولَ الله ﷺ، قد أَمَرَ أبا بكر أن يؤمَّ الناسَ، فأَيُّكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر». فقال الأنصار: «نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر» ^(٤).

فقد استدل عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بأحقِّية أبي بكر بالخلافة بعد أن ذَكَرَهُم بأمر الرسول ﷺ، أن يؤمَّ الناسَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فطلب عمرُ من أبي بكر أن يَسْطِ يدَه لِيُبايعَهُ، فبَسَطَ يده فبايعه عمرُ فالمهاجرون فالأنصار، وما كان للأنصار رضوان الله عليهم، أن يتخلفوا عن البيعة

(١) رُشِّحَ: أي: اخْتُبِرَ وَهَبِيَ للخلافة.

(٢) خطبته بعد البيعة، كما سيأتي إن شاء الله.

(٣) عصر الخلافة الراشدة، للدكتور: أكرم ضياء العمري.

(٤) مسند أحمد ٢/١٣٣.

بعد أن نبههم عمرُ إلى تلك الحقيقة، ألا وهي أفضلية أبي بكر رضي الله عنه، على سائر الصحابة رضوان الله عليهم، جميعاً، فاتفقت كلمتهم على البيعة، وفي اليوم التالي صعد أبو بكر رضي الله عنه، المنبر فبايعه الناس وتّمت البيعة لأبي بكر ^(١).

أُسْلُوبُهُ فِي الْحُكْمِ رضي الله عنه

أعلن أبو بكر رضي الله عنه، أسلوبه في الحكم من خلال خطبته القصيرة التي خطبها في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال، بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي، الصَّدْقُ أَمَانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ حَقَّهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ حَتَّى آخِذَ الْحَقِّ مِنْهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَا يَدْعُ قَوْمُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا خَذَلَهُمْ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَعْطَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ» ^(٢).

وقد تضمنت هذه الخطبة الخطوط الرئيسة لسياسته رضي الله عنه، وهي:

ساوَى نفسه بالناس: يَسْرِي عليه من الحكم ما يسري عليهم.

إقامة مبدأ التعاون على الحق.

رفع شعار الصدق ومحاربة الكذب.

الأخذ على الظالم وإنصاف المظلوم.

(١) انظر: لمحات في الخلافة الراشدة، للدكتور: عبد العزيز محمد نور ولي.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/ ٦٦١، البداية والنهاية ٦/ ٣٠٥.

رفع راية الجهاد في سبيل الله.

قمع^(١) الفاحشة في المجتمع.

الأمر بطاعته ما دام يقيم حدود الله^(٢).

أَعْمَالُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، له أعمالٌ عظيمة فقد حقق أهدافاً وإنجازاتٍ كثيرةً وجميلةً، وكانت أيامه حافلةً بأعمال الخير، مع أنها لم تدم إلا ستين وثلاثة أشهر، ومن أهم أعماله ما يلي:

أَوَّلًا: إِنْفَاذُ جَيْشِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ:

جَهَّزَ رسولُ الله ﷺ، جيشاً قبل وفاته، وأَمَرَ عليه أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أُسَامَةُ قد أُمِرَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مَشَارِفِ الشَّامِ، فَعَسَكَرَ فِي الْجُزْفِ، وَقَدْ ضَمَّ جَيْشُهُ كِبَارَ النَّاسِ وَخِيَارَهُمْ، وَفِيهِمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَكِنَّ هَذَا الْجَيْشَ لَمْ يَبْرَحِ الْمَدِينَةَ؛ لِمَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا زَالَ مَعْسِكراً حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الْخِلَافَةَ.

ولما وصلت أنباء^(٣) بَوَادِرِ الرَّدَّةِ رَأَى أُسَامَةُ أَنْ يَتَرِثَ حَتَّى يَنْجَلِيَ الْوَضْعُ، وَبِخَاصَّةٍ وَأَنْ مَعَهُ وَجُوهُ النَّاسِ فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ يَسِيرَ إِلَى مَا أَمَرَ بِهِ وَقَالَ: «مَا كُنْتُ لِأَسْتَفْتَحَ بِشَيْءٍ أَوْلَى مِنْ إِنْفَاذِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَأَنْ تَخَطَّفَنِي الطَّيْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ». وَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ أُسَامَةَ فِي عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَذِنَ لَهُ وَمَضَى لَوَجْهِهِ.

مَضَى أُسَامَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى أَرْضِ الشَّامِ، وَقَاتَلَ مِنْ ارْتَدَ مِنْ قَبِيلَةِ

(١) قمع: أي قهرهم ودلّهم (المُرتدّين).

(٢) لمحات في الخلافة الراشدة، للدكتور/ عبد العزيز محمد نور ولي.

(٣) أنباء: أي: أخبار.

قُضَاعَةٌ فَفَرُوا إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ وَسَارَ أَسَامَةُ حَتَّى أَغَارَ^(١) عَلَى «أَبِلٍ» مِنْ نَوَاحِي مُوتَةَ وَأَدَّى مَهْمَّتَهُ بِنَجَاحٍ وَعَادَ سَالِمًا غَانِمًا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً^(٢).

ثَانِيًا: مُحَارَبَةُ الْمُرْتَدِّينَ:

وَصَلَتْ أَنْبَاءُ الرَّدَّةِ إِلَى عَاصِمَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ (الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ)، وَكَانَ الْمُرْتَدُّونَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

القسم الأول: عاد إلى عبادة الأوثان.

القسم الثاني: اتبع أدعياء النُّبُوَّةِ.

القسم الثالث: استمر على الإسلام ولكنهم جَحَدُوا الزَّكَاةَ وَتَأَوَّلُواهَا بِأَنَّهَا خَاصَّةٌ بِزَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ^(٣).

وَقَدْ أَرْسَلَ الْفَرِيقُ الثَّلَاثُ وَفَدَّ إِلَى الْمَدِينَةِ لِمُفَاوَضَةِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ نَزَلَ عَلَى وُجْهَاءِ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ عَدَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ﷺ، وَقَدْ وَافَقَ عِدَّةٌ مِنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ عَلَى قَبُولِ مَا جَاءَتْ بِهِ رِسْلُ هَذَا الْفَرِيقِ، وَنَاقَشُوا فِي ذَلِكَ الْأَمْرَ أَبَا بَكْرٍ، وَمِنْهُمْ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو عُيَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَسَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ وَغَيْرُهُمْ، إِلَّا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ، رَفَضَ قَوْلَهُمْ ذَلِكَ، وَقَالَ قَوْلَتَهُ الْمَشْهُورَةَ: «وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْهِ».

وَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ ﷺ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ

(١) أغار: أي: اشتد قي العدو وأسرع.

(٢) لمحات في الخلافة الراشدة، للدكتور: عبد العزيز محمد نور ولي ص ٨.

(٣) فتح الباري ١٢/٢٧٦.

مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسُهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟!»^(١) فقال أبو بكر: «وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا»^(٢).

وهكذا رأى أبو بكر ﷺ، أن الإسلام كُلُّ لا يتجزأ، وليس هناك من فرق بين فريضة وأخرى، والزكاة أهمُّ تشريع في النظام الاقتصادي الإسلامي، وركنٌ من أركان الإسلام، وعبادةٌ بِحَدِّ ذاتها، ولا يمكن تطبيق جزء من الإسلام وإهمال آخر.

ورأى الصحابة أن الأخذ باللين أفضل، وقال عمرُ ﷺ: «يا خليفة رسول الله، تَأْلَفِ النَّاسَ وَأَرْفِقْ بِهِمْ». فأجابه أبو بكر: «رجوت نُصْرَتَكَ وَجِئْتَنِي بِخِذْلَانِكَ، أَجَبَارٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَخَوَارٍ فِي الْإِسْلَامِ؟! إِنَّهُ قَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَتَمَّ الدِّينُ، أَوْ يَنْقُصُ وَأَنَا حَيٌّ؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِلَّا بِحَقِّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا الصَّلَاةُ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَاللَّهُ لَوْ خَذَلَنِي النَّاسُ كُلَّهُمْ لَجَاهَدْتُهُ بِنَفْسِي»^(٣).

وقد أصدر أبو بكر ﷺ، كتاباً عاماً وَجَّهَهُ إِلَى الْمُرتدِّينَ فِي أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ، وَأَرْسَلَ بِهَذَا الْكِتَابِ رُسُلًا يَتَقَدَّمُونَ الْجَيْشَ لِيَقْرُؤُوهُ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَفْتَحَ لَهُمْ بَابَ الرَّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ، وَيُتِيحَ لَهُمُ الْفُرْصَةُ الْمُنَاسِبَةُ لِكَيْ يَتَدَبَّرُوا أَمْرَهُمْ، وَحَتَّى يُبْرَأَ ذِمَّتُهُ أَمَامَ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ الْحَرْبُ وَتُرَاقَ^(٤) الدَّمَاءُ^(٥).

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، ومسلم في الإيمان، وأبو داود، والنسائي في الزكاة، والترمذي في الإيمان.

(٢) العناق: السخلة الأثنى الصغيرة من الماعز.

(٣) التاريخ الإسلامي، محمود شاكر ص ٦٨.

(٤) تُرَاقَ الدَّمَاءُ: تنصبُّ.

(٥) انظر نص هذا الكتاب في البداية والنهاية، لابن كثير ج ٥ ص ٣٢٠-٣٢١.

وكان من نتيجة ذلك أن وقعت اصطدامات بين جيوش المسلمين وهؤلاء المتمردين من المتنبيين والمُرتدّين، وبذل المسلمون في هذه الحروب كلّ قوتهم، وتجلّى^(١) إيمانهم في أروع صورة، واستطاعوا في النهاية، وقبل مرور عام، أن يقطعوا دابر الفِئنة، ويُعيدوا المُرتدّين إلى دينهم الذي بلغه الرسول ﷺ.

ثالثاً: جَمْعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

لقد كانت هذه الفكرة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: «أرسل إليّ أبو بكر الصديق بعد مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استَحَرَّ^(٢) يوم اليمامة بقراء القرآن، وإنني أخشى إن استمر القتل بالقراء بالمواطن^(٣) فيذهب كثير من القرآن، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن. ولم يزل عمر يُراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. وأمر زيد بن ثابت فجمع القرآن من العُصب^(٤) واللّخاف^(٥) وصدّور الرجال^(٦)».

رابعاً: الْفُتُوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ:

بعد أن استقر الحكم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقمع فتنة المرتدّين وعادت الأمور إلى نصابها اتجه الصديق رضي الله عنه، إلى الغاية السامية في

(١) تجلّى: ظهر.

(٢) استَحَرَّ: اشتد.

(٣) المواطن: جمع موطن، وهي المشهد من مشاهد الحروب.

(٤) العصب: جمع العسيب، وهي جريدة النخل المستقيم يكشط ورقها.

(٥) اللخاف: جمع اللخفة، وهي حجر أبيض عريض رقيق.

(٦) الخلفاء الراشدون، الدكتور أمين القضاة ص ٣٠.

الإسلام؛ وهي إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإخراج الناس بها من الظلمات إلى النور، لذا فقد آن الأوان لنشر الدعوة خارج الجزيرة العربية، فكانت الفتوحات في عهده في جبهتين:

الأولى: جبهة الفُرس في الشَّرْق:

لمَّا فرغ خالدُ بن الوليد من قتال المُرتدِّين أرسله أبو بكر بجيش إلى العراق لمحاربة الفُرس الذين رفضوا دعوة الإسلام، ودارت أول معركة بين الطرفين في كاظمة^(١) فانهزم الفُرس وقُتل قائدهم، وغنم المسلمون غنائم كثيرة ثم توالى انتصارات المسلمين في عدة معارك حتى دخلت أكثر المناطق الواقعة غرب الفُرات تحت حكمهم حربًا أو صلحًا واتخذوا الحيرة مركزًا لهم.

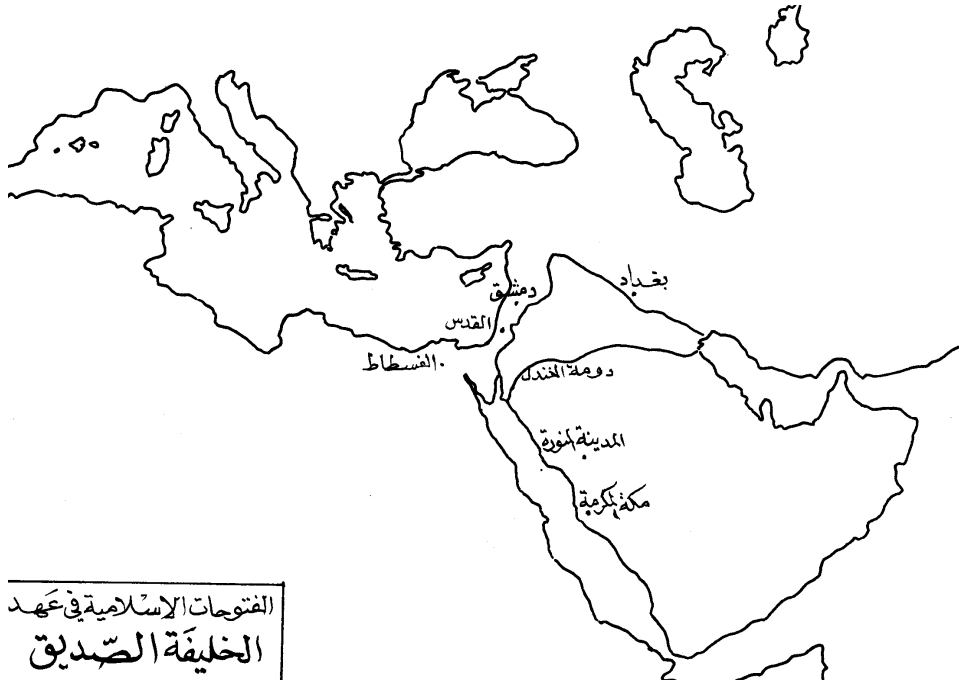
وفي شهر صفر من السنة الثالثة عشرة أمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يتوجه مع قسم من الجيش إلى الشام لمساعدة المسلمين هناك على الروم، وأمره أن يُخلف على العراق المثنى بن حارثة^(٢).

الثانية: جبهة الروم في الشَّمال:

وجَّه أبو بكر رضي الله عنه، خالد بن سعيد بن العاص على رأس جيش من الدعاة الفاتحين إلى مشارق الشام، وعسكر بتيّماء، والتقى الروم، ثم كتب إلى أبي بكر يطلب المدد والعون، فجهَّز أبو بكر رضي الله عنه، أربعة جيوش:

(١) انظر الخريطة ص ١٩.

(٢) السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين، عبد الله الصالح العثيمين ص ٨١.



الأول: قائده عمرو بن العاص، ووجهته إلى فلسطين.

الثاني: قائده شُرْحَبِيل بن حَسَنَة، ووجهته إلى الأُرْدُنَّ.

الثالث: قائده يزيد بن أبي سُفْيَان، ووجهته البَلْقَاءُ.

الرابع: قائده أبو عبيدة عامر بن الجراح، ووجهته حِمص ^(١).

ووصلت جيوش المسلمين إلى مشارف الشام وفلسطين في أوائل السنة الثالثة عشرة للهجرة، ودارت بينها وبين جيوش الروم عدة اشتباكات تلتها معارك كبيرة وفتوحات عظيمة منها:

أ - مَعْرَكَةُ أَجْنَادِينَ سنة ٣١ هـ :

بعد المناوشات ^(٢) الأولى بين المسلمين والروم أعد ملك الروم

(١) الخلفاء الراشدون، الدكتور أمين القضاة ص ٣٠

(٢) المناوشات: جمع مناوشة، أي: خالط مقدمة الجيش.

هَرَقْلُ جيشًا كبيرًا لمقاتلة المسلمين، فاستنجد المسلمون بأبي بكر رضي الله عنه، وأمر أبو بكر خالد بن الوليد أن يتوجه من العراق بقسم من الجيش لنجدتهم، واخترق خالد الصحراء بسرعة مذهلة حتى التحق بالمسلمين في الشام فتولى قيادتهم ورتبهم ترتيبًا ممتازًا، وانطلق الجميع للوقوف مع عمرو بن العاص الذي كان يواجه جيشًا روميًا كبيرًا في أجنادين من أراضي فلسطين، ولما التقى الطرفان هزم المسلمون الروم هزيمة كبيرة^(١) وانتصروا عليهم.

ب- مَرَجُ الصُّفَرِ سنة ٣١هـ:

حدث هذا اللقاء إلى الجنوب من دمشق مع قوات الروم التي جاءت من حِمص في الشمال فتلتف لتقابل المسلمين من الجنوب، وقف خالد ومعه أبو عبيدة وراء الصفوف وسار بهم نحو جيش الروم الذي بعثه هَرَقْل - وكانوا من أهل القوة والشدة - ليُغيث حامية دمشق التي كان يحاصرها المسلمون فاضطر المسلمون إلى أن يسيروا نحوها، وبلغ عدد الروم أكثر من عشرة آلاف اجتمعوا في مَرَجِ الصُّفَرِ ونظر إليهم خالد بن الوليد ثم أسرع يُعَبِّي جيشه كتعبئة يوم أجنادين، وفي هذه المعركة انهزم الروم وأصاب المسلمون عسكرهم، وقتلوا منهم كثيرًا وتبددت فلولهم^{(٢)(٣)}.

مَرَضُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، وَوَفَاتُهُ:

كان سبب مرض أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه اغتسل في يوم بارد فأصيب بالحُمى خمسة عشر يومًا، لا يخرج فيها إلى الصلاة، وكان يأمر

(١) السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين، عبد الله الصالح العثيمين ص ٨٦.

(٢) فلولهم: أي الباقي المنقطع منهم.

(٣) الطريق إلى دمشق، أحمد عادل كمال ص ٢٩٣.

عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس، وكان الناس يدخلون إليه يزورونه وهو في البيت، وكان عثمان رضي الله عنه، ألزمهم له في مرضه.

وما زال المرض به حتى تُوفِّي أبو بكر رضي الله عنه، مساء ليلة الثلاثاء لثمانٍ ليالٍ بَقَيْن من جُمَادَى الآخِرَةِ سنة ثلاث عشرة للهجرة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ.

وقد أوصى رضي الله عنه، أن تُغسَّله زوجته أسماء بنتُ عُمَيْسٍ رضي الله عنها، وكُفِّن بثوبين وقيل: بثلاثة.

وصلَّى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودُفِن ليلاً إلى جانب صاحبه رضي الله عنه، وجُعِلَ رأسه بمحاذاة ^(١) كَتَفَي رسول الله ﷺ، ^(٢) رحمه الله ورضي عنه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.



(١) بمحاذاة: أي وَازَاة.

(٢) الخلفاء الراشدون، الدكتور أمين القضاة ٣٣.

أسئلة

- ١- اذكر نسب أبي بكر، ولماذا وصف بالصدّيق؟
- ٢- أين يلتقي مع النّبي ﷺ، في النسب؟
- ٣- أين ولد أبو بكر؟ ومتى؟
- ٤- تحدث عن إسلام أبي بكر.
- ٥- تحدث عن صفات أبي بكر الخَلْقِيَّة.
- ٦- من أفضل الناس بعد الرسول؟ ولماذا؟
- ٧- وضح كيف تمت الخلافة لأبي بكر.
- ٨- ما أسلوب أبي بكر في الحُكم؟
- ٩- اذكر الخطوط الرئيسة لسياسته.
- ١٠- كانت أيام أبي بكر حافلة بأعمال جليّة، اذكر اثنين منها.
- ١١- من أشار على أبي بكر بجمع القرآن؟
- ١٢- اذكر الطرفين في معركة أجنادين، ومن انتصر فيها؟
- ١٣- كم دامت خلافة أبي بكر الصديق ﷺ؟

١٤- متى مات أبو بكر؟ وأين دفن؟

١٥- أعرب ما تحته خط:

أ- لكنَّ أبا بكر رضي الله عنه، صمم على أن ينفذ ما رأى الرسول ﷺ .

ب- ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال أبي بكر.

ج- سار فريق من المُرتدِّين وراء المتنبئين الكذابين.

د- والله لو منعوني عقالاً.

١٦- ما معنى:

المرتدون- المتنبئون- المتمردون؟ وهات المفرد والمثنى منهم.



عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

(١٣-٢٣هـ / ٦٣٤-٦٤٤م)

نَسَبُهُ وَمَوْلِدُهُ

هو عمرُ بنُ الخطابِ بنِ نفيلِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ رِيَّاحٍ، من بني عَدِيٍّ بنِ كَعْبٍ إحدى عشائر قريش، يجتمع نسبه مع الرسول ﷺ، في الجدِّ السابع، وهو كَعْبُ بنُ لُؤَيٍّ.

كان من أشرف قريش وساداتها، وإليه كانت سفارة قريش، فهو سفيرهم إذا نشبت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم. ويكنى أبا حفص، ويُلقب بالفاروق؛ لقبه بذلك النَّبِيُّ ﷺ، وُلِدَ بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة.

وكان شديدًا على المسلمين ودعا له النَّبِيُّ ﷺ، بالهداية فأسلم في السنة السادسة من البعثة فاعتزَّ به الإسلام^(١).

إِسْلَامُهُ

كان عمرُ رجلاً قويًّا مهيبًا، وكان يؤذي المسلمين ويشتدُّ عليهم، قال سعيدُ بنُ زيدِ بنِ عمرو بنِ نفيلٍ، وهو ابن عم عمر وزوج أخته فاطمة بنت الخطاب: «والله لقد رأيتني وإنَّ عمر لمؤثقي على الإسلام قبل أن يُسلم».

(١) عصر الخلافة الراشدة، للدكتور: أكرم ضياء العمري ص ٦٦.

وهكذا رَبطَ عمرُ سعيدًا بسبب إسلامه ليُصْده عن دينه، ولكنَّ شدته الظاهرة كانت تكْمُن خلفها رحمةٌ ورقَّةٌ، فقد أخبرت أُمَّ عبدِ الله بنتُ أبي حَثْمَةَ - وهي من مُهاجرة الحبشة - قالت: «والله إنا لنترحَّل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامرٌ في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمرُ ابنُ الخطابِ حتى وقف - وهو على شركه، وكنا نلقى منه البلاءَ أذى لنا وشدةً علينا - فقال: إنه للانْطِلاق يا أُمَّ عبدِ الله؟ فقلت: نعم، والله لنخرُجنَّ في أرض الله؛ أذيتُمونا وقهرتُمونا، حتى يجعلَ الله مخرجًا. فقال: صَحِبكم الله. ورأيت له رِقَّةً لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنَّا، قالت: فجاء عامرٌ بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله لو رأيت عمرَ آنفًا ورقته وحزنه علينا. قال: أَطْمَعَتِ في إسلامه؟ قلتُ: نعم. قال: فلا يُسلم الذي رأيتَ حتى يسلم حمارُ الخطاب. قالت: يَأْسًا منه؛^(١) لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام.

ويبدو أن حدس^(٢) المرأة كان أقوى فقد كان رسول الله ﷺ، يدعو الله أن ينصر دينه به؛

فعن ابنِ عمرَ ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: «اللهم أعزَّ الإسلام بأحبِّ هذين الرجلين إليك: بأبي جهلٍ أو بعمرَ بنِ الخطابِ». قال: وكان أحبَّهُما عمرُ^(٣).

فاستجاب الله دعاءه فأسلم عمر، وكان ذلك عقب الهجرة الأولى،

(١) يَأْسًا: أي انقطع رجاءه فيه.

(٢) حدس: الظن أو الفراسة.

(٣) رواه الترمذي في المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ ٦١٧/٥ رقم ٣٦٨١، فتح الباري لابن حجر ٤٨/٧، صحيح الترمذي للألباني ٣/٣٠٤ برقم ٢٩٠٧.

فاعتز به الإسلام وصلى المسلمون بالبيت العتيق دون أن يتعرض لهم المشركون.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «مازلنا أعزة منذ أسلم عمر». وقال أيضاً: «لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا». وقال: «إن إسلامه كان نصراً»^(١).

صِفَاتُهُ وَفَضْلُهُ

بعد أن أسلم عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه، تعرض له المشركون وقاتلهم وقاتلوه، وقد عُرف في الجاهلية بالفصاحة والشجاعة، وعُرف في الإسلام بالقوة والهيبة والزهد والعدل والرحمة والعلم والفقه، وكان مُسدّد^(٢) القول والفعل، وقد وافقه القرآن في عدة مواقف منها:

أ- اتخاذ مقام إبراهيم مُصلّى.

ب- حجاب أمهات المؤمنين.

ج - نصحه لأمهات المؤمنين.

وقد بشره الرسول ﷺ، بالجنة، وبشره بالشهادة^(٣).

يَبْعَثُهُ

إذا كان الرسول ﷺ، قد أشار إلى المسلمين إشارة كي يتولّى أبو بكر الخلافة، فإن أبا بكر قد أوصى بها وصايةً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان أبو بكر قد استشار الناس في ذلك فوكلّوه لاختيار

(١) انظر إسلام عمر - السيرة النبوية الصحيحة - للدكتور: أكرم ضياء العمري ١٧٧/١ - ١٧٨ بتصرف، وعزو الآثار فيه.

(٢) مسدّد: أي صائب القول.

(٣) عصر الخلافة الراشدة، للدكتور: أكرم ضياء العمري ص ٦٧.

خليفة له، فأمر أن يجتمع له الناس فاجتمعوا له فقال:

«إِيَّهَا النَّاسُ قَدْ حَضَرَنِي مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مَا تَرَوْنَ، وَإِنَّهُ لَا بَدَّ لَكُمْ مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَكُمْ وَيُصَلِّي بِكُمْ، وَيَقَاتِلُ عَدُوَّكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ، فَإِنْ شِئْتُمْ اجْتَهِدْتُ لَكُمْ رَأْيِي، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَا أَلُوَكُمْ^(١) فِي نَفْسِي خَيْرًا، فَبِكَيِّ وَبِكَيِّ النَّاسِ، وَقَالُوا: يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ، أَنْتَ خَيْرُنَا وَأَعْلَمُنَا فَاخْتَرْنَا لَنَا. قَالَ: سَأَجْتَهِدُ لَكُمْ رَأْيِي، وَأَخْتَارُ لَكُمْ خَيْرَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٢).

ودعا أبو بكر عثمان بن عفان فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب.

إنني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، وإنني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرًا، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدّل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم، والخير أردت ولا أعلم الغيب. سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٣).

أُسْلُوبُهُ فِي الْحُكْمِ

سار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في الحكم على منهج سلفه أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فعندما بُويع بالخلافة بعد وفاة أبي بكر صعد المنبر

(١) لا ألوكم: أي: لا أقصر في النصح لكم.

(٢) الإمامة والسياسة، الدينوري ١/ ٢٥.

(٣) الخلفاء الراشدون، للدكتور أمين القضاة ص ٤٦.

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي دَاعٍ فَأَمُّنُوا: اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظٌ فَلْيَنِّ لَأَهْلِ طَاعَتِكَ بِمُوَافَقَةِ الْحَقِّ؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ، وَارْزُقْنِي الْغُلْظَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدَّعَارَةِ^(١) وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا اِعْتِدَاءٍ عَلَيْهِمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي شَحِيحٌ فَسَخِّنِي فِي نَوَائِبِ^(٢) الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ، وَاجْعَلْنِي أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ^(٣) وَلِيْنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ^(٤)».

و يتضح أسلوبه في الحكم من خلال خطبته المشابهة لخطبة أبي بكر رضي الله عنه.

وقد أظهر عمرُ في خلافته حُسنَ السياسة والحزم والتدبير، والتنظيم للإدارة والمالية، فرسم خطط الفتح وسياسة المناطق المفتوحة، وسهر على مصالح الرعية وإقامة العدل في البلاد، وكان لا يَسْتَحِلُّ الأخذ من بيت المال إلا حُلَّةً للشتاء وأخرى للصيف وناقة لركوبه، وقُوتَه كقُوت رجل متوسط الحال من المهاجرين.

وحُطِبَته ورسائله إلى الولاة والقادة تعبر بدقة عن شعوره العميق بالمسؤولية تجاه الدين والرعية مع حُسن التوكل على الله والثقة بالنفس^(٥).

(١) الفسق والخبث والفجور.

(٢) النوائب: جمع نائبة، وهي ما ينزل بالرجل من الكوارث والحوادث المؤلمة.

(٣) خَفَضَ الْجَنَاحَ: ألان جانبه وتواضع.

(٤) العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي: ج ٤ ص ٦٥.

(٥) عصر الخلافة الراشدة، للدكتور: أكرم ضياء العمري ص ٦٨.

أَهَمُّ أَعْمَالِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

بدأ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه، بتنظيم الدولة الإسلامية بعزيمة قوية لا تلين؛ وذلك ليستطيع مواجهة مشكلات الحياة، ومُتطلبات الظروف الجديدة، خاصة عندما اتسعت رُقعة الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وإليك أهم أعماله رضي الله عنه :

١- دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ: فأسس ديوان الجند الذي يشبه في أيامنا وزارة الدفاع، وديوان الخراج الذي يشبه وزارة المالية.

٢- أنشأ بيت مال المسلمين ، وعيَّن القضاة والكتّاب، وجعل التاريخ الهجري أساس تقويم الدولة الإسلامية، كما نظَّم البريد.

٣- اهتم بالرعية: وظهر ذلك في تفقده أحوال المسلمين وعسّه بالليل^(١).

٤- أَبْقَى الأَرْضِي المَفْتُوحَةَ بأيدي أهلها الأصليين بدلاً من تقسيمها بين المحاربين، على أن يدفعوا عنها الخراج.

٥- قَسَمَ البلاد المَفْتُوحَةَ إلى ولايات، وعيَّن على كل ولاية عاملاً له راتبٌ محدد يأخذه من بيت مال المسلمين، وكان يختار الولاة ممن يُعرفون بالتقوى وحسن الإدارة دون النظر إلى أحسابهم وأنسابهم.

٦- أَمَرَ بِإنشاء عدة مدن في البلاد المَفْتُوحَةَ، مثل: البصرة والكوفة في العراق، والفُسطاط في مصر وغيرها لتكون مركزاً للدولة الإسلامية في تلك البلاد.

(١) عَسَّه: أي: طاف بالليل يكشف عن أهل الريبة.

الْفُتُوحَاتُ فِي عَهْدِهِ

كان من اهتمامات الفاروق رضي الله عنه، مواصلة الجهاد ونشر الإسلام والاستمرار في الفتح الذي بدأ في عهد أبي بكر رضي الله عنه، لبلاد الفرس والروم، وقد كانت هذه الفتوحات كما يلي:

١ - فَتْحُ الْعِرَاقِ وَبِلَادِ فَارَسَ:

وَجَّهَ عمرُ بْنُ الخطابِ رضي الله عنه، هَمَّهُ لفتح العراق وبلاد فارس؛ بعد أن اطمأن على سلامة وضع الجيش الإسلامي في بلاد الشام. وقد بلغ من أهمية هذا الأمر، وهو فتح العراق وفارس، في نظر الخليفة أنه رَغِبَ في أن يقود الجيش بنفسه ولكن جمهرة المسلمين أشارت عليه بالبقاء، وأن يَنْدُبَ لذلك رجلاً من كبار الصحابة فوافق عمر رضي الله عنه، على ذلك، واستقر الرأي على سعدِ بنِ أبي وقاص رضي الله عنه.

٢ - مَوْقِعَةُ الْقَادِسيَّةِ سَنَةِ ١٥ هـ:

قصد سعدُ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه، العراق، وهي حينئذٍ جزءٌ من دولة الفرس الكبرى، وكان خير مثال للقيادة السديدة والسياسة الرشيدة المؤمنة، ولما أحس الفرس بالخطر القادم عليهم جمع مَلِكُهُمْ يَزْدَجَرْدُ جيشاً كثيراً قَدَّرَهُ المؤرخون بثمانين ألفاً من الجنود المدربين في أحسن عُدَّةٍ وَعَتَادٍ، وكان قائدهم عسكرياً مجرباً هو رُسْتُمُ، وكان مع الجيش ثلاثة وثلاثون فيلاً.

ولما تقابل الجيشان طلب رستمُ من سعدٍ رضي الله عنه، أن يبعث إليه برجل عاقلٍ عالم يسأله؛ لأنه كان متعجباً من هؤلاء العرب: ما الذي غيَّرهُم وقد كانوا خاضعين للفرس وكانت ترضيهم كمياتٌ من

الطعام حين يجوعون ويهاجمون؟ فبعث إليه سعد رضي الله عنه، رجالاً من الصحابة رضي الله عنهم، كان من بينهم رُبْعِيٌّ بَنُ عَامِرٍ رضي الله عنه، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنَّمارق ^(١) المَّذْهَبَةِ ومفارش الحرير، وأظهروا اليواقيت واللالئ الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجٌ يَهْرُ الأَبصار، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل رُبْعِيٌّ رضي الله عنه، بثياب رَثَّةٍ وسيف وتُرْس ^(٢) وفرس قصيرة فلما رأى زينتَهُم وانتفاخَهُم أراد أن يظهر استخفافه بمظاهرهم الكاذبة، فدخل بفَرَسِه راكباً عليها حتى داس بها طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض وسائدهم الثمينة، وأقبل عليهم رافع الرأس ثابت الخُطى، وعليه سلاحُه ودِرْعُه وخوذتُه على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال بعزة: إني لم آتكم وإنما دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رُمحه فوق النَّمارق فخرق أكثرها. فقال: رستم ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتِها، ومن جَوْر ^(٣) الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خَلْقِه لندعُوهم إليه، فَمَنْ قَبِلَ ذلك قَبَلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نُفْضِي إلى مَوْعود الله.

قال: وما مَوْعودُ الله؟ قال: الجَنَّةُ لمن مات على قتال من أبى، والظَّفَر ^(٤) لمن بقي، فطلب رستم الإمهال، فأبوا أن يمهلوه أكثر من ثلاثة أيام.

(١) النَّمارق: جمع نَمْرَقَة، وهي الوسادة الصغيرة.

(٢) تَرَس: التَّرَسُ ما يتوقَّى به في الحرب.

(٣) جَوْر: أي: ظلم.

(٤) ظَفَر: أي: فاز به وناله.

وبعد ذلك التقى الجيشان واقتتلوا قتالاً شديداً طَوَالَ يومهم وأكثر ليلهم واستمروا ثلاثة أيام، عانى فيها المسلمون كثيراً من هذه الأفعال التي كانت تُفزع خيولهم العربية التي لم تتعود رؤيتها، ولكن الأبطال المؤمنين صبروا وقَاتَلُوا حتى تم النصرُ لهم بتوفيق الله وعنايته بعباده المؤمنين .

وفي اليوم الرابع بعث الله ريحاً شديدة فدمرت معسكرَ المجوس وهربوا في كل مكان وقُتِلَ قائدهم، وقُتِلَ منهم عشرة آلاف واستشهد من المسلمين حوالي ألفان وخمسمائة شهيد تقريباً.

وبهذه المعركة الفاصلة أيد الله سبحانه دينه ورفع كلمته وهابت ^(١) العربُ والعجمُ المسلمين، وانتشر هَذي الإسلام وعدله، وتقلص ^(٢) ظلام الكفر والشرك ^(٣).

٣ - فَتْحُ الشَّامِ:

علم الرومُ بدخول الجيوش الإسلامية أرضهم، فكتبوا إلى هرقلَ وكان بالقدس، فقال هرقلُ: أرى أن تصالحوا المسلمين؛ فوالله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحبُّ إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم. وأغضبت هذه النصيحة قواد الروم، وظنُّوا أن الإمبراطور قد وَهَنَ ^(٤) وضعف وسيسلم البلاد للغزاة الفاتحين، والحق أن هرقل قد ضعُف أمام غضبة قواده وعزم على قتال المسلمين مع يقينه بالهزيمة،

(١) هابت: أي: خافت.

(٢) تقلص: أي: نقص.

(٣) الخلفاء الراشدون والدولة الأموية، من مطبوعات جامعة الإمام، إدارة التخطيط والمناهج.

(٤) وَهَنَ: أي: ضعف.

وجَمَعَ هرقلُ الثائرين وتوجه إلى حِمَصٍ، وهناك أَعَد جيشًا ضخمًا
العُدد كثير العدد؛^(١) لمواجهة المسلمين.

٤ - مَعْرَكَةُ الْيَرْمُوكِ سَنَةِ ١٥ هـ:

بعد أن رأى هرقلُ، ملك الروم، انتصارات المسلمين حشد
ما استطاع حشده من قوات، وجعل قيادتها لأخيه، واجتمعت تلك
القوات الرومية عند نهر اليرموك، أحد روافد نهر الأردن، ونزل جيش
المسلمين،

بقيادة أبي عبيدة قُبالة الروم، وقد كَلَّف أبو عبيدة خالد بن
الوليد بتنظيم جيش المسلمين، فرتب خالد الجيش ترتيبًا ممتازًا لم
يعهده العرب من قبل.

وهجم فرسان المسلمين ببسالة على الروم حتى فَصَلُوا بين فرسان
الجيش الرومي ومُشَاتِهِ، وانسحب فرسان الروم بعد أن سقط منهم
آلاف بضربات فرسان المسلمين الشجعان، ثم انقضَّ المسلمون على
مُشَاةِ الروم الذين أخذوا يتساقطون قتلاً أو غرقاً في النهر. فكان النصرُ
المُؤَزَّرُ حَلِيفَ^(٢) المسلمين، وقد قُتِلَ في معركة اليرموك أكثر من مائة
ألف من الروم واستشهد فيها حوالي ثلاثة آلاف من المسلمين^(٣).

٥ - فَتْحُ مِصْرَ:

كانت مِصْرُ في ذلك الحين من ممتلكات الروم وكانت تَدِين
بالنصرانية، وهي الديانة التي كان يعتنقها الروم، ولكن الروم كان يُسيئون

(١) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، د. محمد السيد الوكيل ص ٥٨.

(٢) حليف: الحليف أي: المتعاقد على التناصر، والمقصود هنا مع المسلمين.

(٣) السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين، عبد الله الصالح العثيمين ص ٨٦.

إلى المصريين مع أنَّ دينهم واحدٌ، فكانوا يرهقونهم بالضرائب حتى وصل الأمرُ بهم إلى أن يفرضوا الضرائب على الموتى فلا يسمحون بدفن الميت إلا بعد أن يدفع أهله ضريبةً.

سار عمرو بن العاص متجهًا من الشام إلى مصر، وكان معه من جنود المسلمين أربعة آلاف واخترق بهم رمال سيناء حتى وصل إلى العريش في آخر سنة ١٨ هـ وفتحها دون مقاومة؛ لأنه لم يكن بها حامية^(١) رومية، ثم سار حتى وصل إلى الفرما^(٢) فحاصرها شهرًا ونصف الشهر حتى تم له فتحها في أول سنة ١٩ هـ، وكان أهل مصر يساعدون المسلمين في هذا الحصار، ثم تقدم عمرو إلى بلبيس فاستولى عليها بعد شهر لم ينقطع فيه القتال، ثم سار إلى أمّ دُنين^(٣) فنشِب القتال وتحصن الروم في حصن بابليون وكان من أمنع الحصون، فحاصرهم المسلمون حتى تمّ لهم النصر بعون الله تعالى، وتتابع فتح المدن حتى أصبحت مصر ولاية إسلامية^(٤).

استِشْهَادُ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

استشهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد فيروز غلام المُنْغِيرَةِ بن شُعْبَةَ، ولَقَبُهُ: أَبُو لَوْلُؤَةَ، وكان مجوسيًا، قتله بخنجرٍ له رأسان، طعنه به ست طعنات، أحدها تحت سُرَّتِهِ - وهي التي قتلتَه - وكان ذلك في صلاة الفجر، عندما كَبَّرَ للصلاة، من اليوم الثالث والعشرين من

(١) الحامية: الجزء من الجيش.

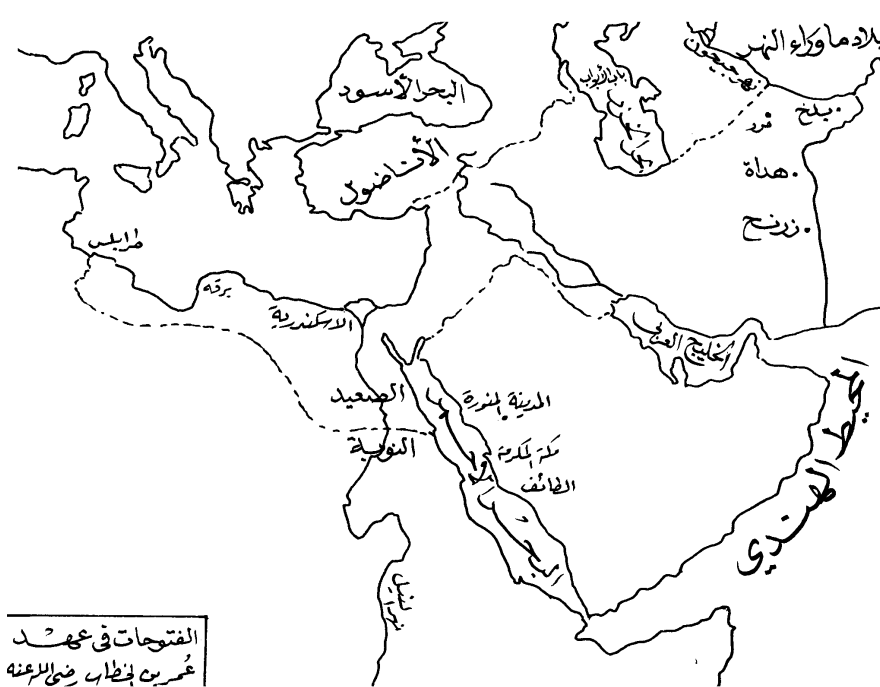
(٢) موقعها الآن مدينة بور سعيد.

(٣) وهي قرب محطة سكة حديد القاهرة.

(٤) الخلفاء الراشدون والدولة الأموية، من مطبوعات جامعة الإمام، إدارة تطوير الخطط

ذِي الْحِجَّةِ مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهَرَبَ فَيَرُوزُ وَأَخَذَ يَطْعَنُ بِخَنْجَرِهِ كُلَّ مَنْ يَمُرُّ بِهِ حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ مَا يَزِيدُ عَلَى النِّصْفِ، وَعِنْدَمَا أَحَسَّ أَبُو لَوْلُؤَةَ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ لَا مَحَالَةَ أَقْدَمَ عَلَى الْإِنْتِحَارِ^(١) بِخَنْجَرِهِ ذَاتَهَا فَحَمَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى بَيْتِهِ وَبَقِيَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَعْدَ طَعْنِهِ، ثُمَّ تُوفِيَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ.

وقد غَسَّله وكنَّه ابنُه عبدُ اللهِ، وصَلَّى عليه ثم دُفِنَ بجانب صاحبيه، وكانت مدَّةُ خلافته عشرَ سنين وستةَ أشهر، ﷺ وأرضاه وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.



(۱) انتحر: أى: قتل نفسه.

أسئلة

- ١- اذكر نسب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
- ٢- أين يلتقي مع الرسول ﷺ ، في النسب؟
- ٣- ما كنيته؟ و بماذا لقبه الرسول ﷺ ؟
- ٤- متى ولد عمر بن الخطاب؟
- ٥- اذكر ما تعرفه عن فضله.
- ٦- تحدث عن إسلام عمر بن الخطاب.
- ٧- ما اسم أخته؟ ومن زوجها؟
- ٨- كيف تمت البيعة للخليفة عمر بن الخطاب؟
- ٩- تحدث عن أسلوب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في الحكم.
- ١٠- اذكر ثلاثة من أهم أعمال عمر رضي الله عنه .
- ١١- أين تقع كل من المدن الآتية:
الفسطاط - الكوفة - البصرة - الفرما؟
- ١٢- متى وقعت معركة القادسية؟ ومن قائد المسلمين فيها؟
- ١٣- تكلم عن: اهتمام عمر بالفتوحات.

١٤- من قائد الفرس في القادسية؟ وكم كان عدد جيش الفرس؟

١٥- كيف كانت معاملة الروم للمصريين قبل الإسلام؟

١٦- متى استشهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ وكيف استشهد؟

١٧- كم كانت مدة خلافته؟

١٨- من غسله وكفنه؟ وأين دُفن؟

١٩- وردت في الدرس العبارة الآتية:

«خاصة عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً
وشمالاً وجنوباً، وإليك أهم أعماله»:

أ- ما نوع «ما» في عندما؟

ب- من أي باب الفعل اتسع؟

ج- استخرج من العبارة ما يلي:

١- اسم فعل، وبين نوعه.

٢- نعتاً.

٣- مضافاً إليه.

٤- أعرب ما تحته خط.



عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه

(٢٣-٣٥ هـ)

نَسَبُهُ

هو: عثمانُ بنُ عفَّانَ بنِ أبي العاصِ بنِ أميَّةَ بنِ عبدِ شمسِ ابنِ عبدِ منافِ بنِ قصيِّ بنِ كِلابِ القرشيِّ الأمويِّ، ثالثُ الخلفاء الراشدين، يُكنَّى أبا عمرو، ويُلقَّبُ بذي النُّورين؛ لأنه تزوج بنتي رسول الله ﷺ، رُقَيَّةَ، وتوفيت بعد غزوة بدر، ثم أمَّ كلثوم وتوفيت في حياة الرسول ﷺ (١).

إِسْلَامُهُ

أسلم ﷺ، وهو في الرابعة والثلاثين من عُمره، وهو أحد العشرة الأوائل الذين دخلوا في الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وإسلام عثمان كان بدعوة من أبي بكر الصديق ﷺ، فقد كان أبو بكر الصديق يدعو إلى الإسلام مَنْ يثقُ به من قومه ممن يغشاه (٢) ويجلس إليه، فأسلم على يديه: الزُّبيرُ بنُ العَوامِ، وعُثمانُ بنُ عفَّانَ، وطلحةُ ابنُ عُبَيْدِ الله، وسَعْدُ بنُ أبي وقاصٍ، وعبدُ الرحمن بنُ عَوفٍ رضي الله عنه،

(١) انظر: الإصابة، لابن حجر ٤/ ٢٢٣.

(٢) يغشاه: أي: أتاه.

فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ، ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا^(١).

صِفَاتُهُ الْخُلُقِيَّةُ وَفَضْلُهُ

عُرف عثمان رضي الله عنه، بالكرم، ولين^(٢) الطبع^(٣)، وعُرف بالحياء فما كان يُعرف أحداً أشدَّ حياءً منه، حتى كان رسول الله ﷺ، يستحي منه؛ إذ قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»^(٤).

وعن فضله رضي الله عنه، روى قتادة أن أنساً رضي الله عنه، قال: صعد النبي ﷺ، أحداً، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف فقال: «اسْكُنْ أَحَدًا - أَظُنُّهُ ضَرْبَهُ بِرِجْلِهِ -؛ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»^(٥).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، لَا نَفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»^(٦).

وفي السنة السادسة للهجرة بعثه رسول الله ﷺ، إلى قريشٍ مُفَاوِضًا عنه، وذلك عندما منعت قريشُ رسولَ الله ﷺ، دخول مكة، فبعثه رضي الله عنه، إلى زعماء وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت للحرب، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمة، فخرج عثمان مخاطراً بنفسه إلى مكة حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ، ما أرسله به،

(١) السيرة النبوية، لابن كثير ٤٣٧/١.

(٢) اللين: السهل والسمح.

(٣) الطبع: أي: الخلق.

(٤) صحيح مسلم ١٦٩/١٥.

(٥) فتح الباري ٥٣/٧.

(٦) فتح الباري ٥٤/٧.

فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ، إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ^(١).

تَضَحِيَّتُهُ بِمَالِهِ

لقد ضرب الخليفة عثمان رضي الله عنه، أروع الأمثلة في نُصرة الإسلام وإعلاء كلمته، فكان أجود المسلمين حين يجدد الجِدُّ ويدعو داعي الجهاد؛ روى الترمذي عن عبد الرحمن بن سُمرة قال: جاء عثمان إلى النَّبِيِّ ﷺ، بألف دينار حين جهَّز جيش العُسرة فنثرها في حجره، قال عبدُ الرحمن: فرأيت النَّبِيَّ ﷺ، يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ ويقول: «مَا ضَرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم» مرتين^(٢) (٣).

ومن مآثره رضي الله عنه، أنه حفر بئر رومة، فعن النَّبِيِّ ﷺ، قال: «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ»^(٤) فحفرها عثمان رضي الله عنه، وجعلها للمسلمين.

الْبَيْعَةُ لِعُثْمَانَ بِالْخِلَافَةِ

لما طعن عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه، بيد أبي لؤلؤة المجوسي، طلب بعضُ المسلمين منه أن يعهد بالخلافة لمن يرتضيه ويختاره، فتردد عمرُ ثم قال: إن استخلفت فقد استخلف مَنْ هو خيرٌ مِنِّي، وإن أترك فقد تركَ مَنْ هو خيرٌ مِنِّي - يريد رسولَ الله ﷺ - ثم ذكر عمر رضي الله عنه، ستة رجال كانوا يتميزون بحبِّ الرسول ﷺ، لهم ورضاه عنهم أكثر من غيرهم، وهم: عليٌّ، وعثمانُ بنُ عفان، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ،

(١) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام ٢٠٢/٣.

(٢) رواه الترمذي ٢٠٨/٣.

(٣) أي قالها مرتين.

(٤) فتح الباري ٥٢/٧.

وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، والزبيرُ بنُ العوامِ، وطلحةُ بنُ عبيدِ الله، وطلب إليهم أن يجتمعوا بعد وفاته ليختاروا واحداً منهم، وقد اجتمع هؤلاء النفرُ بعد وفاة عمرَ، وانتهى الرأيُ الأخيرُ إلى اختيار عثمانَ رضي الله تعالى عنه،^(١) فبايعه المسلمون بالإجماع.

أَهْمُ أَعْمَالِهِ

أَوَّلًا: جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى حَرْفِ قُرَيْشٍ:

انتشر الإسلامُ وعَمَّت الفتوحات الإسلامية، ودخل في الإسلام أقوامٌ من غير العرب، فخشى بعضُ أصحابِ رسول الله ﷺ، من اختلاف الناس في قراءة القرآن، أو تحريف شيءٍ منه لفظاً أو أداءً^(٢)؛ فقد قَدِمَ حذيفةُ بنُ اليمانِ على عثمانَ، وكان حذيفةُ يُغازي^(٣) أهل الشام في فتح أرمينيا وأذربيجان،^(٤) مع أهل العراق فأفزع حذيفةُ اختلافهم في القراءة، فقال حذيفةُ لعثمانَ: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتابِ اختلافَ اليهود والنصارى، فأرسل عثمانُ إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك، فأرسلت بها حفصةُ إلى عثمانَ، وأمر عثمانُ بنسخ القرآن بلسان قريشٍ، حتى إذا نُسخَت الصحفُ في المصاحف أرسل إلى كلِّ أفق^(٥) بمصحف مما نسخ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق^(٦).

(١) ملخص ما ورد في فتح الباري ٥٩ / ٧.

(٢) أداءً. أي: قراءة.

(٣) يغازي أهل الشام: مع أهل الشام.

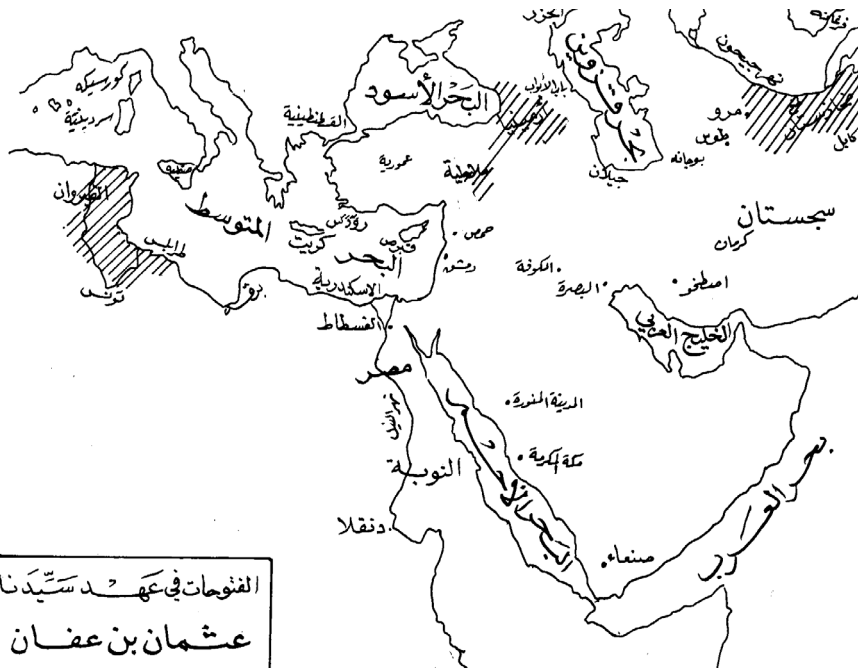
(٤) أرمينيا وأذربيجان: انظر الموقع ص ٤١.

(٥) أفق: ناحية.

(٦) فتح الباري ١١ / ٩.

ثانيًا: تأسيس البحرية الإسلامية:

استأذن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والي الشام الخليفة عثمان رضي الله عنه، في تأسيس أسطول^(١) بحري لصد غارات الأسطول البيزنطي على سواحل الشام ومصر فأذن له، فأعد معاوية أسطولاً قوياً تمكن به من فتح جزيرتي قبرص وروُدس في البحر المتوسط، كما نازل الأسطول الإسلامي الأسطول البيزنطي عام ٣٤هـ فانتصر عليه في معركة ذات الصواري^(٢) قرب الإسكندرية، مع أن الأسطول البيزنطي كان أكثر عددًا وتجهيزًا من الأسطول الإسلامي، وعُرفت المعركة بهذا الاسم: ذات الصواري؛ لأنَّ صواري سفن المسلمين والروم رُبُطت بعضها ببعض^(٣).



الفتوحات في عهد سَيِّدنا
عثمان بن عفان

(١) أسطول: مجموعة من السفن تعد للحرب أو للنقل.

(٢) الصواري: جمع صارية وهي عمود يقام في السفينة يشد عليه الشراع.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: عهد الخلفاء الراشدين ص ٤٢٠.

الْفُتُوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ؓ

١ - فَتْحُ الْمَغْرِبِ وَبِلَادِ النُّوبَةِ: ^(١)

زحفت جيوشُ المسلمين في عهد عثمان بن عفان ؓ، إلى بلاد النُّوبَةِ جنوب مصر، وتمكنوا من فتحها وضمَّها إلى الدولة الإسلامية، كما تابع المسلمون فتوحاتهم في بلاد المغرب ونشروا الدعوة الإسلامية في أنحائها ووصلت جيوشهم إلى سهول تونس، واصطدموا مع قوات الروم فيها وهزموهم، وأصبحت المنطقة كلها من بَرْقَةِ ^(٢) إلى تونس خاضعة للدولة الإسلامية في عهد عثمان ؓ. ^(٣)

٢ - فَتْحُ بِلَادِ فَارَسَ:

امتدت رقعة الدولة الإسلامية في عهد الخليفة عثمان ؓ، حتى وصلت شرقاً إلى بحر قَزْوِينَ آسِيَا، وما زال المسلمون يطاردون ملكَ الفرس يَزْدَجِرْدَ حتى قُتِلَ في بلدة مَرْو ^(٤) من بلاد فارس، وانتهت بموته دولة فارس.

اسْتِشْهَادُ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ ؓ :

كان الخليفة عثمان ؓ، ذا صفاتٍ كريمة وأخلاقٍ فاضلة، فقد كان ؓ، لِيِّنًا رَحِيمًا وَعَطُوفًا كَرِيمًا، فَطِمَعَ فِيهِ أَصْحَابُ الْأَنْفُسِ الضَّعِيفَةِ وَالكَارِهُونَ لِدِينِ اللَّهِ الْقَوِيمِ، فَمِنْ هَؤُلَاءِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَيِّأٍ، وَهُوَ يَهُودِيٌّ أَسْلَمَ زَمَنَ عُثْمَانَ نِفَاقًا، فَبَدَأَ يَطُوفُ فِي بِلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ

(١) انظر: الخريطة السابقة موقع بلاد النوبة

(٢) انظر: الخريطة السابقة موقع برقة.

(٣) انظر الذهبي: تاريخ الإسلام، ووفيات الأعيان: عهد الخلفاء الراشدين ص ٣١٨.

(٤) انظر الموقع بالخريطة السابقة.

وكان كلما وصل إلى بلدٍ يحكي كذباً عن ظلم عثمان للبلد الآخر، حتى ترك كلَّ قُطْرٍ^(١) يظن أنه بخير وأنه أفضل حالاً من القُطْر الآخر، وأقنعهم أن علياً عليه السلام، أحق بالخلافة من عثمان، فجاءت وفودٌ من البصرة، والكوفة، ومصر، قائدهم عبد الله بن سبيأ، وقبلهم الخليفة عثمان، وعلي عليه السلام، وواعداهم خيراً إذا هم عادوا إلى بلادهم، فبدأت هذه الوفود بالخروج من المدينة إلا أنهم رجعوا مرة أخرى إلى المدينة بحجة أن عثمان كتب إلى والي مصر يأمره أن يقتل الوفد الذي جاء إلى المدينة من أهل مصر، وعثمان عليه السلام، بريء من هذا الكتاب، وإنما زور عليه، وكان حاملُ هذا الكتاب المزور يسير على مقربة من أهل مصر يتعرضهم^(٢) حتى قالوا له: ما لك؟ إن لك لأمرأ ما شأنك؟ فقال: أنا رسولُ أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب المزور، وواضح أن هذا الرجل كان قاصداً أن يُعرف، فرجعوا إلى عثمان وطلب عثمان التحقيق في هذا الكتاب إلا أنهم أبوا وقالوا: قد أحلَّ الله دمك. وأحاط هؤلاء البغاة ببيت عثمان، وقد حاول كثيرٌ من الصحابة وأبنائهم الدفاع عن عثمان إلا أنه كان يُقسَّم عليهم أن يلقوا سيوفهم، وهجم البغاة على الخليفة، فضربه رجلٌ مصري من بني سدوس، يقال له: جبلة - أي: الرجل الأسود - بسيف وهو يقرأ القرآن^(٣) فاتقاه عثمان عليه السلام، بيده، فقطعها، والمصحف بين يديه فنضخ^(٤) الدم على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فسقط المصحف من يده فقال عثمان: أما

(١) القُطْر: الناحية.

(٢) يتعرضهم: أي جعل نفسه هدفاً لهم.

(٣) أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة ص ٣٩١.

(٤) نضخ: نضخ الدم أي: ترشش على المصحف.

والله إنها لأول كفّ خَطَّتِ الْمُفَصَّلُ،^(١) وذلك أنه كان من كَتَبَ الوحي، وهو أول من كَتَبَ المصحف من إِملاءِ رسولِ الله ﷺ، فجاءت زوجته نائلة تحجزُ عنه فتعمِّدها أحدُ المجرمين فضرب يدها فقطع أصابعها، ثم ضرب عثمانَ فقتله، وكان استشهاده ﷺ، يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة عام ٣٥هـ،^(٢) فرحم الله أمير المؤمنين رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.



(١) الْمُفَصَّلُ: السُّبُع الأخير من القرآن الكريم من «ق» إلى «الناس»، سمي بذلك لكثرة الفصل بين سورته.

(٢) الإصابة: ابن حجر ٤ / ٢٢٤.

أسئلة

- ١- ما نسب الخليفة عثمان رضي الله عنه؟
- ٢- بماذا لقب الخليفة عثمان رضي الله عنه؟ وما سبب ذلك؟
- ٣- كيف أسلم الخليفة عثمان رضي الله عنه؟
- ٤- اذكر صفات الخليفة عثمان رضي الله عنه، الخُلُقِيَّة.
- ٥- ما موقف الخليفة عثمان رضي الله عنه، من جيش العُصرة؟
- ٦- كيف تولى عثمان رضي الله عنه، الخلافة؟
- ٧- أكمل الفراغات الآتية:
- أ- امتدت رقعة الدولة الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه، حتى وصلت شرقاً إلى بحر وغرباً إلى
- ب- فتح الأسطول الإسلامي، في عهد عثمان رضي الله عنه، جزيرتي و
- ٨- أجب بـ (نعم) أو (لا) فيما يلي:
- أ- كانت معركة ذات الصواري بين المسلمين والفرس () .
- ب- وصلت جيوش المسلمين في عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه، إلى بلاد النوبة جنوب مصر () .
- ج- تمكن الأسطول الإسلامي في عهد عثمان رضي الله عنه، من فتح جزيرتي صقلية وكريت () .

٩- اذكر السبب لما يأتي:

أ- كتابة المصاحف في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه.

ب- تأسيس البحرية الإسلامية.

ج- الفتنة في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه.

د- إقسام الخليفة عثمان رضي الله عنه، على الصحابة وأبنائهم بإلقاء سيوفهم أثناء الحصار.

١٠- من قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه؟ ومتى؟

١١- هات الماضي من الفعل: (يُلَقَّبُ).

١٢- هات اسم الفاعل من الفعل: (تزوج).

١٣- قال رسول الله ﷺ: (اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راضٍ).

استخرج من العبارة السابقة اسمًا ممنوعًا من الصرف، وأعربه.

١٤- «أمر عثمان رضي الله عنه، بنسخ القرآن بلسان قريش».

أعرب الجملة السابقة.

١٥- «وأصبحت المنطقة كلها من برقة إلى تونس خاضعة للدولة الإسلامية».

استخرج من الجملة السابقة.

أ- نعتًا مجرورًا.

ب- فعلًا ناسخًا، وبين اسمه وخبره.

ج- أعرب الكلمة التي تحتها خط.

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٣٥-٥٤٠)

نَسَبُهُ

هو عليُّ بنُ أبي طالبٍ، ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ، وزوجُ ابنته فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو رابعُ الخلفاء الراشدين، وأحدُ العشرة المبشرين بالجنة، وُلِدَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ بِعَشْرِ سِنِينَ ^(١)، وَيُلَقَّبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِأَبِي السَّبْطَيْنِ، ^(٢) يَعْنِي: الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيُكْنَى أَبُو الْحَسَنِ، وَلَقَّبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِأَبِي تُرَابٍ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ عَلِيًّا دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ ثُمَّ خَرَجَ فَاضْطَجَعَ ^(٣) فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ؟» قَالَتْ: فِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَوَجَدَ رِدَاءَهُ قَدْ سَقَطَ عَنْ ظَهْرِهِ، وَخُلِصَ ^(٤) التُّرَابُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ فَيَقُولُ: «اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ». ^(٥) مَرَّتَيْنِ.

إِسْلَامُهُ

كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّبِيَّانِ، وَكَانَ يَعِيشُ فِي كَنْفِ ^(٦) الرِّسُولِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدْ كَفَّلَهُ وَتَوَلَّى تَرْبِيَتَهُ لِيُخَفِّفَ عَنْ عَمِّهِ شَيْئًا مِنْ مُؤَنَةِ

(١) الإصَابَةُ، لابن حجر ٤/ ٢٦٩.

(٢) السَّبْطَيْنِ: مفردة سَبْط: وهو ولد الابن والابنة.

(٣) اضْطَجَعَ: وضع جنبه على الأرض.

(٤) خُلِصَ: وصل إلى جلده التراب.

(٥) فتح الباري ٧/ ٩٠.

(٦) فِي كَنْفِ الرِّسُولِ: أَي: فِي ظِلِّهِ وَتَحْتَ رِعَايَتِهِ.

العيال، وحينما بُعثَ الرسول ﷺ، كان عليٌّ لا يزال في حجره فدعاه إلى الإسلام فآمن به وصدَّقه^(١) وكان له من العمر ثمانين أو عشرين سنين^(٢).

صِفَاتُهُ الْخُلُقِيَّةُ

كان ﷺ، عالمًا، ذكيًّا، اشتهر بالفصاحة والشجاعة والمروءة والوفاء واحترام العهود، وكان ﷺ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته، ويعجبه من اللباس ما قصُر، ومن الطعام ما خُسُن، وكان يُعَظِّم أهل الدين ويُقَرِّب المساكين وكان يخاطب الدنيا فيقول: عمرُك قصيرٌ، ومجلسُك حَقِيرٌ، وخطرُك قليلٌ، آه آه من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق^(٣).

فَضْلُهُ

فضائل عليٍّ ﷺ، كثيرةٌ، منها:
قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْكَ»^(٤).
وقولُ عمرَ بن الخطَّابِ ﷺ: «تُوفِّي رسولُ الله ﷺ، وهو عنه راضٍ»^(٥).

وفي غزوة خيبرَ حينما استعصى على المسلمين حصنان قال النَّبِيُّ ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهَ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ

(١) ابن هشام ١/٢٢٩.

(٢) عصر الخلافة راشدة، أكرم ضياء العمري ص ٧٥.

(٣) انظر: الخلفاء الراشدون، أمين القضاة ص ٨٧.

(٤) فتح الباري ٧/٧٠.

(٥) المرجع السابق ٧/٧٠.

وَرَسُولُهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». فبات الناسُ يَدُوكُونُ^(١) ليلتهم أئتهم يُعطاها، فلما أصبح الناسُ غدوا على رسولِ الله ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعطاها، فقال: «أَيْنَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟». فقالوا: يشتكي عينيه يا رسولَ الله. قال: «فَارْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَتُونِي بِهِ». فلما جاء بصق في عينيه، ودعا له فَبَرَأَ حَتَّى كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَايَةَ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٢).

تَضَحِيَّتُهُ بِنَفْسِهِ

كَانَ عَلِيٌّ ﷺ، كَأَفْضَلِ الصَّحَابَةِ لَا يُبَالِي حِينَ يُقَدِّمُ أَيَّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، فَقَدْ ضَحَّى بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ؛ فَهُوَ ﷺ، أَوَّلُ مَنْ فَدَى^(٣) بِنَفْسِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَدْ نَامَ فِي فِرَاشِ الرَّسُولِ ﷺ، لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَشْرُكِينَ قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاشْتَرَكُوا ﷺ، فِي جَمِيعِ الْغَزَوَاتِ عَدَا غَزْوَةَ تَبُوكَ^(٤).

خِلَافَتُهُ

بَعْدَ مَقْتَلِ عَثْمَانَ ﷺ، اخْتَارَهُ الْمُسْلِمُونَ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ، فَلَمْ يَقْبَلْ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ وَزِيرًا بَدَلَ أَنْ يَكُونَ أَمِيرًا، إِلَّا أَنَّ الصَّحَابَةَ أَصْرُوا عَلَيْهِ لِلْخِلَافَةِ مِنَ الْمَازِقِ الَّذِي كَانُوا فِيهِ، فَقَدْ كَانَ قَتْلُهُ عَثْمَانَ هُمْ الْمَسْيطِرُونَ عَلَى زِمَامِ^(٥) الْأُمُورِ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ قَتْلِهِمُ الْخَلِيفَةَ عَثْمَانَ ﷺ، ظَلَمًا وَعَدْوَانًا، بَلْ هَدَدَ هَؤُلَاءِ الْقَتْلَةَ الْبَغَاةُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ

(١) يدوكون: يخوضون ويموجون ويختلفون فيه.

(٢) فتح الباري ٧/ ٧٠.

(٣) الفدائي: المجاهد في سبيل الله مضحياً بنفسه.

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٩١/ ٢، الإصابة لابن حجر ٢٧٠/ ٤.

(٥) زمام الأمور: ملاكها.

بقتل أهل الشورى وكبار الصحابة، ومن يقدرّون عليه في دار الهجرة إن لم يجدوا أحداً يقبل الخلافة، وقالوا: دُونَكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فقد أَجَلْنَاكُمْ يَوْمِينَ، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلنَّ غداً عليّاً وطلحة والزبير وأناساً كثيرين، ولما عزم عليه المهاجرون والأنصار رأى ذلك فرضاً عليه، فانقاد له، وفي يوم السبت التاسع عشر من ذي الحجة خرج عليٌّ عليه السلام، إلى المسجد فصعد المنبر فبايعه المهاجرون والأنصار، وكان ممن بايعه الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله ^(١).

أَهْمُ أَعْمَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، بَعْدَ تَوَلِّيهِ الْخِلَافَةَ

شاء الله تعالى أن تطول الفتنة بعد مقتل عثمان عليه السلام، وتتجدد أحداثها بمكرٍ وحيل أعداء الإسلام ابتلاءً وامتحاناً للمسلمين، فهو سبحانه حكيمٌ في قضائه عليهم في أقداره، فبعد أن بويع عليٌّ عليه السلام، بالخلافة قام عليٌّ عليه السلام، بما يلي:

١- عزل عليٌّ عليه السلام، أمراء عثمان الذين اشتكى الناس منهم، وعزل أيضاً من لا يتفق مع سياسته.

٢- أجل عليٌّ عليه السلام، معاقبة قتلة عثمان ريثما يستقر حكمه، ويجتمع عليه المسلمون في البلاد الأخرى ^(٢).

مَوْقِفُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ عليهم السلام، مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ

استجاب بعض الأمراء لهذا العزل، ولم يستجب قسمٌ منهم، من بينهم أمير الشام معاوية بن أبي سفيان عليه السلام، مع اعترافه بفضل

(١) انظر: ابن كثير، البداية النهاية المجلد ٤/٢٣٧، محمود شاكر، التاريخ الإسلامي الخلفاء الراشدون ٢٥٩، الطبري المجلد الثاني ص ٧٠٠.
(٢) محمود شاكر، تاريخ الخلفاء الراشدون، بتصرف.

عليّ ﷺ، وتسليمه بجلالة قدره.

وكان سبب عدم استجابته ﷺ، هو إصراره على ضرورة القصاص من المجرمين قبل البيعة، وهذا هو بداية الخلاف، وما جرى بين عليّ ومعاوية ﷺ، كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الإمامة،^(١) لذلك قرر أهل السنة والجماعة أن كلاهما مأجور؛ للمُصيب أجران وللمُخطئ أجر واحد، كما قال رسول الله ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(٢).

وقد نتج عن استغلال الحاقدين^(٣) لهذا الخلاف حربان مؤسفتان بين المسلمين دفاعاً عما يعتقدونه كل فريق من الحق والصواب، فكانت:

الأولى: مَعْرَكَةُ الْجَمَلِ سَنَةِ (٣٦ هـ):^(٤)

وسببها أن عائشة ﷺ، ومعها طلحة والزبير ﷺ، ساروا إلى البصرة، ومعهم كثير من الناس بنية تأليف القلوب وتهذيب الوضع المضطرب والإصلاح بين الناس حينما اختلفوا بعد استخلاف عليّ ﷺ، مُمَثِّلِينَ بذلك قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، [سورة النساء: آية ١١٤].

وبعد أن سمع عليّ بخروج عائشة ﷺ، إلى البصرة خرج بجيشه يريد الإصلاح أيضاً؛ بدليل قوله ﷺ، عندما سئل: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ وَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ بِنَا؟ فقال: أَمَّا الَّذِي نُرِيدُ وَنَنْوِي فَالْإِصْلَاحُ إِنْ قَبِلُوا مِنَّا

(١) أمين القضاة، تاريخ الخلفاء الراشدون ص ٩٤.

(٢) فتح الباري ٣١٨/١٣.

(٣) «الحاقدين» هنا: هم عبد الله بن سبأ وأتباعه.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام: عهد الخلفاء الراشدين ٤٨٣.

وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطهم الحق ونصبر. قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم. قال: فنعم إذا. ^(١) ودار الحوار والتفاهم بينه وبين عائشة عليها السلام، ومن معها، وبات الجيشان بخير ليلة، ولكن أهل الفتنة، عبد الله بن سيأ ومن معه، خافوا على أنفسهم من الاتفاق بين الطرفين، فقاموا مع الفجر وانقسموا قسمين، وهجم كل قسم على معسكر الآخر، فقام الناس إلى سلاحهم وهم يظنون الغدر، واشتبك المسلمون في قتال مريع حتى عُقر جمل عائشة عليها السلام، ففرق الناس وانتهت المعركة ورجعت عائشة إلى مكة بعد أن جهّزها علي عليه السلام، بكل ما تحتاج، وسار بجانب هودجها ^(٢) ماشياً حتى خارج المدينة وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر وسير أولاده معها مسيرة يوم ^(٣).

وَالثَّانِيَةُ: مَعْرَكَةُ صِفِّينَ سَنَةِ (٣٧ هـ):

وهي المعركة الثانية نتيجة لهذا الخلاف الذي وقع بين علي ومعاوية عليه السلام، واستغلّه الحاقدون، وسبق أن بينا أسباب هذا الخلاف، كان أصحاب علي عليه السلام، وأصحاب معاوية عليه السلام، قد تكاثبا مدة ستة أشهر قبل المعركة، وهذا يدل دلالة واضحة على كُرهما عليهما السلام، للقتال ورغبتهما في الإصلاح، ولكن لم يتوصلا إلى نتيجة خلال هذه المدة فبدأت المعركة بالخطوات التالية:

أولاً: مُناوشات ^(٤) بين الطرفين: وذلك من أجل الماء الذي كان

(١) انظر الطبري المجلد الثالث ص ٣٣-٣٤.

(٢) الهودج: قبة توضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء.

(٣) أمين القضاة، تاريخ الخلفاء الراشدون ٩٣.

(٤) مناوشات: جمع مناوشة، وهي اختبار قوة العدو قبل قتاله.

تحت سيطرة جيش معاوية رضي الله عنه، فتقاتل الفريقان وانتصر جند عليٍّ وأزاحوا جند معاوية عن مواقعهم، فأمر عليٌّ رضي الله عنه، أصحابه أن خذوا من الماء حاجتكم وخلّوا عنهم^(١).

ثانياً: بدأ القتال بين الطرفين بقوة مختلفة دون أن يظهر انتصار حاسم لأي فريق، وإن كانت الكفة راجحة لصالح عليٍّ رضي الله عنه، ومع ذلك كان الكثير من أفراد الجيشين يلتقون في الليل^(٢) ويتحدثون.

نَهَايَةُ الْأَحْدَاثِ، وَحَقْنُ الدِّمَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ

خاف المخلصون أن يُفْنِيَ المسلمون بعضهم بعضاً فتمنوا ما ينقذهم ويُوقف القتال، وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه، يفكر ملياً بذلك حتى اهتدى إلى فكرة التحكيم ليوقف تلك المقتلة الكبرى، عند ذلك أبْدَى الفكرة لمعاوية رضي الله عنه، ففرح بها ورفع جيش الشام المصاحف فهاب جيش عليٍّ رضي الله عنه، قتالهم، وتوقف القتال وتفرق الجيشان بعد مسألة التحكيم^(٣) ومضى كلٌّ إلى بلده.

اسْتِشْهَادُ عَلِيٍّ رضي الله عنه

استشهد رضي الله عنه، في السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ على يد أحد الخوارج^(٤) واسمه عبد الرحمن بن مُلْجَم، الذي ظن أنه

(١) انظر الكامل لابن الأثير ٣ / ١٤٦.

(٢) أمين القضاة، تاريخ الخلفاء الراشدون ص ٩٤.

(٣) في مسألة التحكيم: انتدب عليٌّ أبا موسى الأشعري، وانتدب معاوية عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ ليتفاوضوا في هذا الأمر، فاتفق الحكمان على الاجتماع ودراسة هذا الأمر العام المقبل، فاجتمع الحكمان في الوقت المحدد واجتهد كل منهما في الوصول إلى نتيجة ولكن عدم اتفاقهما أذهب فائدة التحكيم، فكانت النتائج استمرار الوضع دون اتفاق، وعادت بعد ذلك المفاوضات من جديد وتراضى عليٌّ ومعاوية على أن لعليٍّ العراق، ولمعاوية الشام.

(٤) الخوارج: جمع خارج، وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق وأعلن عصيانه وألبَّ عليه،

بقتله علياً عليه السلام، يتقربُ إلى الله، فقد اجتمع مع زميلين له وتذاكروا الأحداث ^(١) التي جرت بين المسلمين، فقالوا: يا ليتنا نقتل أئمة الضلالة ونريح منهم البلاد، فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا لكم بعليٍّ، وقال زميله البرك بن عبد الله: وأنا لكم بمعاوية، وقال عمرو ابن بكر: وأنا كافيكُم عمرو بن العاص.

واتفقوا على أن يكون ذلك في ليلة واحدة، وقد تمكّن عبد الرحمن بن ملجم من قتل عليٍّ عليه السلام، بسيفٍ مسمومٍ عندما كان ذاهباً لصلاة الفجر، وهو ينادي: الصلاة الصلاة. بينما فشل زميله في قتل معاوية وعمرو بن العاص، فرحم الله أمير المؤمنين رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ^(٢).

وأجمع الخوارج على تكفير كل من عليٍّ وعثمان عليهما السلام، وأصحاب الجمل والحكمين ومن صوبهما أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم. نقل من كتاب: (الفرق بين الفرق)، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي.

(١) الأحداث:

١- موقعة الجمل. ٢- موقعة صفين.

٣- قضية التحكيم. ٤- موقعة النهروان.

موقعة النهروان: بعد قضية التحكيم رجع معاوية عليه السلام، إلى الشام، وعلي عليه السلام، إلى الكوفة، ولما قارب علي عليه السلام، الكوفة اعتزل من جيشه قريب من اثني عشر ألفاً، وهم الخوارج، وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها، فبعث إليهم عبد الله بن عباس عليه السلام، فناظرهم فرجع أكثرهم، واستمر بعضهم على ضلالتهم، فعاثوا في الأرض فساداً وسفكوا الدماء وقطعوا السبل واستحلوا المحارم، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب ومعه امرأته وثلاث نسوة، فتألم علي عليه السلام، من هذه الأعمال المنكرة، وبعث إليهم رسولاً: الحرب بن مرة العبدى، لينظر فيما بلغه عنهم فقتلوا رسول علي عليه السلام، فجاء علي عليه السلام، بجيشه ولم يبدأهم بالقتال وفتح أمامهم باباً للخلاص من الحرب فطلب منهم أن يدفخوا إليه القتلة: قتلة عبد الله بن خباب ومن معه، ورسول علي عليه السلام، فأبوا وقالوا: كلنا قتلة. وفي هذا اليوم هُزم الخوارج في مكان يسمى بالنهروان يقع جنوب شرقي بغداد، وهذه الموقعة كانت سبباً في قتل علي عليه السلام. انظر ابن كثير، البداية والنهاية ٢٨٩/٤.

(٢) انظر: محمود شاكر، تاريخ الخلفاء الراشدون ص ٢٨٢.

عَامَ الْجَمَاعَةِ سَنَةِ (٤١ هـ)

بايع أهل العراق الحسن بن علي عليه السلام، في اليوم الذي استشهد فيه علي عليه السلام، وبلغ معاوية عليه السلام، أن الحسن يُعبى له الجيوش لمواصلة قتاله، فعَبَّأ جيشه تحسُّباً واحتياطاً للأُمور، فقد روى البخاري في صحيحه عن الحسن البصري قال: «استقبل، والله، الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال. فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تُؤلي حتى تقتل أقرانها. فقال له معاوية: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه (أي: إلى الحسن) رجلين من قريش من بني عبد شمس، وهما عبد الرحمن بن سُمرة، وعبد الله بن عامر، فقال: اذهبَا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له واطلبا إليه (أي: الصلح)، فأتياه فدخلَا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها. قالَا: فإنه يعرضُ عليك كذا وكذا، ويطلبُ إليك ويسألك. قال: فَمَن لي بهذا؟ (أي: يكفُل لي هذا). قالَا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالَا: نحن لك به. فصالحه وتنازل له.»^(١)

وهكذا انتهت الفتنة، وأصلح الله بين المسلمين بالحسن عليه السلام، لدينه وعقله وتقواه، فتحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم، فيما رواه البخاري في صحيحه: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

(١) صحيح البخاري، فتح الباري ٣٠٥/٥.

(٢) انظر: فتح الباري ٣٠٦/٥.

أسئلة

- ١- أ- اذكر نسب علي عليه السلام، ومتى ولد؟
- ب- ماذا تعرف عن نشأة علي عليه السلام، وإسلامه؟
- ج- اذكر ما تعرفه عن جهاد علي عليه السلام، ونصرته للنبي صلى الله عليه وسلم؟
- ٢- اشرح كيف آلت الخلافة إلى علي عليه السلام؟
- ٣- اذكر أسباب الخلاف بين علي عليه السلام ومعاوية رضي الله عنه؟
- ٤- ما أسباب معركة صفين؟
- ٥- ما أهم الأحداث في عهد علي عليه السلام؟
- ٦- اذكر سبب خروج كل من علي عليه السلام وعائشة رضي الله عنها، بعد أن تولّى علي عليه السلام، الخلافة.
- ٧- وضح ما الذي يدل على رغبة علي عليه السلام ومعاوية رضي الله عنه، في الصلح.
- ٨- درست نسب الخليفة علي عليه السلام، استخرج منه اسمًا من الأسماء الخمسة؟
- ٩- ما حكم توكيد الفعل: (لأعطين) بالنون؟ ولماذا؟
- ١٠- أعرب الجملة الآتية: (أعطاه الراية).

١١- «كان الفريقان قد تكاتبا».

أ- ما فائدة: «قد»؟

ب- أعرب الجملة كاملة.

١٢- كيف استشهد علي عليه السلام؟

١٣- تحدث عن عام الجماعة، وفي أي سنة كان؟



الْخَاتِمَةُ

إنَّ الحقوقَ الواجبةَ لصحابةِ رسولِ الله ﷺ، على كلِّ فردٍ من أفرادِ هذه الأمةِ المسلمةِ، محبتُهُم وطاعتُهُم ومتابعتُهُم والافتداءُ بهم وتوقيرُهُم و الترضي عنهم والذبُّ عنهم؛ لأنَّهم مصابيحُ هذه الأمة التي يُستضاء بها بعد نبيِّها عليه أفضلُ الصلاة والسلام.

فهم قوم قال الله فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: آية ١٠٠].

وقال الله تعالى فيهم أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَوْثَرُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [سورة الحشر: آية ٩]

وفي هذه التُبذة التاريخية اقتصرنا على دراسةِ بعضِ جوانبِ الخلافةِ الراشدة، والتي دامت ثلاثين عاماً تقريباً، تقاسمها أربعةٌ من خيارِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، من المُبشرين بالجنةِ ممن تربوا في مدرسةِ التُّبوة، وممن عاشوا حياةَ الدعوة وعاشوا أحداثها منذ بدايتها، كلُّهم ترسموا خطاً رسولِ الله ﷺ واستنوا بسنَّته وساروا على نهجه وهديه، وهم الذين يصدقُ فيهم قولُ الشاعر:

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَاقِيَتْ سَيِّدَهُمْ

مثلُ النجوم التي يُهدى بها الساري

فمن خلال دراستنا لحياة الخلفاء الراشدين نجد أنه لم يتول أحدٌ منهم أمرَ المسلمين بفرض نفسه عليهم أو بفرضه من قبل من سبقه في رئاسة الدولة: بدءاً من أبي بكر و انتهاءً بعليٍّ، بل كان كلُّ ذلك يتم بشورى من المسلمين، وبعد الاختيار المُنْبثق من الشورى تتم مبايعةُ الخليفة علناً، ثم إذا حصلت البيعة لا يجوز نقضها إلا حين يكون كفرٌ بواحدٍ، ولذلك لم يهناً أعداءُ الإسلام، فبدءوا يحكيون المؤامرات ضد هذه الدولة الإسلامية، وهي محاولةٌ لنقض عرى الإسلام، فسلك أبو بكر الصديق المسلك الأمثل لمعالجة هذه الظاهرة، كما حصل في حروب الردة، فالدعوة والجهاد في سبيل الله بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ، لم تتوقف، فقد نفذ أبو بكر ما كان ينوي رسولُ الله ﷺ، تنفيذه، فأرسل جيش أسامة بن زيد، وأرسل أربعة جيوش إلى بلاد الروم، وبينما كانت هذه الجيوش في حروب مع الروم وافته المنيّة فأكمل الفاروق ﷺ، ما بدأه الصديق فأخضع بلاد فارس وأجزاء كبيرة من بلاد الروم، ونظّم الدولة فحيكت له مؤامرةٌ أودت بحياته بعد جهاد طويل مع رسول الله ﷺ، ومع صاحبه وفي فترة خلافته، وبعد أن لحق بالرّفيق الأعلى تولّى عثمان ﷺ، فنهَج منهج صاحبيه في جهاده والذبّ عن حَظيرة الإسلام، وعمل على توسيع دائرة الإسلام امتثالاً لقوله الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: آية ١٢٣].

فوصل المسلمون في عهده حتى أواسط شمال إفريقيا غرباً، وإلى طشقند شرقاً، وإلى بلاد النوبة جنوباً، فكاد له اليهود أيّما

كيدٍ، فقد قُتل ﷺ، مظلومًا شهيدًا على بُلوى أصابته كما أخبر بذلك الرسول ﷺ، فقد جاء في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ قال، لما استأذن عثمان ﷺ، بالدخول عليه: «افْتَحْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، عَلَى بُلْوَى تُصِيبُهُ». قال الراوي فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ثم قال: الله المستعان. ^(١) وقتلته فسقة؛ لأنَّ موجبات القتل مضبوطة، ولم يَجِرِ منه ﷺ، ما يقتضيه، ولم يُشارك في قتله أحدٌ من الصحابة ولا أبنائهم، وإنما قتله هَمَجٌ من غوغاء القبائل بتحريض من اليهود الذين يعملون في الخفاء، فرحم الله أمير المؤمنين رحمة واسعة.

كما وجدنا أنَّ اختلاف عليٍّ مع عائشة وطلحة والزبير في الرأي لم يكن حول قضية مُعاقبة هؤلاء القتلة أو عدم معاقبتهم، وإنما في توقيت العقاب وكيفيته، فعليٌّ ﷺ، يرى تأجيل ذلك؛ لأن هؤلاء الغوغاء في حالة قوة، حتى لا تتكرر المأساة، والآخرون يرون الإسراع في ذلك، وكلُّهم مجتهد؛ فالْمُصِيبُ منهم له أجران والمُخْطِئُ له أجرٌ، كما أنَّ اغتيالَ عمر، ثم عثمان، ثم عليٍّ ﷺ، أجمعين، أسلوبٌ خسيسٌ لا يقومُ به إلا عدوُّ جبانٌ غرَضُه القضاء على أئمة الدعوة وحُماة السُّنة النَّبوية، حتى يخلو له الجوّ ليعيثَ في الأرض فسادًا، ويتضح من موقفِ الحَسَنِ ﷺ، مع معاوية بن أبي سفيان ﷺ، حُبُّه لِإِصلاح ذات البين، وأنَّه من أفضل القُرب إلى الله، وذلك حينما تنازل وترك الأمرَ لمعاوية. فرضي الله عن الجميع وجمعنا معهم في دار الرحمة، إنه سميعٌ قريبٌ.

والحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه

وسلم.

(١) فتح الباري ٧/ ٤٣.

صور من حياة الصحابة

برنامج الدبلوم المستوى الثالث



رَمْلَة بنت أبي سفيان

«أم حبيبة أثرت الله ورسوله على ما سواهما، وكرهت أن تعود

للكفر كما يكره المرء أن يُقذف في النار»

[المؤرخون]

ما كان يَخْطُرُ بِبَالِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ أَنْ فِي وَسْعٍ أَحَدٍ مِنْ قَرِيشٍ أَنْ يَخْرُجَ عَلَى سُلْطَانِهِ^(١)، أَوْ يَخَالَفَهُ فِي أَمْرِ ذِي بَالٍ^(٢). فَهُوَ سَيِّدُ مَكَّةَ الْمُطَاعِ، وَزَعِيمُهَا الَّذِي تَدِينُ لَهُ بِالْوَلَاءِ^(٣).

لَكِنَّ ابْنَتَهُ رَمْلَةَ الْمَكْنَاءَ بِأُمِّ حَبِيبَةَ، قَدْ بَدَّدَتْ^(٤) هَذَا الزَّعْمَ. وَذَلِكَ حِينَ كَفَرَتْ بِالْهَيْكَلِ أَبِيهَا، وَأَمْنَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَصَدَّقَتْ بِرِسَالَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَقَدْ حَاوَلَ أَبُو سُفْيَانَ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ سَطْوَةٍ وَبَأْسٍ^(٥)، أَنْ يَرُدَّ ابْنَتَهُ وَزَوْجَهَا إِلَى دِينِهِ وَدِينِ آبَائِهِ، فَلَمْ يُفْلِحْ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي رَسَخَ فِي قَلْبِ رَمْلَةَ كَانَ أَعَمَقَ مِنْ أَنْ تَقْتُلَعَهُ أَعَاصِيرُ^(٦) أَبِي سُفْيَانَ، وَأُثْبِتَ مِنْ أَنْ يُزَعِزَ غَضْبُهُ.

(١) يخرج على سلطانه: يخالف أمره.

(٢) أمر ذو بال: أمر ذو أهمية وشأن.

(٣) الولاء: الطاعة والمتابعة.

(٤) بددت هذا الزعم: أبطلت هذا الزعم ومزقته.

(٥) البأس: القوة.

(٦) أعاصير: جمع إعصار، وهو رَجٌّ شديدة ترتفع بتراب الأرض ومياه المجر.

ركب أبا سفيان الهُمَّ بسبب إسلامِ رملّة، فما كان يعرفُ بأيّ وجهٍ يقابلُ قريشاً، بعد أن عَجَزَ عن إخضاعِ ابنته لمشيئته، والحيلولةِ دونها ودون أتباع محمد.



ولمّا وَجَدَت قريش أن أبا سفيانَ ساخِطٌ على رَمْلَةٍ وزوجها اجترأتُ عليهما، وطفقتُ تُضَيِّقُ عليهما الخناق، وجعلت تُرهِقُهُما^(١) أشدَّ الإرهاق؛ حتى باتا لا يُطيقانِ الحياةَ في مكة.

ولما أذن الرسولُ صلواتُ الله وسلامه عليه للمسلمين بالهجرةِ إلى الحبشة، كانت رَمْلَةُ بنتُ أبي سفيانَ وطفلتها الصغيرةُ حبيبةً، وزوجها عبيدُ الله بنُ جحش، في طليعةِ المهاجرينَ إلى الله بدينهم، الفارينَ إلى حمى النجاشي^(٢) بإيمانهم.



لكنَّ أبا سفيانَ بنَ حربٍ ومن معه من زعماءِ قريش، عَزَّ^(٣) عليهم أن يفِلتَ من أيديهم أولئك النفرُ من المسلمين، وأن يذوقوا طَعْمَ الراحةِ في بلادِ الحبشة.

فأرسلوا رسلهم إلى النجاشي يحرضونه^(٤) عليهم، ويطلبون منه أن يُسلمَهم إليهم، ويذكرون له أنَّهم يقولون في المسيح وأمه مريمَ قولاً يسوؤه^(٥).

فبعثَ النجاشيُّ إلى زعماءِ المُهاجرين، وسألهم عن حقيقةِ دينهم

(١) ترهقهما: تُثَبِّطُهُما وتُعْنِيهِما.

(٢) النجاشي: ملك الحبشة، وقد جمع القرآن وآمن بالله ورسوله وآوى المسلمين.

(٣) عَزَّ عليهم: صَعَّبَ عليهم.

(٤) يحرضونه عليهم: يثيرونه عليهم.

(٥) يسوؤه: يؤذيه ويزنه.

وَعَمَّا يَقُولُونَهُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَطَلَبَ إِلَيْهِمْ أَنْ يُسْمِعُوهُ شَيْئًا
مِنَ الْقُرْآنِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى قَلْبِ نَبِيِّهِمْ.

فلما أخبروه بحقيقة الإسلام، وتَلَّوْا عليه بعضًا من آياتِ القرآن،
بَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ ^(١) لِحْيَتُهُ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّكُمْ
مُحَمَّدٍ، وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَخْرُجَانِ مِنْ مِشْكَاةٍ ^(٢) وَاحِدَةٍ.
ثُمَّ أَعْلَنَ إِيمَانَهُ بِاللَّهِ وَخَدَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَصَدَّقَهُ لِنُبُوءَةِ مُحَمَّدٍ
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ...

كما أعلن حمايته لمن هاجر إلى أرضه من المسلمين على الرِّغْمِ
مِنْ أَنَّ بَطَارِقَتَهُ ^(٣) أَبَوْا أَنْ يُسَلِّمُوا، وَظَلُّوا عَلَى نَضْرَائِيَّتِهِمْ.



حَسِبْتُ ^(٤) أُمَ حَبِيبَةٍ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَيَّامَ صَفَتْ لَهَا بَعْدَ طَوْلِ عُبُوسٍ،
وَأَنَّ رَحِلَتَهَا الشَّاقَّةَ فِي طَرِيقِ الْأَلَامِ قَدْ أَفْضَتْ ^(٥) بِهَا إِلَى رَاحَةِ الْأَمَانِ...
إِذْ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مَا خَبَأَتْهُ لَهَا الْمَقَادِيرُ...



فَلَقَدْ شَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَتْ حِكْمَتُهُ، أَنْ يَمْتَحِنَ أُمَّ حَبِيبَةٍ امْتِحَانًا قَاسِيًا تَطِيشُ ^(٦) فِيهِ
عُقُولُ الرِّجَالِ ذَوِي الْأَحْلَامِ ^(٧) وَتَتَضَعُّعُ أَمَامَهُ أَفْهَامُ ذَوِي الْأَفْهَامِ.

(١) اخضلت لحيته: تبللت لحيته.

(٢) المشكاة: ما يوضع عليه المصباح (أي من مصدر نورٍ واحدٍ).

(٣) البطارقة: جع بطريق وهو القائد.

(٤) حسبت أم حبيبة: ظننت.

(٥) أفضت بها: انتهت بها وأوصلتها.

(٦) تطيش: تتوه وتضل.

(٧) ذوو الأحلام: أصحاب العقول.

وَأَنْ يُخْرِجَهَا مِنْ ذَلِكَ الْإِبْتِلَاءِ الْكَبِيرِ ظَافِرَةً تَتَرَبَّعُ^(١) عَلَى قِمَةِ النِّجَاحِ...



فَفِي ذَاتِ لَيْلَةٍ أَوْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ إِلَى مَضْجَعِهَا، فَرَأَتْ فِيهَا يَرَاهُ النَّائِمُ
أَنَّ زَوْجَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ يَتَخَبَّطُ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ^(٢) غَشِيَّتُهُ^(٣) ظُلُمَاتٌ
بَعْضُهَا فَوْفَ بَعْضٍ، وَهُوَ بِأَسْوَأَ حَالٍ...

فَهَبَّتْ مِنْ نَوْمِهَا مَذْعُورَةً^(٤) مُضْطَرِبَةً...

وَلَمْ تَشَأْ أَنْ تَذْكُرَ لَهُ أَوْ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ شَيْئًا مِمَّا رَأَتْ...

لَكِنَّ رُؤْيَاهَا مَا لَبِثَتْ أَنْ تَحَقَّقَتْ؛ إِذْ لَمْ يَنْقُضِ يَوْمٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ
الْمَشْهُومَةَ^(٥) حَتَّى كَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، قَدْ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ وَتَنَصَّرَ...

ثُمَّ أَكَبَّ عَلَى حَانَاتِ^(٦) الْخَمَّارِينَ يَعَاقِرُ^(٧) أُمَّ الْخَبَائِثِ^(٨) فَلَا
يَزْتَوِي مِنْهَا وَلَا يَشْبَعُ.

وَقَدْ خَيْرَهَا بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحْلَاهُمَا مَرًّا:

فَإِذَا أَنْ تُطْلَقَ...

وَأَمَّا أَنْ تَتَنَصَّرَ...



(١) تتربع: تجلس.

(٢) بحر لجي: بحر ذو لجة متلاطمة.

(٣) غشيته ظلمات: غطته ظلمات وأطبقت عليه.

(٤) هبت مذعورة: نهضت خائفة.

(٥) الليلة المشهومة: الليلة التعيسة.

(٦) حانات الخمارين: دكاكين الخمارين.

(٧) يعاقر الخمر: يلزمها ويدمن عليها.

(٨) أم الخبائث: كناية عن الخمر، ودعيت بذلك لأنها أصل كل شر.

وَجَدْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ نَفْسَهَا فَجَاءَ بَيْنَ ثَلَاثٍ :

فَإِذَا أَنْ تَسْتَجِيبَ لِرَوْجِهَا الَّذِي جَعَلَ يُلْحُ فِي دَعْوَتِهَا إِلَى التَّنَصُّرِ،
وبذلك تَرْتَدُّ عَنْ دِينِهَا -والعياذُ بالله- وتَبْوءُ بِخَزِيٍّ^(١) الدُّنْيَا وَعَذَابِ
الْآخِرَةِ.

وهو أمر لا تَفْعَلُهُ وَلَوْ مُشِطَ لَحْمِهَا عَنْ عَظْمِهَا بِأَمْشَاطٍ مِنْ
حَدِيدٍ...

وإِذَا أَنْ تَعُودَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا فِي مَكَّةَ، وهو مازال قَلْعَةً لِلشُّرْكِ،
فَتَعِيشَ فِيهِ مَقْهُورَةً مَغْلُوبَةً عَلَى دِينِهَا...

وإِذَا أَنْ تَبْقَى فِي بِلَادِ الْحَبَشَةِ وَحِيدَةً، شَرِيدَةً، لَا أَهْلَ لَهَا وَلَا وَطَنَ وَلَا مَعِينَ.
فَأَثَرْتُ^(٢) مَا فِيهِ رَضَى اللَّهُ ﷻ عَلَى مَا سِوَاهُ...

وَأَزْمَعْتُ^(٣) عَلَى الْبَقَاءِ فِي الْحَبَشَةِ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِفَرْجٍ مِنْ عِنْدِهِ.



لَمْ يَطْلُ أَنْتَظَارُ أُمَّ حَبِيبَةَ كَثِيرًا.

فَمَا إِنْ أَنْقَضَتْ عِدَّتُهَا^(٤) مِنْ زَوْجِهَا الَّذِي لَمْ يَعِشْ بَعْدَ تَنَصُّرِهِ إِلَّا
قَلِيلًا حَتَّى أَتَاهَا الْفَرْجُ...

لَقَدْ جَاءَهَا السَّعْدُ يُرْفَرُ بِأَجْنَحَتَيْهِ الزُّمُرْدِيَّةِ^(٥) الْخَضِرِ فَوْقَ بَيْتِهَا
الْمَحْزُونِ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ...

(١) تبوء بخزي الدنيا: ترجع بعار الدنيا.

(٢) أثرت: فضلت واختارت.

(٣) أزمعت: عزت وقررت.

(٤) العدة: المدة المشروعة التي تقضها المرأة بعد وفاة زوجها أو طلاقها منه.

(٥) الزمردية: نسبة إلى الزمرد، وهو حجر كريم أخضر اللون.

ففي ذات ضحى مفضض^(١) السنا طلق الموحيا طرق عليها الباب؛
فلما فتحته فوجئت «بأبرهة» وصيفة^(٢) النجاشي ملك الحبشة.

فحيثها بأدب وبشر، واستأذنت بالدخول عليها وقالت:
إن الملك يحييك ويقول لك: إن محمداً رسول الله قد خطبك
لنفسه...

وإنه بعث إليه كتاباً وكله فيه بأن يعقد له عليك ... فوكلي عنك
من تشائين.



استطارت^(٣) أم حبيبة فرحاً، وهتفت: بشرك الله بالخير... بشرك الله بالخير...
وطفقت تخلع ما عليها من الحلي فنزعت سواريزها، وأعطتهما لأبرهة...
ثم ألحقتهما بخلخالها^(٤) ... ثم أتبعته ذلك بقزطيتها^(٥) وخواتيمها...
ولو كانت تملك كنوز الدنيا كلها لأعطتها لها في تلك اللحظة.
ثم قالت لها: لقد وكلت عني خالد بن سعيد بن العاص؛ فهو
أقرب الناس إلي.



وفي قصر النجاشي الرابض على رابية شجراً^(٦) مطلة على روضة
من رياض الحبشة النضرة.

(١) مفضض الأنا: سناه فضي اللون، والسنا: الضوء.

(٢) وصيفة النجاشي: خادمتها الخاصة.

(٣) استطارت فرحاً: كادت تفر من شدة الفرح.

(٤) الخلخال: ضرب من الحلي تضعه المرأة في رجلها.

(٥) القرط: الحلق.

(٦) رابية شجراً: رابية ذات شجر.

وفي أَحَدِ أَبْهَائِهِ^(١) الفسيحة المزدانة بالنقوش الزاهية، المضاءة بالشرح^(٢) النحاسية الوضاءة، المفروشة بفاخر الرياش اجتمع وجوه الصحابة المقيمون في الحبشة، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، وخالد بن سعيد بن العاص، وعبد الله بن خذافة السهمي، وغيرهم ليشهدوا عقد أم حبيبة بنت أبي سفيان على رسول الله ﷺ .

فلما اكتمل الجمع، تصدّر النجاشي المجلس وخطبهم فقال:

أحمدُ الله القدوس المؤمن الجبار^(٣) وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه هو الذي بشر به عيسى ابن مريم. أما بعد : فإن رسول الله ﷺ طلب مني أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبتُه إلى ما طلب، وأمهرتُها نياحةً عنه أربعمئة دينارٍ ذهباً...

على سنة الله ورسوله ...

ثم سكّب الدنانير بين يدي خالد بن سعيد بن العاص.

وهنا قام خالد فقال: الحمد لله أحمدُه وأستعينه، وأستغفره، وأتوب إليه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بدين الهدى والحق ليظهره^(٤) على الدين كله ولو كره الكافرون.

أما بعد : فقد أجبتُ طلب رسول الله ﷺ عليها، وزوجتُه موكلتي أم حبيبة بنت أبي سفيان.

(١) الأبهاء: جمع بهو، وهو القاعة الواسعة.

(٢) الشرح: جمع سراج، وهو المصباح الذي يضاء بالزيت ونحوه.

(٣) القدوس، المؤمن، الجبار: من أسماء الله الحسنى.

(٤) ليظهره: ليجعله غالباً قوياً ظاهراً.

فَبَارَكَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ بِزَوْجَتِهِ.

وهنيئاً لأمِّ حبيبة بما كتب الله لها من الخير...

ثم حَمَلَ الْمَالَ وَهُمْ أَنْ يَمْضِيَ بِهِ إِلَيْهَا، فَقَامَ أَصْحَابُهُ لِقِيَامِهِ وَهُمْ بِالْأَنْصَرَفِ أَيْضًا.

فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: اجْلِسُوا فَإِنَّ سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا تَزَوَّجُوا أَنْ يُطْعَمُوا طَعَامًا.

ودعا لهم بطعام فأكل القوم ثم انفضوا^(١).



قالت أم حبيبة: فلما وَصَلَ الْمَالُ إِلَيَّ أَرْسَلْتُ إِلَى « أَبْرَهَةَ » الَّتِي بَشَّرْتَنِي خَمْسِينَ مِثْقَالًا^(٢) مِنَ الذَّهَبِ وَقُلْتُ:

إِنِّي كُنْتُ أُعْطِيكَ مَا أُعْطِيتُ حِينَ بَشَّرْتَنِي وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي يَوْمَئِذٍ مَالٌ...

فَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَتْ أَبْرَهَةُ إِلَيَّ وَرَدَّتِ الذَّهَبَ، وَأَخْرَجَتْ حُقًّا^(٣) فِيهِ الْحُلِيِّ الَّذِي كُنْتُ أُعْطِيتُهَا إِيَّاهُ، فَردَّتْهُ إِلَيَّ أَيْضًا وَقَالَتْ:

إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ عَزَمَ عَلَيَّ أَلَّا أَخْذَ مِنْكَ شَيْئًا.

وَقَدْ أَمَرَ نِسَاءَهُ أَنْ يَبْعَثْنَ لَكَ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُنَّ مِنَ الطَّيِّبِ.

فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ جَاءَتْنِي بَوْرَسٍ^(٤)، وَعُودٍ^(٥)، وَعَنْبَرٍ، ثُمَّ قَالَتْ لِي:

(١) انفضوا: تفرقوا.

(٢) المِثْقَالُ: ما يوزن به الذهب ونحوه.

(٣) الْحُقُّ: بقم الحاء وعاء الطيب.

(٤) الْبُورْسُ: نبات أَصْفَرُ يُتَّخَذُ مِنْهُ الزَّعْفَرَانُ.

(٥) الْعُودُ: ضَرْبٌ مِنَ الطَّيِّبِ يُتَّخَذُ بِهِ.

إن لي عندك حاجة...

فقلت: وما هي؟!

فقالت: لقد أسلمتُ، واتبعتُ دينَ محمدٍ فاقْرئي عَلَيَّ النَّبِيَّ مِنِّي السلامَ وأعلميه أَنِي آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَنْسِي ذَلِكَ. ثم جَهَّزْتَنِي^(١).



ثم إِنِّي حُمِلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
فلما لقيته، أَخْبَرْتُهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْخِطْبَةِ، وَمَا فَعَلْتُهُ مَعَ «أَبْرَهَةَ» وَأَقْرَأْتُهُ مِنْهَا السَّلَامَ .
فَسَرَّ بِخَبَرِهَا وَقَالَ: وَعَلَيْهَا السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ (*).



(١) جَهَّزْتَنِي: أَعَدَّتْ لِي جِهَازِي.

(*) للاستزادة من أخبار رملة بنت أبي سفيان انظر:

- ١- الإصابة: ٤ / ٤٤١.
- ٢- الاستيعاب: ٣٠٣١٤.
- ٣- أسد الغابة: ٤٥٧١٥.
- ٤- صفة الصفوة: ٢٢١٢.
- ٥- المعارف لابن قتيبة: ١٣٦ - ٣٤٤٠.
- ٦- سير أعلام النبلاء.
- ٧- مرآة الجنان لليافعي.
- ٨- السيرة النبوية لابن هشام (انظر الفهارس).
- ٩- تاريخ الطبري (انظر الفهارس في العاشر).
- ١٠- طبقات ابن سعد (انظر الفهارس في الثامن).
- ١١- تهذيب التهذيب لابن حجر.
- ١٢- حياة الصحابة (انظر الفهارس).
- ١٣- أعلام النساء لكحالة: ١ / ٤٦٤.



زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ

« فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ حَسَّانِ وَابْنِهِ وَمَنْ لِلْمَعَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ »

[حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ]

نحن في السنة الثانية للهجرة.

ومدينة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يموج بعضها يؤمئذ في بعض^(١) استعداداً لبدر.

والنبي الكريم يلقي النظرات الأخيرة على أول جيش يتحرك تحت قيادته للجهاد في سبيل الله وتثبيت كلمته في الأرض.

وهنا أقبل على الصفوف غلامٌ صغيرٌ لم يتم الثالثة عشرة من عمره، يتوهج ذكاءً وفطنة...

ويتألق نجابة^(٢) وحمية...

وفي يده سيفٌ يساويه في الطول أو يزيد عنه قليلاً، ودنا من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وقال:

جُعِلْتُ فداك يا رسول الله، ائذن لي أن أكون معك وأجاهد أعداء الله تحت رايتك.

فنظر إليه الرسول الكريم نظرة سرور وإعجاب، وربّت^(٣) على

(١) يموج بعضها في بعض: يزدحم فيها الناس.

(٢) نجابة: ذكاء وفطنة.

(٣) ربّت على كتفه: ضرب يجلده على كتفه بلين.

كُتِفَهُ بِرِفْقٍ وَوَدٍّ، وَطَيَّبَ خَاطِرَهُ، وَصَرَفَهُ لِصِغَرِ سِنِّهِ.



عَادَ الْغَلَامُ الصَّغِيرُ يُجَزِّجُ سَيْفَهُ عَلَى الْأَرْضِ أُسْوَانَ^(١) حَزِينًا، لِأَنَّهُ حُرِّمَ مِنْ شَرَفِ صَحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ فِي أَوَّلِ غَزْوَةٍ يَغْزُوهَا. وَعَادَتْ مِنْ وَرَائِهِ أُمُّهُ النَّوَارُ بِنْتُ مَالِكٍ وَهِيَ لَا تَقِلُّ عَنْهُ أَسَى وَحْزَنًا. فَقَدْ كَانَتْ تَتَمَنَّى أَنْ تَكْتَحِلَ عَيْنَاهَا بِرُؤْيَا غَلَامِهَا، وَهُوَ يَمْضَى مَعَ الرِّجَالِ مُجَاهِدًا تَحْتَ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ. وَكَانَتْ تَأْمُلُ فِي أَنْ يَحْتَلَّ الْمَكَانَةَ الَّتِي كَانَ مِنَ الْمُتَنَظِّرِ أَنْ يَحْظِيَ بِهَا أَبُوهُ لَدَى الرَّسُولِ لَوْ أَنَّهُ ظَلَّ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.



لَكِنَّ الْغَلَامَ الْأَنْصَارِيَّ حِينَ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ أَخْفَقَ^(٢) فِي أَنْ يَحْظِيَ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ لِصِغَرِ سِنِّهِ، تَفَتَّتَ فِطْنَتُهُ عَنْ مَجَالٍ آخَرَ - لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالسِّنِّ - يُقَرِّبُهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَيُؤَدِّنِيهِ إِلَيْهِ.

ذَلِكَ الْمَجَالُ هُوَ مَجَالُ الْعِلْمِ وَالْحِفْظِ...

فَذَكَرَ الْغَلَامُ الْفِكْرَةَ لِأُمِّهِ فَهَشَتْ لَهَا وَبَشَتْ^(٣) وَنَشِطَتْ لِتَحْقِيقِهَا.



حَدَّثَتِ النَّوَارُ رَجَالًا مِنْ قَوْمِهِمْ بِرَغْبَةِ الْغَلَامِ؛ وَذَكَرَتْ لَهُمْ فِكْرَتَهُ...

(١) أُسْوَان: شديد الأسى والحزن.

(٢) أَخْفَق: لم ينجح.

(٣) هَشَتْ وَبَشَتْ: سَرَتْ وَفَرَحَتْ.

فَمَضَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَالُوا:

يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا ابْنُنَا زَيْدٌ بَنُ ثَابِتٍ يَحْفَظُ سَبْعَ عَشْرَةَ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَيَتْلُوهَا صَحِيحَةً كَمَا أُنْزِلَتْ عَلَى قَلْبِكَ.
وهو فوقَ ذلك حاذقٌ يَجيدُ الْكِتَابَةَ والقراءةَ. وهو يريدُ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِذلك إِلَيْكَ وَأَنْ يَلْزَمَكَ. فاسمع منه إِذَا شِئْتَ.



سَمِعَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ مِنَ الْغَلَامِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ بَعْضًا مِمَّا يَحْفَظُ،
فَإِذَا هُوَ مُشْرِقٌ ^(١) الْأَدَاءِ، مُبِينٌ ^(٢) النَّطْقِ...
تَتْلَأُ كَلِمَاتُ الْقُرْآنِ عَلَى شَفْتَيْهِ كَمَا تَتْلَأُ الْكَوَاكِبُ عَلَى صَفْحَةِ
السَّمَاءِ...

ثم إن تلاوته تَمَّ على تَأْثِيرٍ بما يتلو...
وَوَقْفَاتُهُ تَدُلُّ عَلَى وَعْيٍ لِمَا يَقْرَأُ وَحُسْنِ فَهْمٍ...
فُسِّرَ بِهِ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ إِذْ وَجَدَهُ فَوْقَ مَا وَصَفُوهُ، وَزَادَهُ سُرُورًا بِهِ
إِتْقَانُهُ لِلْكِتَابَةِ.

فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ وَقَالَ: يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَةَ الْيَهُودِ ^(٣)،
فَإِنِّي لَا أَمْنُهُمْ عَلَى مَا أَقُولُ.
فَقَالَ: لَبِيكَ ^(٤) يَا رَسُولَ اللَّهِ.

(١) مُشْرِقُ الْأَدَاءِ: بَدِيعُ الْإِلْقَاءِ وَضَاءُ التَّلَاوَةِ.

(٢) مُبِينُ النَّطْقِ: فَصِيحُ النَّطْقِ.

(٣) كِتَابَةُ الْيَهُودِ: الْمَبْرِيَّةُ.

(٤) لَبِيكَ: سَمْعًا وَطَاعَةً وَإِجَابَةً لِأَمْرِكَ.

واكتب^(١) من تَوّه،^(٢) على العبريّة حتى حَذَقَهَا^(٣) في وقتٍ يسير، وجعل يَكْتُبُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلواتُ الله عليه، إذا أراد أن يكتب لليهود، ويقرؤها له إذا هم كتبوا إليه.

ثم تَعَلَّمَ السُّرْيَانِيَّةَ^(٤) بأمرٍ منه - ﷺ - كما تعلم العبرية. فأصبح الفتى زيد بن ثابتٍ تَرْجُمانَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .



ولما استوثق^(٥) النبي صلواتُ الله عليه من رصانة زيد وأمانته، ودَقَّتْه وفهمه، ائْتَمَنَهُ على رسالة السماء إلى الأرض، فجعله كاتبًا لَوَحْيِ اللَّهِ... فكان إذا نَزَلَ شيء من القرآن على قلبه، بَعَثَ إليه يدعوه وقال: اكتب يا زيد، فيكتب.

فإذا بزید بن ثابتٍ يَتَلَقَّى الْقُرْآنَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا^(٦) فَأَنَا فينمو مع آياته...

ويأخذه رَطْبًا طَرِيًّا من فَمِهِ مَوْصُولًا بِأَسْبَابِ نَزُولِهِ، فَتُشْرِقُ نَفْسُهُ بِأَنْوَارِ هِدَايَتِهِ...

ويستنيرُ عَقْلُهُ بِأَسْرَارِ شَرِيعَتِهِ...

وإذا بالفتى المحظوظِ يَتَخَصَّصُ بِالْقُرْآنِ، ويغدو المَرْجِعَ الْأَوَّلَ فيه لأُمَّةٍ محمدٍ بعد وفاة الرسولِ صلواتُ الله وسلامه عليه.

(١) أكتب على العبرية: عكف على تعلم العبرية.

(٢) من توه: فورًا.

(٣) حذقها: أتقنها.

(٤) السريانية: إحدى اللغات السامية وكانت منتشرة بين طوائف من الناس.

(٥) استوثق: تأكد واطمأن.

(٦) أَنَا فَأَنَا: شيئًا فشيئًا ووقتًا بعد وقت.

فكان رَأْسَ من جمعوا كتابَ الله في عهدِ الصِّديقِ.
وطليعةً من وَحَّدُوا مَصَاحِفَهُ في زَمَنِ عثمان.
أَفْبَعَدَ هذه المنزلةَ منزلةَ تسمو إليها الهَمَمُ؟!
وهل فوقَ هذا المَجْدِ مَجْدٌ تَطْمَحُ إليه النفوسُ؟!



وقد كان من فضلِ القرآنِ على زيدِ بن ثابتٍ أن أنارَ له سُبُلَ
الصَّوابِ في المواقِفِ التي يَحَارُ فيها أولو الألبابِ^(١) ففي يوم
السَّقِيفَةِ^(٢) اِخْتَلَفَ المسلمونَ فيمن يَخْلُفُ رسولَ الله صلوات الله عليه:
فقال المهاجرون:

فيما خلافةُ رسولِ الله ونحنُ بها أُولَى.
وقال بعضُ الأنصار: بل تكونُ الخلافةُ فينا ونحنُ بها أَجْدَرُ.
وقال بعضهم الآخرُ:

بل تكونُ الخِلافةُ فينا وفيكم معًا...
فقد كان رسولُ الله صلواتُ الله عليه وسلامُهُ إذا اسْتَعْمَلَ واحدًا
مِنْكُمْ على عَمَلٍ قَرَنَ معه^(٣) واحدًا منا.
وكادت تَحْدُثُ الفِتْنَةُ الكُبْرَى، ونبيُّ الله ما زالَ مُسَجِّىً بين
ظهرانِهم^(٤) لم يُدْفَنَ بَعْدُ.

(١) أولو الألباب: أصحاب العقول.

(٢) السقيفة: هي سقيفة بني ساعدة حيث اجتمع المسلمون بعد وفاة الرسول ليتفاوضوا في شأن الخلافة.

(٣) قرن معه: جَمَعَ معه وضع إليه.

(٤) مسجى بين ظهرانهم: مُغْطَى لم يُدْفَنَ بَعْدُ.

وكان لا بُدَّ من كلمةٍ حاسِمةٍ حازِمةٍ رَشيدةٍ مُشرِقةٍ بهِدي القرآنِ تَبْذُرُ
الفتنةَ في مَهْدِها^(١)، وتَنْبِزُ للحائرين الطريقَ.

فانطلقت هذه الكلمةُ من فَمِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الأنصاريِّ.

إذ التفتَ إلى قَوْمِهِ **وقال:** يا معشرَ الأنصار: إِنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ كان
من المهاجرين، فيكونُ خليفَتُهُ مهاجِرًا مثله.

وإِنَّا كُنَّا أنصارَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فنكونُ أنصارًا لخليفَتِهِ من بعْدِهِ
وأَعوانًا له على الحَقِّ.

ثم بَسَطَ^(٢) يَدَهُ إلى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ **وقال:** هذا خليفَتُكُمْ فبايعوه.



وقد غدا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِفَضْلِ الْقُرْآنِ وَتَفْقُهِهِ فِيهِ وَطَوَّلِ مَلَاذِمَتِهِ
لرَسولِ اللَّهِ ﷺ **منارة**^(٣) للمسلمين: يَسْتَشِيرُهُ خَلَفَاؤُهُمْ فِي الْمُعْضَلَاتِ^(٤)،
وَيَسْتَفْتِيهِ عَامَّتُهُمْ فِي الْمَشْكَلَاتِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْمَوَارِيثِ خَاصَّةً،
إِذْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ -إِذْ ذَاكَ- مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَحْكَامِهَا وَأَحْذَقُ
مِنْهُ فِي قِسْمَتِهَا؛ فَقَدْ خَطَبَ عَمْرُ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ
الْجَابِيَةِ^(٥) **فقال:**

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ فَلْيَأْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ...
وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفِقْهِ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ.

(١) تَبْذُرُ الْفِتْنَةَ فِي مَهْدِهَا: تَدْفِنُهَا وَهِيَ مَازَالَتْ صَغِيرَةً.

(٢) بَسَطَ يَدَهُ: مَدَّ يَدَهُ.

(٣) منارة: مَرشِدًا لِلْمُسْلِمِينَ وَهَادِيًا لَهُمْ.

(٤) المعضلات: الْأُمُورُ الَّتِي يَصْعَبُ حُلُّهَا.

(٥) الجابية: قَرْيَةٌ غَرْبِيَّةٌ دِمَشَقُ اجْتَمَعَ فِيهَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الصَّحَابَةِ لِلتَّحَدُّثِ
فِي شُرُوءِ الْفَتْحِ وَخُطِبَ فِيهَا خُطْبَتُهُ الْمَشْهُورَةُ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْجَابِيَةِ.

ومن أراد أن يسأل عن المالِ فليأتِ إليَّ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جَعَلَنِي عليه واليًا، وله قاسِمًا...



ولقد عَرَفَ طَلابُ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَدْرَهُ، فَأَجْلَوْهُ، وَعَظَّمُوهُ لِمَا وَقَرَ^(١) فِي صَدْرِهِ مِنَ الْعِلْمِ. فهَا هُوَ ذَا بَحْرُ الْعِلْمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ^(٢) يَرَى زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ قَدْ هَمَّ بِرُكُوبِ دَابَّتِهِ، فَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيُمْسِكُ لَهُ بِرُكَابِهِ، وَيَأْخُذُ بِزِمَامِ دَابَّتِهِ.

فقال له زيد بن ثابت: دَعْ عَنْكَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ.

فقال ابن عباس: هَكَذَا أَمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِعِلْمَانَا...

فقال له زيد: أَرْنِي يَدَكَ.

فأَخْرَجَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَدَهُ لَهُ، فَمَالَ عَلَيْهَا زَيْدٌ وَقَبَّلَهَا وَقَالَ:

هَكَذَا أَمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِآلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا...



وَلَمَّا لَحِقَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِجَوَارِ رَبِّهِ؛ بَكَى الْمُسْلِمُونَ بِمَوْتِهِ الْعِلْمَ الَّذِي وَرِيَ مَعَهُ^(٣)، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:

الْيَوْمَ مَاتَ حَبْرٌ^(٤) هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَعَسَى أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِي ابْنِ عَبَّاسٍ خَلْفًا مِنْهُ.

(١) وَقَرَ فِي صَدْرِهِ: اسْتَقَرَّ فِي صَدْرِهِ وَثَبَتَ.

(٢) انظر سيرته ص ١٧٩.

(٣) وري معه: دُفِنَ مَعَهُ.

(٤) الحبر: الْعَالِمُ الْمُتَبَحِّرُ فِي الْعِلْمِ.

ورثاه شاعرُ رسولِ الله حسانُ بنُ ثابتٍ ورثى نفسه معه فقال:

فَمَنْ لِلْقَوَافِي بَعْدَ حَسَّانَ وَابْنِهِ وَمَنْ لِلْمَعَانِي بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ؟! (*)



(*) للاستزادة من أخبار زيد بن ثابت انظر:

- ١- الإصابة: الترجمة ٢٨٨٠.
- ٢- الاستيعاب بهامش الإصابة: ١ / ٥٥١.
- ٣- غاية النهاية: ١ / ٢٩٦.
- ٤- صفة الصفوة: ١ / ٢٤٩ طبعة الهند.
- ٥- أسد الغابة: الترجمة ١٨٢٤.
- ٦- تهذيب التهذيب: ٣ / ٣٩٩.
- ٧- تقريب التهذيب: ١ / ٢٧٢.
- ٨- الطبقات لابن سعد: انظر الفهارس.
- ٩- المعارف: ٢٦٠.
- ١٠- حياة الصحابة: انظر الفهارس.
- ١١- السيرة لابن هشام: انظر الفهارس.
- ١٢- تاريخ الطبري: انظر الفهارس.
- ١٣- أخبار القضاة لوكيع: ١ / ١٠٧-١١٠



عبدُ الله بن سَلام

«من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة

فليُنظر إلى عبد الله بن سلام»

كان الحُصَيْنُ بْنُ سَلامَ حَبْرًا^(١) من أخبارِ اليهودِ في يثرب. وكان أهلُ المدينةِ على اخْتِلَافٍ مِلَلِهِمْ وَنَحْلِهِمْ^(٢) يُجِلُّونَهُ وَيَعْظُمُونَهُ. فقد كان معروفًا بَيْنَ النَّاسِ بِالتَّقَى والصَّلاحِ مَوْصُوفًا بِالِاسْتِقَامَةِ والصِّدْقِ.



وكان الحُصَيْنُ يَحْيَا حَيَاةً هَادِئَةً وَادِعَةً؛ وَلَكِنَّهَا كَانَتْ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ جَادَّةً نَافِعَةً...

فقد قَسَمَ وَقْتَهُ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً:

فَشَطَرٌ فِي الْكِنِيسِ^(٣) لِلْوَعْظِ وَالْعِبَادَةِ...

وَشَطَرٌ فِي بُسْتَانٍ لَهُ يَتَعَهَّدُ نَحْلَهُ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّأْيِيرِ^(٤)...

وَشَطَرٌ مَعَ التَّوْرَةِ^(٥) لِلتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ...



(١) الحَبْرُ: رَئِيسُ الْكَهَنَةِ عِنْدَ الْيَهُودِ، وَالْحَبْرُ الْعَالِمُ الْمَتَّبِعُ فِي الْعِلْمِ أَيْضًا.

(٢) نَحْلُهُمْ: أَدْيَانُهُمْ.

(٣) الْكِنِيسُ: مَعْبَدُ الْيَهُودِ.

(٤) التَّأْيِيرُ: تَلْقِيحُ النَّحْلِ وَإِصْلَاحُهُ.

(٥) التَّوْرَةُ: الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وكان كُلَّمَا قَرَأَ التَّوْرَةَ وَقَفَ طَوِيلًا عِنْدَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تُبَشِّرُ بِظُهُورِ
نَبِيٍّ فِي مَكَّةَ يُتِمُّ رِسَالَاتِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ وَيَخْتِمُهَا.

وكان يَسْتَقْصِي أَوْصَافَ هَذَا النَّبِيِّ الْمُرْتَقِبِ وَعَلَامَاتِهِ وَيَهْتَزُّ فَرَحًا
لأنَّهُ سَيَهْجُرُ بَلَدَهُ الَّذِي يُبْعَثُ فِيهِ وَسَيَتَّخِذُ مِنْ يَثْرِبَ مُهَاجِرًا لَهُ^(١)
ومقامًا.

وكان كُلَّمَا قَرَأَ هَذِهِ الْأَخْبَارَ أَوْ مَرَّتْ بِخَاطِرِهِ يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ أَنْ
يُفْسَحَ لَهُ فِي عُمْرِهِ حَتَّى يَشْهَدَ ظُهُورَ هَذَا النَّبِيِّ الْمُرْتَقِبِ، وَيَسْعَدَ
بِلِقَائِهِ، وَيَكُونَ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ.



وقد اسْتَجَابَ اللَّهُ ﷻ دُعَاءَ الْحُصَيْنِ بْنِ سَلَامٍ فَنَسَأَ لَهُ^(٢) فِي أَجَلِهِ
حَتَّى بُعِثَ نَبِيُّ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ...
وَكُتِبَ لَهُ أَنْ يَحْظِيَ بِلِقَائِهِ وَصَحْبَتِهِ، وَأَنْ يُؤْمِنَ بِالْحَقِّ الَّذِي أُنْزِلَ
عَلَيْهِ...

فَلتَتْرُكْ لِلْحُصَيْنِ الْكَلَامَ لِيَسُوقَ لَنَا قِصَّةَ إِسْلَامِهِ فَهُوَ لَهَا أَرَوَى^(٣)،
وَعَلَى حُسْنِ عَرْضِهَا أَقْدِرُ.

قَالَ الْحُصَيْنُ بْنُ سَلَامٍ: لَمَّا سَمِعْتُ بِظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَذْتُ
أَتَحَرَّى عَنْ اسْمِهِ وَنَسَبِهِ وَصِفَاتِهِ وَزَمَانِهِ وَمَكَانِهِ، وَأَطَابِقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا
هُوَ مَسْطُورٌ^(٤) عِنْدَنَا فِي الْكُتُبِ حَتَّى اسْتَيْقَنْتُ مِنْ بُبُوتِهِ، وَتَثَبَّتُ مِنْ

(١) مهاجرًا له: بفتح الحاء مكانًا لهجرته.

(٢) نَسَأَ: أَخَّرَ.

(٣) أَرَوَى: أَجُودُ رَوَايَةً.

(٤) مَسْطُورٌ: مَكْتُوبٌ.

صِدْقَ دَعْوَتِهِ ثُمَّ كَتَمْتَ ذَلِكَ عَنِ الْيَهُودِ، وَعَقَلْتُ^(١) لِسَانِي عَنِ التَّكَلُّمِ فِيهِ...

إِلَى أَنْ كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي خَرَجَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ قَاصِدًا الْمَدِينَةَ.

فَلَمَّا بَلَغَ يَثْرِبَ وَنَزَلَ بِقُبَاءَ^(٢) أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْنَا وَجَعَلَ يَنَادِي فِي النَّاسِ مُعَلِّنًا قُدُومَهُ كُنْتُ وَقْتُئِذٍ فِي رَأْسِ نَخْلَةٍ لِي أَعْمَلُ فِيهَا وَكَانَتْ عَمَّتِي خَالِدَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ جَالِسَةً تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَمَا إِن سَمِعْتُ الْخَبَرَ حَتَّى هَتَفْتُ:

اللَّهُ أَكْبَرُ... اللَّهُ أَكْبَرُ.

فَقَالَتْ لِي عَمَّتِي حِينَ سَمِعْتُ تَكْبِيرِي: خَيِّكَ اللَّهُ...

وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ قَادِمًا مَا فَعَلْتُ شَيْئًا فَوْقَ ذَلِكَ...

فَقُلْتُ لَهَا: أَيُّ عَمَّةٍ^(٣)، إِنَّهُ - وَاللَّهِ - أَخُو مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَعَلَى دِينِهِ...

وَقَدْ بُعِثَ بِمَا بُعِثَ بِهِ...

فَسَكَتَتْ وَقَالَتْ: أَهوَ النَّبِيُّ الَّذِي كُنْتُمْ تُخْبِرُونَنَا أَنَّهُ يُبْعَثُ مُصَدِّقًا لِمَنْ قَبْلَهُ وَمُتَمِّمًا لِرِسَالَاتِ رَبِّهِ؟!

فَقُلْتُ: نَعَمْ...

قَالَتْ: فَذَلِكَ إِذَنْ...

(١) عقلت لسانِي: ربطته ومنعته.

(٢) قباء: قرية على بعد ميلين من المدينة.

(٣) أي عمة: يا عمة.

ثُمَّ مَضَيْتُ مِنْ تَوَيٍّ ^(١) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُ النَّاسَ يَزْدَحِمُونَ بِيَابِهِ، فَرَأَحَمْتُهُمْ حَتَّى صِرْتُ قَرِيبًا مِنْهُ.

فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ قَوْلُهُ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ... وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ... وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ... تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ...» فَجَعَلْتُ أَتَقَرَّسُ فِيهِ، وَأَتَمَلَّى ^(٢) مِنْهُ، فَأَيَقَنْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ.

ثُمَّ دَنَوْتُ مِنْهُ، وَشَهِدْتُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

فَالْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟

فَقُلْتُ: الْحُصَيْنُ بْنُ سَلَامٍ.

فَقَالَ: (بَلْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ).

فَقُلْتُ: نَعَمْ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ... وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ اسْمًا آخَرَ بَعْدَ الْيَوْمِ.

ثُمَّ انْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِي وَدَعَوْتُ زَوْجَتِي وَأَوْلَادِي وَأَهْلِي إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا جَمِيعًا وَأَسْلَمْتُ مَعَهُمْ عَمَتِي خَالِدَةُ، وَكَانَتْ شَيْخَةً كَبِيرَةً...

ثُمَّ إِنِّي قُلْتُ لَهُمْ: اكْتُمُوا إِسْلَامِي وَإِسْلَامَكُمْ عَنِ الْيَهُودِ حَتَّى آذَنَ لَكُمْ !!

فَقَالُوا: نَعَمْ.

ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ

(١) من توي: فوراً من غير إبطاء.

(٢) أتملى: أملأ عيني منه.

قَوْمٌ بُهْتَانٍ وَبَاطِلٍ...

وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَدْعُوَ وَجُوهَهُمْ ^(١) إِلَيْكَ.

وَأَنْ تَسْتُرَنِي عَنْهُمْ فِي حُجْرَةٍ مِنْ حُجْرَاتِكَ ثُمَّ تَسْأَلَهُمْ عَنْ مَنْزِلَتِي عَنْدهُمْ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي ثُمَّ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ.

فَإِنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا أَنَّنِي أَسْلَمْتُ عَابُونِي، وَرَمَوْنِي بِكُلِّ نَاقِصَةٍ وَبَهْتُونِي ^(٢)...

فَأَدْخَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ حُجْرَاتِهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَأَخَذَ يَحْضُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَيُحِبُّ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وَيَذْكُرُهُمْ بِمَا عَرَفُوهُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ...

فَجَعَلُوا يَجَادِلُونَهُ بِالْبَاطِلِ، وَيُمَارُونَهُ ^(٣) فِي الْحَقِّ، وَأَنَا أَسْمَعُ، فَلَمَّا يَسَسَ مِنْ إِيْمَانِهِمْ قَالَ لَهُمْ: (مَا مَنْزِلَةُ الْحَصِينِ بْنِ سَلَامٍ فِيكُمْ؟)

فَقَالُوا: سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَحَبْرُنَا وَعَالِمُنَا وَابْنُ حَبْرِنَا وَعَالِمِنَا.

فَقَالَ: (أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ أَفْتَسْلِمُونَ؟)

قَالُوا: حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ ... أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ أَنْ يُسْلِمَ .

فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ وَقُلْتُ:

يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، اتَّقُوا اللَّهَ وَاقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ.

فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ، وَتَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ.

(١) وجوهمهم: رؤسائهم وساداتهم.

(٢) البهتان: افتراء الكذب.

(٣) يمارونه: ينازعونه.

وإني أشهد أنه رسول الله وأومِنُ به، وأصدِّقُه، وأعْرِفُه...

فقالوا: كذبت، والله إنَّكَ لَشَرُّنا وابن شَرِّنا، وجاهلنا وابن جاهلنا، ولم يتركوا عَيْبًا إلا عابوني به.

فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أقل لك: إنَّ اليهود قومٌ بُهْتانٍ وباطل، وإنَّهم أهلٌ غدرٍ وفجورٍ.



أقبلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ على الإسلامِ إقبالَ الظامئِ الذي شاقَه المَورِدُ^(١)...

وأولعَ بالقرآنِ، فكان لسانُه لا يفتأ رطبًا بآياته البينات... وتعلَّقَ بالنبِيِّ صَلَواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه حتَّى غدا ألزَمَ له من ظِلِّه... ونذَرَ نَفْسَه لِلْعَمَلِ لِلْجَنَّةِ حتَّى بَشَّره بها رسولُ اللَّهِ صَلَواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه بِشارَةً ذاعتُ بين الصحابةِ الكرامِ وشاعت... وكان لهذه البِشارَةِ قِصَّةٌ رواها قَيْسُ بْنُ عُبَادَةَ وغيره.

قال الراوي: كنت جالسًا في حَلَقَةٍ من حَلَقَاتِ العِلْمِ في مَسْجِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ في المدينة.

وكان في الحَلَقَةِ شَيْخٌ تَأَنَسُّ به النَّفْسُ وَيَسْتَرَوِّحُ به القلب.

فَجَعَلَ يحدثُ النَّاسَ حديثًا حُلُوا مؤثرًا...

فلما قام قال القوم:

من سَرَّه أن يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ من أَهلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إلى هذا.

(١) شاقه المورد: لَدَّ له المورد وطاب.

فقلت: من هذا؟!

فقالوا: عبدُ الله بنُ سلام.

فقلتُ في نفسي: والله لأتبعنَّه، فتبعتهُ فأنطلقَ حتَّى كاد أن يخرج من المدينة، ثم دخلَ منزله.
فاستأذنت عليه؛ فأذنَ لي.

فقال: ما حاجتك يا ابن أخي؟

فقلت: سمعتُ القومَ يقولون عنكَ -لما خرجتَ من المسجد-:
من سرَّه أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهلِ الجنةِ فلينظرُ إلى هذا.
فمضيتُ في إثرِكَ؛ لأقفَ على خبرِكَ، ولأعلمَ كيف عَرَفَ الناسُ
أنكَ من أهلِ الجنةِ.

فقال: الله أعلمُ بأهلِ الجنةِ يا بُنيَّ.

فقلت: نعم... ولكن لا بُدَّ لما قالوه من سبب.

فقال: سأحدثُكَ عن سببه.

فقلت: هاتِ... وجَزَاكَ اللهُ خيرًا.

فقال: بينا أنا نائم ذات ليلةٍ على عهدِ رسولِ الله ﷺ أتاني رجلٌ
فقال لي: قُمْ، فقمْتُ، فأخذَ بيدي، فإذا أنا بطريقٍ عن شمالي فهممْتُ
أن أسلكَ فيها...

فقال لي: دَعَهَا فإنَّها لَيْسَتْ لك...

فَنَظَرْتُ فإذا أنا بِطريقٍ واضِحَةٍ عَنْ يَمِينِي فقال لي:
اسلُكُهَا...

فَسَلَكْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ رَوْضَةً غَنَاءً وَاسِعَةً الْأَرْجَاءِ^(١)، كَثِيرَةَ الْخُضْرَةِ رَائِعَةَ النُّضْرَةِ.
وفي وسطها عمود من حديدٍ أَصْلُهُ فِي الْأَرْضِ وَنَهَائَتُهُ فِي السَّمَاءِ.
وفي أعلاه حَلَقَةٌ مِنْ ذَهَبٍ .

فقال لي: اِرْقَ عَلَيْهِ.

فقلت: لَا أَسْتَطِيعُ.

فجاءني وَصِيفٌ^(٢) فَرَفَعَنِي، فَرَقِيتُ^(٣)؛ حَتَّى صِرْتُ فِي أَعْلَى
الْعَمُودِ، وَأَخَذْتُ بِالْحَلَقَةِ بِيَدَيَّ كُلْتَيْهِمَا.
وَبَقِيتُ مُتَعَلِّقًا بِهَا حَتَّى أَصْبَحْتُ.

فلما كانت الغداةُ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ رُؤْيَايَ **فقال:**

أَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي رَأَيْتَهَا عَنْ شِمَالِكَ فَهِيَ طَرِيقُ أَصْحَابِ الشَّامِ
مِنْ أَهْلِ النَّارِ...

وَأَمَّا الطَّرِيقُ الَّتِي رَأَيْتَهَا عَنْ يَمِينِكَ فَهِيَ طَرِيقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ
مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ...

وَأَمَّا الرَّوْضَةُ الَّتِي شَافَيْتُكَ بِخُضْرَتِهَا وَنُضْرَتِهَا فَهِيَ الْإِسْلَامُ...

وَأَمَّا الْعَمُودُ الَّذِي فِي وَسْطِهَا فَهُوَ عَمُودُ الدِّينِ...

وَأَمَّا الْحَلَقَةُ فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى...

وَلَنْ تَزَالَ مُسْتَمْسِكًا بِهَا حَتَّى تَمُوتَ...(*)



(١) الْأَرْجَاءُ: الْأَنْحَاءُ.

(٢) الْوَصِيفُ: الْخَادِمُ.

(٣) فَرَقِيتُ: فَصَعَدْتُ.

(*) للاستزادة من أخبار عبد الله بن سلام انظر:

- ١- الإصابة (طبعة السعادة): ٤ / ٨٠ - ٨١.
- ٢- أسد الغابة: ٧٦ / ١٣ - ١٧٧.
- ٣- الاستيعاب: (طبعة حيدر آباد) ٣٨٣ / ١ - ٣٨٤.
- ٤- الجرح والتعديل ج ٢ ق ٢٢ / ٦٢ - ٦٣.
- ٥- تجريد أسماء الصحابة: ١ / ٣٣٨ - ٣٣٩.
- ٦- صفة الصفوة: ١ / ٣٠٣، ٣٠١.
- ٧- تاريخ خليفة بن خياط: ٨.
- ٨- العبر: ١ / ٣٢، ٥٢.
- ٩- شذرات الذهب: ١ / ٥٣.
- ١٠- تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٢٣٠ - ٢٣١.
- ١١- تاريخ دمشق لابن عساكر ٧ / ٣٣٤ - ٣٤٧.
- ١٢- تذكرة الحفاظ: ١ / ٢٢ - ٢٣.
- ١٣- السيرة النبوية لابن هشام انظر الفهارس.
- ١٤- البداية والنهاية: ٣ / ٢١١ - ٢١٢.
- ١٥- حياة الصحابة انظر الفهارس في الرابع.



عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ

«إِنَّ لِعُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ مِنَ الْإِسْلَامِ مَكَانًا»

[عمر بن الخطاب]

أَوَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى مَضْجَعِهِ فَقَدْ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَصِيبَ حَظًّا مِنَ الرَّاحَةِ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى الْعَسِ^(١) فِي اللَّيْلِ.

لَكِنْ النُّومَ نَفَرَ عَنْ عَيْنِي الْخَلِيفَةِ، لِأَنَّ الْبَرِيدَ حَمَلَ إِلَيْهِ أَنَّ جُيُوشَ الْفُرسِ الْمُنْهَزِمَةَ أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ كُلَّمَا أَوْشَكَ جُنْدُهُ عَلَى أَنْ يُجْهَزُوا^(٢) عَلَيْهَا يَأْتِيهَا الْمَدَدُ مِنْ هُنَا وَهَنَّا، فَلَا تَلَبُّثُ أَنْ تَسْتَعِيدَ قَوَّتَهَا وَتَسْتَأْنِفَ الْقِتَالَ.

وقيل له: إِنَّ مَدِينَةَ الْأُبُلَّةِ^(٣) تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ الْمَصَادِرِ الَّتِي تُمَدُّ جُيُوشُ الْفُرسِ الْمُنْهَزِمَةَ بِالْمَالِ وَالرِّجَالِ.

فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُرْسَلَ جَيْشًا لِفَتْحِ الْأُبُلَّةِ، وَقَطَعَ إِمْدَادَاتِهَا عَنِ الْفُرسِ، لِكِنَّهُ اضْطَرَّ بِقَلَّةِ الرِّجَالِ عِنْدَهُ.

ذَلِكَ لِأَنَّ شَبَّانَ الْمُسْلِمِينَ كَهُولَهُمْ وَشِوَاهُمْ قَدْ خَرَجُوا يَضْرِبُونَ فِي فَجَاءِ^(٤) الْأَرْضِ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا النَّزْرُ^(٥) الْقَلِيلُ.

(١) الْعَس: الطَّوْفُ بِاللَّيْلِ لِلْحِرَاسَةِ.

(٢) يُجْهَزُوا عَلَيْهَا: يَقْضُوا عَلَيْهَا.

(٣) الْأُبُلَّة: مَدِينَةٌ فِي جَوَارِ الْبَصْرَةِ أَلْحَقَتْ بِهَا وَغَدَتْ جَزْعًا فِيهَا.

(٤) يَضْرِبُونَ فِي فَجَاءِ الْأَرْضِ: يَمْشُونَ فِي سَبْرِ الْأَرْضِ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

(٥) النَّزْر: الْقَلِيلُ الضَّئِيلُ.

فعمد إلى طريقته التي عُرِفَ بها...
وهي التعويضُ عن قِلَّةِ الجُنْدِ بِقُوَّةِ القائد...
فَنَشَرَ كِنَانَهُ^(١) رجاله بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَخَذَ يَعْجِمُ^(٢) عِيدَانَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ
آخَرٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ هَتَفَ:
وَجَدْتُهُ...

نعم وجدته...
ثم مضى إلى فراشه وهو يقول: إنه مجاهدٌ عَرَفْتُهُ بِدَرٍ وَأَحَدٌ
وَالْخَنْدَقُ وَأَخَوَاتُهَا...
وَشَهِدْتُ لَهُ الْيَمَامَةَ وَمَوَاقِفُهَا...
فَمَا نَبَأَ لَهُ سَيْفٌ^(٣)، وَلَا أَخْطَأْتُ لَهُ رَمِيَةً...
ثم إنه هاجر الْهَجْرَتَيْنِ^(٤)، وَكَانَ سَابِعَ سَبْعَةِ أَسْلَمُوا عَلَى ظَهْرِ
الْأَرْضِ...

ولما أَصْبَحَ الصُّبْحُ، قَالَ:
ادْعُوا لِي عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ.
وَعَقَدَ لَهُ الرَايَةَ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَبِضْعَةٍ^(٥) عَشَرَ رَجُلًا...
وَوَعَدَهُ بِأَنْ يَمِدَّهُ تَبَاعًا بِمَا يَتَوَافَرُ لَهُ مِنَ الرِّجَالِ.

-
- (١) الكِنَانَةُ: جَعْبَةُ الْمِهَامِ.
(٢) يَعْجِمُ عِيدَانَهُمْ: يَخْتَبِرُ عِيدَانَهُمْ (شِبْهَهُمْ بِالسَّهَامِ).
(٣) نَبَأَ السَّيْفِ: لَمْ يَصْبِ.
(٤) الْهَجْرَتَانِ: الْهَجْرَةُ إِلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ وَالْهَجْرَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ.
(٥) بِضْعَةُ عَشَرَ: الْبَضْعُ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى التَّسْعَةِ

ولما عَزَمَ الجيشُ الصغيرُ على الرحيلِ، وَقَفَ الفاروقُ يودِّعُ قائده
عُتْبَةَ ويُوصيه فقال له:

يا عُتْبَةُ إني قد وَجَّهْتُكَ إلى أرضِ الأُبُلَّةِ، وهى حِصْنٌ من حُصُونِ
الأعداءِ فأرجو الله أن يعينكَ عليها.

فإذا نزلت بها فادْعُ قومها إلى الله، فمن أجابكَ فاقْبَل منه. ومن
أبى فَخُذْ منه الجزيةَ ^(١) عن صغارٍ وذلةٍ...

وإلا فضع في رقابهم السيفَ ^(٢) في غيرِ هُوادَةٍ.
واتقِ الله يا عُتْبَةُ فيما وُلِّيتَ عليه.

وإياكَ أَنْ تَنَازِعَكَ ^(٣) نَفْسُكَ إلى كبرٍ يُفْسِدُ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ، واعْلَمْ
أَنَّكَ صَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعِزَّكَ اللَّهُ بِهِ بَعْدَ الذَّلَّةِ، وَقَوَّاكَ بِهِ بَعْدَ
الضَّعْفِ، حَتَّى صِرْتَ أَمِيرًا مُسَلِّطًا، وَقَائِدًا مُطَاعًا، تَقُولُ فَيَسْمَعُ مِنْكَ،
وَتَأْمُرُ فَيُطَاعُ أَمْرُكَ فَيَالِهَا مِنْ نِعْمَةٍ إِذَا هِيَ لَمْ تُبْطَرْكَ ^(٤) وَتَخْدَعَكَ وَتَهْوِ
بِكَ إِلَى جَهَنَّمَ أَعَاذَكَ اللَّهُ وَأَعَاذَنِي مِنْهَا.



مَضَى عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بِرِجَالِهِ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ وَخَمْسُ نِسْوَةٍ أُخْرِيَّاتٍ
مِنْ زَوَاجَاتِ الْجَنْدِ وَأَخَوَاتِهِمْ، حَتَّى نَزَلُوا فِي أَرْضِ قُصْبَاءَ ^(٥) لَا تَبْعُدُ
كَثِيرًا عَنْ مَدِينَةِ الْأُبُلَّةِ.

وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ شَيْءٌ يَأْكُلُونَهُ...

(١) الجزية: ما يأخذه الحاكم المسلم من الذمي من المال.

(٢) ضع السيف في رقابهم: حاربهم واقتلهم.

(٣) تنازعك نفسك: تدعوك نفسك.

(٤) تبطرك: البطر سوء التصرف بالنعمة.

(٥) قصباء: ذات قصب، والقصب نبات مائي مُجَوَّف.

فلما اشتد عليهم الجوعُ قال عتبةٌ لِنَفَرٍ منهم: التمسوا^(١) لنا في هذه الأرض شيئاً نأكله.

فقاموا يبحثون عما يسدُّ جوعَهم، فكانت لهم مع الطعام قصةٌ رواها أحدهم **فقال:**

بينما كنّا نبحثُ عن شيءٍ نأكله؛ دَخَلْنَا أَجْمَةً^(٢) فإذا فيها زنبيلان^(٣) في أحدهما تمرٌّ، وفي الآخرِ حبٌّ أبيضٌ صغيرٌ مغطى بِقِشْرِ أَصْفَرٍ، فَجَذَبْنَاهُمَا حَتَّى أَذَيْنَاهُمَا مِنَ الْعَسْكَرِ، فنظر أحدنا إلى الزنبيلِ الذي فيه الحبُّ **وقال:**

هذا سُمٌ أعدّه لكم العدوُّ، فلا تقربُوه.
فَمِلْنَا إِلَى التَّمْرِ، وجعلنا نأكلُ مِنْهُ...

وفيما نحن كذلك إذ بِفَرَسٍ قد قَطَعَ قِيَادَهُ^(٤)، وأقبلَ على زنبيلِ الحبِّ وجعلَ يأكلُ مِنْهُ، فواللهَ لَقَدْ هَمَمْنَا بِأَنْ نَذْبَحَهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ لِنَنْتَفِعَ بِلَحْمِهِ.

فقام إلينا صاحبه وقال: دعوه، وسأحرُسُه اللَّيْلَةَ فَإِنْ أَحْسَسْتُ بموته ذَبَحْتُهُ.

فلما أَصْبَحْنَا وَجَدْنَا الْفَرَسَ معافى لا ضَرَرَ فِيهِ.

فقالت أختي: يا أخي، إني سَمِعْتُ أَبِي يقول: إن السُّمَّ لا يَضُرُّ إِذَا وُضِعَ عَلَى النَّارِ وَأُنْضِجَ.

(١) اقسوا: ابحثوا واطلبوا.

(٢) الأجمة: الشجر الكثير الملتف.

(٣) الزنبيل: القفّة.

(٤) قطع قيادته: قطع رَسَنَهُ.

ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنَ الْحَبِّ وَوَضَعَتْهُ فِي الْقَدْرِ، وَأَوْقَدَتْ تَحْتَهُ.
ثُمَّ مَا لَبِثَتْ أَنْ قَالَتْ: تَعَالُوا انظُرُوا كَيْفَ احْمَرَّ لَوْنُهُ، ثُمَّ جَعَلَ
يَشَقِّقُ عَنْهُ قِشْرَهُ، وَتَخْرُجُ مِنْهُ حُبُّهُ الْبَيْضُ.
فَالْقَيْنَاهُ فِي الْجَفْنَةِ^(١) لِنَاكُلِهِ، فَقَالَ لَنَا عُتْبَةُ: اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ
وكلوه...

فأكلناه فإذا هو غايَةٌ في الطيب.
ثم عَرَفْنَا بعد ذلك أَنَّ اسْمَهُ الْأَرْزُ.



كَانَتْ الْأُبْلَةُ الَّتِي اتَّجَهَ إِلَيْهَا عْتَبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بِجَيْشِهِ الصَّغِيرِ مَدِينَةً
حَصِينَةً قَائِمَةً عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةٍ^(٢).
وَكَانَ الْفَرَسُ قَدْ اتَّخَذَهَا مَخَازِنَ لِأَسْلِحَتِهِمْ.
وَجَعَلُوا مِنْ أَبْرَاجِ حُصُونِهَا مَرَاصِدَ^(٣) لِمِرَاقَبَةِ أَعْدَائِهِمْ.
لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ عُتْبَةَ مِنْ غَزْوِهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قِلَّةِ رِجَالِهِ
وَضَالَّةِ سِلَاحِهِ.
إِذْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ مِنَ الرِّجَالِ غَيْرُ سِتِّ مِائَةٍ مُقَاتِلِ تَصْحَبُهُمْ طَائِفَةٌ
قَلِيلَةٌ مِنَ النِّسَاءِ.
وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ السِّلَاحِ غَيْرُ السُّيُوفِ وَالرِّمَاحِ. فَكَانَ لَا بَدَّ لَهُ
مَنْ أَنْ يَسْتَعْمِلَ ذِكَاةَهُ.



(١) الحفنة: القصعة الكبيرة.

(٢) دجلة: نهر ينبع من تركيا ثم يجري في العراق، ويصبُّ في شطِّ العرب.

(٣) مراصد: جمع مَرَصِد، وهو مكان رَصِدِ العدوِّ ومِرَاقبته.

أَعَدَّ عُتْبَةُ لِلنَّسُورَةِ رَايَاتٍ رَفَعَهَا عَلَى أَعْوَادِ الرَّمَاكِ ...

وَأَمَرَهُنَّ أَنْ يَمْشِينَ بِهَا خَلْفَ الْجَيْشِ، وَقَالَ لَهُنَّ:

إِذَا نَحْنُ اقْتَرَبْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَثْرُنَ التُّرَابِ وَرَاءَنَا حَتَّى تَمْلَأَنَّ بِهِ
الْجَوَّ.

فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْأُبُلَّةِ خَرَجَ إِلَيْهِمْ جُنْدُ الْفُرْسِ، فَرَأَوْا إِقْدَامَهُمْ
عَلَيْهِمْ.

وَنَظَرُوا إِلَى الرَّايَاتِ الَّتِي تَخْفِقُ وَرَاءَهُمْ.

وَوَجَدُوا الْغَبَارَ يَمْلَأُ الْجَوَّ خَلْفَهُمْ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُمْ طَلِيعَةُ ^(١) الْعَسْكَرِ، وَإِنَّ وَرَاءَهُمْ جَيْشًا
جَرَّارًا ^(٢) يَثِيرُ الْغَبَارَ، وَنَحْنُ قَلَّةٌ ...

ثُمَّ دَبَّ فِي قُلُوبِهِمُ الذُّعْرُ، وَسَيَّطَرَ عَلَيْهِمُ الْجَزَعُ، فَطَفِقُوا يَحْمِلُونَ
مَا خَفَّ وَزْنُهُ وَغَلَا ثَمَنُهُ، وَيَتَسَابِقُونَ إِلَى رُكُوبِ السُّفُنِ الرَّاسِيَةِ فِي
دِجْلَةٍ وَيُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ^(٣) فَدَخَلَ عَتْبَةُ الْأُبُلَّةَ دُونَ أَنْ يَفْقِدَ أَحَدًا مِنْ
رِجَالِهِ ...

ثُمَّ فَتَحَ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْمُدُنِ وَالْقُرَى.

وَوَغْنَمَ مِنْ ذَلِكَ غَنَائِمَ عَزَّتْ عَلَى الْحَصْرِ ^(٤)، وَفَاقَتْ كُلَّ تَقْدِيرٍ؛
حَتَّى إِنَّ أَحَدَ رِجَالِهِ عَادَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ النَّاسُ:

كَيْفَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْأُبُلَّةِ؟

(١) طليعة العسكر: مقدمة العسكر.

(٢) الجيش الجرار: الجيش الكثيف الكثير العدد والعدد.

(٣) يولون الأدبار: ينهزمون.

(٤) عزت على الحصر: تعذر إحصاؤها.

فقال: عَمَّ تَتَسَاءَلُونَ؟!

والله لقد تركتهم وهم يكتالون الذهب والفضة اكتيالاً... فأخذ الناس يشدون إلى الأبلّة الرّحال^(١)



عند ذلك رأى عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ أَنَّ إِقَامَةَ جُنُودِهِ فِي الْمُدُنِ الْمَفْتُوحَةِ سَوْفَ تُعَوِّدُهُمْ عَلَى لَيْلِ الْعَيْشِ، وَتُخَلِّقُهُمْ بِأَخْلَاقِ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ، وَتَقْلُ^(٢) مِنْ حِدَّةِ عَزَائِمِهِمْ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْقِتَالِ؛ فَكَتَبَ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُهُ فِي بِنَاءِ الْبَصْرَةِ^(٣)، وَوَصَفَ لَهُ الْمَكَانَ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهَا فَأَذِنَ لَهُ.



اخْتَطَّ^(٤) عُتْبَةُ الْمَدِينَةَ الْجَدِيدَةَ...

وكان أوّل ما بناه مسجدها العظيم...

ولا عجب...

فمن أجل الْمَسْجِدِ خَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وبالْمَسْجِدِ انْتَصَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ...

ثم تَسَابَقَ الْجُنْدُ عَلَى اقْتِطَاعِ^(٥) الْأَرْضِ وَبِنَاءِ الْبُيُوتِ...

لكنّ عتبة لم يَبْنِ لِنَفْسِهِ بَيْتًا، وَإِنَّمَا ظَلَّ يَسْكُنُ خِيَمَةً مِنَ الْأَكْسِيَةِ...

(١) يشدون الرّحال إلى الأبلّة: يسافرون إليها.

(٢) تقل من حدة عزائمهم: تضعف من قوة عزائمهم.

(٣) البصرة: مدينة في العراق على شط العرب.

(٤) اختط عتبة المدينة: خطتها.

(٥) اقتطاع الأرض: أخذها وامتلاكها.

ذلك لأنه كان قد أسرَّ في نفسه أمرًا...



فلقد رأى عُثْبَةُ أَنَّ الدُّنْيَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَصْرَةِ إِقْبَالًا يُذْهِلُ الْمَرْءَ عَنْ نَفْسِهِ.

وَأَنَّ رِجَالَهُ الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ قَلِيلٍ لَا يَعْرِفُونَ طَعَامًا أَطْيَبَ مِنَ الْأُرْزِّ الْمَسْلُوقِ بِقَشْرِهِ قَدْ تَذَوَّقُوا مَآكِلَ الْفُرْسِ مِنَ الْفَالُودِجِ ^(١) وَاللُّوزِينِجِ ^(٢) وَغَيْرَهُمَا وَاسْتَطَابُوها.

فخشي على دينه من دنياه....

وَأَشْفَقَ عَلَى الْآجِلَةِ مِنَ الْعَاجِلَةِ ^(٣)...

فَجَمَعَ النَّاسَ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ وَخَطَبَهُمْ فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ ^(٤)، بِالْإِنْقِضَاءِ، وَأَنْتُمْ مُنْتَقِلُونَ عَنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالٍ فِيهَا، فَانْتَقِلُوا إِلَيْهَا بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ. وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ ^(٥) مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا لَنَا طَعَامٌ غَيْرُ وَرَقِ الشَّجَرِ حَتَّى قَرَحْتُ مِنْهُ أَشْدَاقَنَا ^(٦).

وَلَقَدْ التَّقَطْتُ ^(٧) بُرْدَةً -ذَاتَ يَوْمٍ- فَشَقَّقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ^(٨) فَاتَّزَرْتُ ^(٩) بِنَصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنَصْفِهَا الْآخَرِ.

(١) الفالودج: صنف من الحلوى يصنع من الدقيق والسمن والعسل.

(٢) اللوزينج: صنف من الحلوى يشبه القطايف يُحشى باللوز.

(٣) الآجلة: هي الآخرة والعاجلة الدنيا.

(٤) آذنت بالانقضاء: أعلنت عن أنها توشك أن تنتهي.

(٥) رأيتني سابع سبعة: رأيت نفسي بين المسلمين ولم يكن قد أسلم أحد غيرنا.

(٦) قرحت منه أشداقنا: تقرحت منه شفاهنا.

(٧) التقطت بردة: أخذتها من الأرض.

(٨) سعد بن أبي وقاص: انظر سيرته في الجزء الرابع من هذه السلسلة.

(٩) اتزرت بنصفها: جعلت نصفها إزارًا لي..

فإذا نحن اليومَ لم يَبْقَ مِنَّا واحدٌ إلا وهو أميرٌ على مِصرٍ من
الأمصار...

وإني أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ عَظِيمًا عند نفسي صَغِيرًا عند الله.

ثم اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِم رَجُلًا مِنْهُمْ، وَوَدَّعَهُمْ وَمَضَى إِلَى الْمَدِينَةِ.

فلما قَدِمَ عَلَى الْفَارُوقِ اسْتَغْفَاهُ ^(١) مِنَ الْوَلَايَةِ فَلَمْ يُعْغِهِ، فَالْحَ عَلَيْهِ
فَأَصْرَ عَلَيْهِ الْخَلِيفَةُ، وَأَمَرَهُ بِالْعُودَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ.. فَأَذْعَنَ ^(٢) لِأَمْرِ عُمَرَ
كَارِهًا، وَرَكِبَ نَاقَتَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

اللهم لا تُرَدِّني إِلَيْهَا...

اللهم لا تُرَدِّني إِلَيْهَا...

فاستجاب الله دَعَاءَهُ إِذْ لَمْ يُبْعَدْ عَنِ الْمَدِينَةِ كَثِيرًا حَتَّى عَثَرَتْ نَاقَتُهُ،
فَخَرَّ عَنْهَا صَرِيحًا... وفارق الحياة...(*)



(١) استغفاه من الولاية: طلب منه أن يعفيه منها ويعزله عنها.

(٢) أذعن لأمر عمر: خضع له واستجاب

(*) للاستزادة من أخبار عتبة بن غزوان انظر:

- ١- الإصابة: الترجمة ٥٤١١ ٧- معجم البلدان: عند الكلام على البصرة: ٤٣٠ / ١٠.
- ٢- الاستيعاب بهامش الإصابة: ٣ / ١١٣ ٨- الطبقات الكبرى لابن سعد: ١ / ٧.
- ٣- تاريخ الإسلام للذهبي: ٢ / ٩٧- تاريخ الطبري: انظر الفهارس في العاشر.
- ٤- أسد الغابة: ٣ / ١٠٣٦٣- سير أعلام النبلاء: ١ / ٢٢١-٢٢٢.
- ٥- تاريخ خليفة بن خياط: ١ / ٩٥-٩٨ ١١- حياة الصحابة: انظر الفهارس في الرابع.
- ٦- البداية والنهاية: ٧ / ٤٨.



عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ

(١)

«عمير بن سعد نسيحٌ وحده»

[عمر بن الخطاب]

تَجَرَّعَ الْغُلَامُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيَّ كَأْسَ الْيُتِّمِ وَالْفَاقَةَ ^(١) مِنْذُ
نَعُومَةِ أَظْفَارِهِ.

فَقَدْ مَضَى أَبُوهُ إِلَى رَبِّهِ دُونَ أَنْ يَتْرُكَ لَهُ، مَا لَا أَوْ مُعِيلاً.

لَكِنَّ أُمَّهُ مَا لَبِثَتْ أَنْ تَزَوَّجَتْ مِنْ ثَرِيٍّ مِنْ أَثْرِيَاءِ «الْأَوْسِ» ^(٢)،
وَيُدْعَى الْجُلَاسَ بْنَ سُويْدٍ، فَكَفَلَ ابْنَهَا عُمَيْرًا، وَضَمَّهُ إِلَيْهِ.

وَقَدْ لَقِيَ عُمَيْرٌ مِنْ بَرِّ الْجُلَاسِ وَحُسْنِ رِعَايَتِهِ وَجَمِيلِ عَطْفِهِ مَا
جَعَلَهُ يَنْسَى أَنَّهُ يَتِيمٌ.

فَأَحَبَّ عُمَيْرُ الْجُلَاسَ حُبَّ الْابْنِ لِأَبِيهِ، كَمَا أَوْلَعَ الْجُلَاسُ بِعُمَيْرٍ
وَلَعَ الْوَالِدَ بَوْلَدِهِ.

وَكَانَ كَلِمَانَا عُمَيْرٌ وَشَبَّ، يَزْدَادُ الْجُلَاسُ لَهُ حُبًّا وَبِهِ إِعْجَابًا لَمَا كَانَ
يَرَى فِيهِ مِنْ أَمَارَاتِ ^(٣) الْفِطْنَةِ وَالنَّجَابَةِ الَّتِي تَبْدُو فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ،

(١) الفاقة: الفقر.

(٢) الأوس: قبيلة عظيمة من الأزدي كانت تسكن المدينة وقد عاهدت الرسول صلوات الله عليه
على حمايته.

(٣) أمارات الفطنة: علامات الذكاء.

وشمائل^(١) الأمانة والصدق التي تَظْهَرُ في كلِّ تصرُّف من تصرُّفاته.

وقد أسلم الفتى عميرُ بنُ سعدٍ، وهو صغيرٌ لم يُجَاوِزِ العاشرةَ من عُمرِهِ إلا قليلاً، فَوَجَدَ الإيمانُ في قَلْبِهِ الغَضَّ مكاناً خالياً فتمكَّنَ منه، وألفى^(٢) الإسلامُ في نفسِهِ الصَّافِيَةِ الشَّافَةِ تربة خصبَةٍ فتغلَّغَ في ثناياها، فكان على حَدَاثَةِ سنَّهِ لا يتأخَّرُ عن صلاةٍ خلفَ رسولِ الله ﷺ، وكانت أمه تَغْمُرُهَا الفَرْحَةُ كُلَّمَا رَأَيْتَهُ ذاهباً إلى المسجدِ أو آيئاً منه، تارَةً مع زوجها وتارةً وحده.



وسارت حياةُ الغلامِ عميرِ بنِ سعدٍ على هذا النحو هانئةً وادعةً لا يعكِّرُ صَفْوَهَا مُعَكِّرٌ، ولا يُكَدِّرُ هَناءَهَا مَكْدِرٌ، حتى شاءَ الله أن يعرضَ الغُلامَ اليافعَ^(٣) لَتَجْرِبَةِ من أشدِّ التجاربِ عُنْفاً وأقساها قسوةً، وأن يَمْتَحِنَه امتحاناً قلماً مرَّ بمثله فتى في سنِّهِ.

ففي السنةِ التاسعةِ للهجرةِ أعلنَ الرسولُ صلواتُ الله وسلامُهُ عليه عَزَمَهُ على غَزْوِ الرُّومِ في تبوك^(٤)، وأمرَ المسلمين بأن يَسْتَعِدُّوا وَيَتَجَهَّزُوا لذلك.

وكان ﷺ إذا أراد أن يغزو غزوةً لم يصرِّح بها، وأوهم أنه يريدُ جهةً غَيْرَ الجهةِ التي يَقْصِدُ إليها، إلا في غزوةِ تبوك، فإنه بيَّنَهَا للناس، لِبُعْدِ الشِّقَّةِ^(٥)، وعِظَمِ المَشَقَّةِ، وقُوَّةِ العدوِّ؛ ليكونَ الناسُ على بَيِّنَةٍ من

(١) السُّمائل: الخصال والصفات.

(٢) أَلْفَى: وجد.

(٣) اليافع: الغلام الذي قارب البلوغ.

(٤) تبوك: موضع على حدود الشام وقعت فيه المعركة المعروفة بين المسلمين والروم.

(٥) لبعد الشقة: لبعُد المسافة.

أمرهم، فيأخذوا للأمر أهبتَه^(١) ويُعدُّوا له عُدتَه. وعلى الرغم من أنَّ الصيفَ كان قد دخل، والحرُّ قد اشتدَّ، والثَّمارُ قد أُينعتْ، والظلالُ قد طابت، والنفوسُ قد رَكَنتْ إلى التَّراخي والتَّكاسُلِ؛ على الرغم من ذلك كُلِّه فقد لبَّى المسلمون دَعْوَةَ نبيِّهم عليه الصَّلاة والسلام وأخذوا يَتَجَهَّزون وَيَسْتَعِدُّون.

غير أنَّ طائفةً من المنافقين^(٢) أخذوا يُثَبِّطون^(٣) العزائمَ، ويُوْهِنون^(٤) الهممَ، ويثيرون الشُّكوكَ، ويَغْمِزون^(٥) الرُّسولَ صلواتُ الله وسلامُه عليه، ويطلقون في مَجَالِسِهِم الخاصَةِ من الكلماتِ ما يَدْمَغُهُم بِالْكُفْرِ دَمْغًا^(٦).

وفي يومٍ من هذه الأيام التي سَبَقَتْ رحيلَ الجَيْشِ، عادَ الغلامُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ إلى بَيْتِهِ بَعْدَ أدَاءِ الصَّلاةِ في المَسْجِدِ وقد امتلأتْ نَفْسُهُ بطائفةً مُشْرِقةً من صُورِ بَذْلِ المسلمين وتَضَحِّيَتِهِمْ رَأَهَا بِعَيْنَيْهِ، وَسَمِعَهَا بِأُذُنَيْهِ.

فقد رأى نساءَ المُهاجِرِينَ والأنصارِ يُقْبِلْنَ على رسولِ الله ﷺ وَيَنْزَعْنَ حُلِيِّهِنَّ وَيُلْقِيْنَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيُجَهِّزَ بِثَمَنِهِ الجَيْشَ الغَازِيَّ في سبيلِ الله. وأبصرَ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ عثمانَ بْنَ عَفَّانَ يَأْتِي بِجِرَابٍ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ ذَهَبًا، ويقدِّمُهُ للنبيِّ ﷺ.

وشَهِدَ عبدُ الرحمنِ بْنُ عَوْفٍ يَحْمِلُ على عَاتِقِهِ مائتي أوقِيَّةٍ من

(١) يأخذوا للأمر أهبتَه: يستعدوا للأمر.

(٢) المنافقون: الذين يُثَبِّطون الكفر ويظهرون الإسلام.

(٣) يثبطون العزائم: يُضعفون العزائم.

(٤) يوهنون الهمم: يضعفون الهمم.

(٥) يغمزون الرسول: يذكرونه بسوء.

(٦) قِيدَمَغُهُم بالكفر دَمْغًا: يسمُّهُمْ بالكفر وَسْمًا.

الذَّهَبِ وَيُلْقِيهَا بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ.

بل إِنَّه رأى رجلاً يَعْرِضُ فِرَاشَهُ لِلْبَيْعِ لِيَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ سَيْفًا يُقَاتِلُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

فَأَخَذَ عُمَيْرٌ يَسْتَعِيدُ هَذِهِ الصُّورَ الْفَذَّةَ ^(١) الرَّائِعَةَ، وَيَعْجَبُ مِنْ تَبَاطُؤِ الْجُلَاسِ عَنِ الْاسْتِعْدَادِ لِلرَّحِيلِ مَعَ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَالتَّأَخُّرِ عَنِ الْبَدَلِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قُدْرَتِهِ وَيَسَارِهِ ^(٢).

وَكأنَّما أَرَادَ عُمَيْرٌ أَنْ يَسْتَثِيرَ هِمَّةَ الْجُلَاسِ وَيَبْعَثَ الْحَمِيَّةَ ^(٣) فِي نَفْسِهِ فَأَخَذَ يَقْصُصُ عَلَيْهِ أَخْبَارَ مَا سَمِعَ وَرَأَى وَخَاصَّةً خَبَرَ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَدَّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَأَلُوهُ فِي لَوْعَةٍ أَنْ يَضُمَّهُمْ إِلَى الْجَيْشِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَردَّهم النَّبِيُّ لِأنَّه لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مِنَ الرُّكَّائِبِ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، فَتَوَلَّوْا ^(٤) وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُبَلِّغُهُمْ أَمْنِيَّتَهُمْ فِي الْجِهَادِ، وَيُحَقِّقُ لَهُمْ أَشْوَاقَهُمْ إِلَى الْاسْتِشْهَادِ.

لَكِنَّ الْجُلَاسَ مَا كَادَ يَسْمَعُ مِنْ عُمَيْرٍ مَا سَمِعَ حَتَّى انْطَلَقَتْ مِنْ فَمِهِ كَلِمَةٌ أَطَارَتْ صَوَابَ ^(٥) الْفَتَى الْمُؤْمِنِ.

إِذْ سَمِعَهُ يَقُولُ: «إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنَ النُّبُوَّةِ فَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ».

***لَقَدْ شُدِّهِ ^(٦) عُمَيْرٌ مِمَّا سَمِعَ، فَمَا كَانَ يَظُنُّ أَنَّ رَجُلًا لَهُ عَقْلٌ

(١) الصور الفذة: الصرر الرائعة الفريدة.

(٢) اليسار: الغنى.

(٣) الحمية: الثخوة والمروعة.

(٤) فتولوا: فرجعوا.

(٥) طارت صواب الفتى: أذهلته وأطارت عقله.

(٦) شده: دُهِشَ وتحير.

الجُلاسِ وَسِئْتُهُ تَبْدُ^(١) مِنْ فَمِهِ مِثْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الَّتِي تُخْرِجُ صَاحِبَهَا مِنَ الْإِيمَانِ دَفْعَةً وَاحِدَةً وَتُدْخِلُهُ فِي الْكُفْرِ مِنْ أَوْسَعِ أَبْوَابِهِ.

وَكَمَا تَنْطَلِقُ الْأَلَاتُ الْحَاسِبَةُ الدَّقِيقَةُ فِي حِسَابِ مَا يُلْقَى إِلَيْهَا مِنَ الْمَسَائِلِ، انْطَلَقَ عَقْلُ الْفَتَى عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ يُفَكِّرُ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَصْنَعَهُ. لَقَدْ رَأَى أَنَّ فِي السَّكُوتِ عَنِ الْجُلَاسِ وَالتَّسَتُّرِ عَلَيْهِ خِيَانَةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِضْرَارًا بِالْإِسْلَامِ الَّذِي يَكِيدُ لَهُ الْمَنَافِقُونَ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ^(٢). وَأَنَّ فِي إِذَاعَةِ مَا سَمِعَهُ عَقُوقًا بِالرَّجُلِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنْ نَفْسِهِ مَنْزِلَةً الْوَالِدِ، وَمَجَازَاةً لِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ بِالْإِسَاءَةِ؛ فَهُوَ الَّذِي آوَاهُ مِنْ يُثَمِّ وَأَغْنَاهُ مِنْ فَقْرٍ وَعَوَّضَهُ عَنْ فَقْدِ أَبِيهِ.

وَكَانَ عَلَى الْفَتَى أَنْ يَخْتَارَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحْلَاهُمَا مُرًّا. وَسَرَعَانَ مَا اخْتَارَ...

فَالْتَفَتَ إِلَى الْجُلَاسِ وَقَالَ: وَاللَّهِ يَا جُلَاسُ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ بَعْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ.

فَأَنْتَ آثَرُ^(٣) النَّاسِ عِنْدِي، وَأَجْلُهُمْ يَدًا^(٤) عَلَيَّ، وَلَقَدْ قُلْتُ مَقَالَةً إِنْ ذَكَرْتُهَا فَضَحْتُكَ، وَإِنْ أَخْفَيْتُهَا خُنْتُ أَمَانَتِي وَأَهْلَكَتُ نَفْسِي وَدِينِي، وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَمْضِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخْبِرَهُ بِمَا قُلْتُ، فَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِكَ.



مَضَى الْفَتَى عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا

(١) تند: تشرّد.

(٢) يأتَمرون به: يحدث بعضهم بعضًا بآيذائه.

(٣) آثرُ الناس عندي: أحبُّ الناس وأقربهم إليّ.

(٤) أَجْلُهُمْ يَدًا: أَعْظَمُهُمْ نِعْمَةً عَلَيَّ.

سَمِعَ مِنَ الْجُلَاسِ بْنِ سُؤَيْدٍ .

فَاسْتَبَقَاهُ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عِنْدَهُ، وَأَرْسَلَ أَحَدَ أَصْحَابِهِ لِيَدْعُوَ لَهُ الْجُلَاسَ.

وَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى جَاءَ الْجُلَاسُ فَحَيَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:

(مَا مَقَالَةَ سَمِعَهَا مِنْكَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ؟! وَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَهُ.

فقال: كَذَبَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَافْتَرَى، فَمَا تَفَوَّهْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَخَذَ الصَّحَابَةُ يُنْقَلُونَ أَبْصَارَهُمْ بَيْنَ الْجُلَاسِ وَقَتَاهُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ كَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَقْرَؤُوا عَلَى صَفْحَتَي وَجْهَيْهِمَا^(١) مَا يُكِنُّهُ^(٢) صَدْرَاهُمَا. وَجَعَلُوا يَنْهَامَسُونَ: فَقَالَ وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ^(٣): فَتَى عَاقٍ، أَبَى إِلَّا أَنْ يُسَيَّ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ.

وقال آخرون: بَلْ إِنَّهُ غَلَامٌ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِنَّ قَسَمَاتٍ^(٤) وَجْهَهُ لَتَنْطِقُ بِصِدْقِهِ.

والتفت الرسول صلوات الله عليه إلى عمير فرأى وجهه قد احتقن^(٥) بالدم، والدموع تتحدّر مدراراً من عينيه، فتساقط على خده وصدره وهو يقول:

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَى نَبِيِّكَ بَيَانَ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ...

(١) صَفْحَةُ الْوَجْهِ: مَا بَدَرَ مِنْهُ لِلنَّازِرِ.

(٢) يَكِنُّهُ صَدْرَاهُمَا: يَخْفِيهِ صَدْرَاهُمَا.

(٣) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: فِي قُلُوبِهِمْ شِبْهَةُ نِفَاقٍ.

(٤) قَسَمَاتٌ وَجْهَهُ: مَلَامِحُ وَجْهِهِ.

(٥) احْتَقَنَ بِالْدَمِّ: تَجَمَعَ الدَّمُ فِيهِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَى نَبِيِّكَ بَيَانَ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ...

فَانْبَرَى^(١) الْجُلَاسُ وَقَالَ: إِنَّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ، وَإِنْ شِئْتَ تَحَالَفْنَا^(٢) بَيْنَ يَدَيْكَ.

وَإِنِّي أَخْلَفْتُ بِاللَّهِ أَنِّي مَا قُلْتُ شَيْئًا مِمَّا نَقَلَهُ لَكَ عُمَيْرٌ.

فَمَا إِذَا انْتَهَى مِنْ حَلْفِهِ وَأَخَذَتْ عَيُونُ النَّاسِ تَتَقِيلُ عَنْهُ إِلَى عُمَيْرِ ابْنِ سَعْدٍ حَتَّى غَشِيَتْ^(٣) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ، فَعَرَفَ الصَّحَابَةُ أَنَّهُ الْوَحْيُ، فَلَزِمُوا أَمَاكِنَهُمْ وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ وَلَاذُوا بِالصَّمْتِ^(٤) وَتَعَلَّقَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَهَذَا ظَهَرَ الْخَوْفُ وَالْوَجَلُ عَلَى الْجُلَاسِ، وَبَدَا التَّلَهُفُ وَالتَّشَوُّفُ^(٥) عَلَى عُمَيْرٍ. وَظَلَّ الْجَمِيعُ كَذَلِكَ حَتَّى سُرِّي^(٦) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَا قَوْلَهُ ﷺ: ﴿يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

فَارْتَعَدَ الْجُلَاسُ مِنْ هَؤُلَاءِ مَا سَمِعَ، وَكَادَ يَنْعَقِدُ لِسَانُهُ مِنَ الْجَزَعِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: بَلْ أَتُوبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ... بَلْ أَتُوبُ...

صدق عُمَيْرٌ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - وَكُنْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ.

(١) انبرى: برز واندفع.

(٢) تحالفنا: حلف كل منا على صحة كلامه.

(٣) كما غشيتها السكينة: نزلت عليه وغطته.

(٤) لاذوا بالصمت: التزموا الصمت وانقطعوا عن الكلام.

(٥) التشوف: التطلع.

(٦) سري عن الرسول: زال عنه أثر الوحي.

(٧) يك: أصفها يكن حذف نونها تخفيفاً.

اسأل الله أن يقبل توبتي، جعلت فداك يا رسول الله.

وهنا توجه الرسول صلوات الله عليه إلى الفتى عمير بن سعد،
فإذا دُموع الفرح تبلل وجهه المشرق بنور الإيمان.

فمد الرسول يده الشريفة إلى أذنه وأمسكها برفق وقال: «وَفَت
أُذْنُكَ - يا غلام - مَسِمَعَتٌ، وَصَدَّقَكَ رَبُّكَ».

عاد الجلاس إلى حظيرة الإسلام وحسن إسلامه.

وقد عرف الصحابة صلاح حاله مما كان يُغدقه^(١) على عمير من
برٍّ. وقد كان يقول كلما ذكر عمير: جزاه الله عنّي خيرًا، فقد أنقذني
من الكُفر، وأعتق رقبتني من النار.

وبعد فليست هذه أوضأ^(٢) صورة في حياة الغلام الصحابي عمير
ابن سعد، ولا أشدها تألقًا.

وإنما في حياته من الصور ما هو أزهى وأجمل.

فإلى لقاء آخر مع عمير بن سعد في شبابه



(١) يغدقه: يعطيه بسحاء.

(٢) أوضأ: أكثر وضاء وإشراقًا.

(٢)

«لكم وددت أن لي رجالاً مثل

عمير بن سعد لأستعين بهم في أعمال المسلمين».

[عمر بن الخطاب]

وَقَفْنَا أَنْفًا^(١) عَلَى صُورَةِ فَذَّةٍ^(٢) وَضِيئَةٍ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ
عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ فِي صِغَرِهِ، فَتَعَالَوْا نَقِفْ الْآنَ عَلَى صُورَةِ رَائِعَةٍ مُشْرِقَةٍ
صِتْ حَيَاتِهِ فِي كِبَرِهِ، وَسَتَجِدُونَ أَنَّ الصُّورَةَ الثَّانِيَةَ لَنْ تَقُلَّ عَنِ الْأُولَى
جَلَالًا وَبَهَاءً.

كَانَ أَهْلُ «حِمَصَ»^(٣) شَدِيدِي التَّدْمُرِ مِنْ وُلَاتِهِمْ، كَثِيرِي الشَّكْوَى مِنْهُمْ،
فَمَا جَاءَهُمْ مِنْ وَالٍ إِلَّا وَجَدُوا فِيهِ عِيوبًا، وَأَحْصَوْا لَهُ ذُنُوبًا، وَرَفَعُوا أَمْرَهُ إِلَى
خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَمَنَّوْا عَلَيْهِ أَنْ يُبَدِّلَهُمْ بِهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ.
فَعَزَمَ الْفَارُوقُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ بَوَالٍ لَا يَجِدُونَ فِيهِ
مَطْعَنًا وَلَا يَرَوْنَ فِي سِيرَتِهِ مَغْمَزًا^(٤).

فَنَثَرَ كِنَانَهُ^(٥) رِجَالَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَجَمَ^(٦) عِيدَانَهَا عَوْدًا عَوْدًا، فَلَمْ
يَجِدْ خَيْرًا مِنْ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ.

(١) أَنْفًا: قَرِيبًا.

(٢) فَذًا: فَرِيدًا.

(٣) حِمَصُ مَدِينَةٍ فِي أَوَاسِطِ سُورِيَةِ بَيْنَ دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَفِيهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) مَغْمَزًا: عَيْبًا.

(٥) الْكِنَانَةُ: الْجَبْعَةُ الَّتِي تَوْضَعُ فِيهِ السَّهَامُ.

(٦) عَجَمَ عِيدَانَهَا: اخْتَبَرَهَا وَفِي الْكَلَامِ تَشْبِيهُهُ لِلرِّجَالِ بِالْمَهَامِ.

وعلى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ عُمَيْرًا كَانَ إِذْ ذَاكَ يَضْرِبُ^(١) فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ عَلَى رَأْسِ جَيْشِهِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَحْرُرُ الْمُدُنَ وَيَذْكُ الْمَعَاقِلَ^(٢)، وَيُخْضِعُ الْقَبَائِلَ، وَيُقِيمُ الْمَسَاجِدَ فِي كُلِّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا قَدَمَاهُ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ دَعَاهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَعَهْدَ إِلَيْهِ بَوَلَايَةَ «حِمص»، وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا، فَأَذْعَنَ لِلْأَمْرِ عَلَى كُرْهِ مِنْهُ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُؤْثَرُ^(٣) شَيْئًا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.



بَلَغَ عُمَيْرٌ «حِمصَ» فَدَعَا النَّاسَ إِلَى صَلَاةٍ جَامِعَةٍ . وَلَمَّا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ خَطَبَ النَّاسَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ثُمَّ قَالَ:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْإِسْلَامَ حِصْنٌ مَنِيعٌ وَبَابٌ وَثِيقٌ^(٤)، وَحِصْنُ الْإِسْلَامِ الْعَدْلُ وَبَابُهُ الْحَقُّ. فَإِذَا ذُكِّ الْحِصْنُ وَحُطِّمَ الْبَابُ اسْتُيْحَ حِمَى هَذَا الدِّينِ.

وَإِنَّ الْإِسْلَامَ مَا يَزَالُ مَنِيعًا مَا اشْتَدَّ السُّلْطَانُ. وَلَيْسَتْ شِدَّةُ السُّلْطَانِ ضَرْبًا بِالسَّوْطِ^(٥) وَلَا قِتْلًا بِالسَّيْفِ وَلَكِنْ قَضَاءٌ بِالْعَدْلِ وَأَخْذًا بِالْحَقِّ».

ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى عَمَلِهِ لِيُنْفِذَ مَا اخْتَطَهُ لَهُمْ مِنْ دَسْتُورٍ فِي خُطْبَتِهِ الْقَصِيرَةِ.



(١) يَضْرِبُ: يَسِيرُ غَازِيًا.

(٢) الْمَعَاقِلُ: الْحِصُونُ.

(٣) لَا يُؤْثَرُ: لَا يُفْضَلُ.

(٤) وَثِيقٌ: مُتِينَ.

(٥) السَّوْطُ: جِلْدٌ مُضْفُورٌ يَفْرُضُ بِهِ.

قَضَى عُمَيْرُ بْنُ لَسْعِدٍ حَوْلًا^(١) كَامِلًا فِي «حِمَصَ» لَمْ يَكْتُبْ خِلَالَهُ
لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا، وَلَمْ يَبْعَثْ إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفِيءِ^(٢)
دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا، فَأَخَذَتِ الشُّكُوكُ تَسَاوُرَ^(٣) عُمَرَ إِذْ كَانَ شَدِيدَ الْخَشْيَةِ
عَلَى وُلَاتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْإِمَارَةِ، فَلَا مَعْصُومَ عِنْدَهُ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَقَالَ لِكِتَابَتِهِ: اكْتُبْ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ وَقُلْ لَهُ: إِذَا جَاءَكَ كِتَابُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَدَعْ حِمَصَ وَأَقْبِلْ عَلَيْهِ، وَاحْمِلْ مَعَكَ مَا جِيئَتْ مِنْ
فِيءِ الْمُسْلِمِينَ.



تَلَقَّى عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ كِتَابَ عُمَرَ ﷺ وَعَنْ عُمَيْرٍ، فَأَخَذَ جِرَابَ
زَادِهِ^(٤) وَحَمَلَ عَلَى عَاتِقِهِ^(٥) قَصْعَتَهُ^(٦) وَوَعَاءَ وَضُوئِهِ، وَأَمْسَكَ يَدَيْهِ
حَزْبَتَهُ، وَخَلَّفَ حِمَصَ وَإِمَارَتَهَا وَرَاءَهُ، وَأَنْطَلَقَ يَحُثُّ الْخَطَا - مَشْيًا
عَلَى قَدَمَيْهِ - إِلَى الْمَدِينَةِ.

فَمَا كَادَ يَبْلُغُ عُمَيْرُ الْمَدِينَةَ حَتَّى كَانَ قَدْ شَحَبَ لَوْنُهُ، وَهَزُلَ جِسْمُهُ
وَطَالَ شَعْرُهُ، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ وَعَثَاءُ^(٧) السَّفَرِ.



دَخَلَ عُمَيْرُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَهَشَ الْفَارُوقُ
مِنْ حَالَتِهِ وَقَالَ:

(١) حَوْلًا: عَامًا.

(٢) الْفِيءُ: الْخَرَابُ.

(٣) تُسَاوَرُ عَمْرٌ: تَدُورُ فِي نَفْسِ عَمْرٍ.

(٤) جِرَابُ زَادِهِ: كَيْفُ طَعَامِهِ.

(٥) الْعَاتِقُ: الْكَتِفُ.

(٦) الْقَصْعَةُ: وَعَاءٌ يُؤْكَلُ بِهِ.

(٧) وَعَثَاءُ السَّفَرِ: آثَارُ مَشَقَّةِ السَّفَرِ.

ما بك يا عُمَيْرُ؟!

فقال: ما بي من شيء - يا أمير المؤمنين - فأنا صحيحٌ مُعافًى - بحمد الله - أحمِلُ معي الدنيا كُلَّها وأجرُها من قَرْنِهَا.

فقال: وما معك من الدنيا؟ (وهو يظُنُّ أَنَّهُ يَحْمِلُ مَا لَا لِبَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ).

فقال: معي جِرابي وقد وضعت فيه زادي.

ومعي قصعتي آكلٌ فيها وأغسلُ عليها رَأْسِي وثيابي.

ومعي قِرْبَةٌ لِوُضُوءِي وشرابي.

ثم إِنَّ الدنيا كُلَّها - يا أمير المؤمنين - تَبَعٌ لِمَتَاعِي هذا، وَفُضْلَةٌ لَا حَاجَةَ لِي وَلَا لِأَحَدٍ غَيْرِي فيها.

فقال عمر: وهل جئت ماشياً؟!

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال: أما أُعْطِيتَ مِنَ الْإِمَارَةِ دَابَّةً تَرْكَبُهَا؟

فقال: هم لم يعطوني، وأنا لم أطلب منهم.

فقال: وأين ما أَتَيْتَ بِهِ لِبَيْتِ الْمَالِ؟

فقال: لم آتِ بِشَيْءٍ.

فقال: ولم؟!

فقال: لما وَصَلْتُ إِلَى حِمَصَ، جَمَعْتُ صَلَحَاءَ أَهْلِهَا، وَوَلِيَتَهُمْ جَمَعَ فَيَتُهُمْ، فَكَانُوا كُلُّمَا جَمَعُوا شَيْئًا مِنْهُ، اسْتَشَرْتُهُمْ فِي أَمْرِهِ، وَوَضَعْتَهُ فِي مَوَاضِعِهِ، وَأَنْفَقْتُهُ عَلَى الْمُسْتَحَقِّينَ مِنْهُمْ.

فقال عمر لكاتبه: جَدَّدْ عَهْدًا لِعُمَيْرٍ عَلَى وِلَايَةِ حِمَصٍ.

فقال عمير: هيهات ^(١)... فَإِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ لَا أُرِيدُهُ، وَلَنْ أَعْمَلَ لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ بَعْدَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى قَرْيَةٍ فِي ضَوَاحِي الْمَدِينَةِ يُقِيمُ بِهَا أَهْلُهُ، فَأَذِنَ لَهُ.



لَمْ يَمْضِ عَلَى ذَهَابِ عُمَيْرٍ إِلَى قَرْيَتِهِ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى أَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَخْتَبِرَ صَاحِبَهُ، وَأَنْ يَسْتَوْثِقَ مِنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ لَوَاحِدٍ مِنْ ثِقَاتِهِ يُدْعَى الْحَارِثَ:

انْطَلِقْ يَا حَارِثُ إِلَى عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ، وَانْزِلْ بِهِ كَأَنَّكَ ضَيْفٌ، فَإِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهِ آثَارَ نِعْمَةٍ، فَعُدْ كَمَا أَتَيْتَ.

وَإِنْ وَجَدْتَ حَالًا شَدِيدَةً فَأَعْطِهِ هَذِهِ الدَّنَانِيرَ، وَنَاوِلْهُ صُرَّةً فِيهَا مِائَةُ دِينَارٍ.



انْطَلَقَ الْحَارِثُ حَتَّى بَلَغَ قَرْيَةَ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَدُلَّ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

فقال: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، مِنْ أَيْنَ قَدِمْتَ؟

فقال: مِنَ الْمَدِينَةِ.

فقال: كَيْفَ تَرَكْتَ الْمُسْلِمِينَ؟

(١) هِيَهَاتُ: كَلِمَةٌ تَقَالُ عِنْدَ اسْتِبْعَادِ أَمْرِ مَا.

فقال: بخير.

فقال: كيف أمير المؤمنين؟

فقال: صحيح صالح.

فقال: أليس يُقيم الحدود؟!

قال: بلى، ولقد ضرب ابنًا له لفاحشة أتاها، فمات من الضرب.

فقال: اللهم أعنْ عمرَ، فإني لا أعلمه إلا شديد الحب لك.



أقام الحارث في ضيافة عمير بن سعد ثلاث ليالٍ، فكان يُخرجُ له في كل ليلة قُرْصًا من الشعير.

فلَمَّا كَانَ اليومُ الثالثُ، قال للحارث رجل من القوم: لقد أجهدت^(١) عميرًا وأهله، فليسن لهم إلا هذا القُرْصُ الذي يُؤثرونك به^(٢) على أنفسهم، وقد أضربَ بهمُ الجوعُ والجهدُ، فإن رأيت أن تتحوَّلَ عنهم إلي فافعل.



عند ذلك أخرج الحارثُ الدنانيرَ، ودفعها إلى عمير.

فقال عمير: ما هذه؟!

فقال الحارث: بعث بها إليك أمير المؤمنين.

فقال: رُدَّها إليه، وافرأ عليه السلام، وقُلْ له: لا حاجة لعمير بها.

فصاحت امرأته -وكانت تسمع ما يدور بين زوجها وضيفه-

(١) أجهدت عميرًا: عניתه وألحقت به الضرر.

(٢) يؤثرونك: يفضلونك

وقالت: خُذْهَا - يا عُمَيْرُ - فَإِنْ احْتَجَّتْ إِلَيْهَا أَنْفَقْتُهَا، وَإِلَّا وَضَعْتُهَا فِي مَوَاضِعِهَا^(١)، فَاَلْمَحْتَا جُون هُنَا كَثِيرٌ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْحَارِثُ قَوْلَهَا، أَلْقَى الدَّنَانِيرَ بَيْنَ يَدَيْ عُمَيْرٍ وَأَنْصَرَفَ، فَأَخَذَهَا عُمَيْرٌ وَجَعَلَهَا فِي ضُرُرٍ صَغِيرَةٍ وَلَمْ يَبْتَ لَيْلَتَهُ تِلْكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ وَزَّعَهَا بَيْنَ ذَوِي الْحَاجَاتِ، وَخَصَّ مِنْهُمْ أَبْنَاءَ الشُّهَدَاءِ.



عاد الحارث إلى المدينة فقال له عمر: ما رأيت يا حارث؟

فقال: حالاً شديدةً يا أمير المؤمنين.

فقال: أدفعت إليه الدنانير؟

فقال: نعم، يا أمير المؤمنين.

فقال: وما صنع بها؟!

فقال: لا أدري، وما أظنه يُبْقَى لِنَفْسِهِ مِنْهَا دِرْهَمًا وَاحِدًا.

فكَتَبَ الْفَارُوقُ إِلَى عُمَيْرٍ يَقُولُ: إِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَلَا تَضَعْهُ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُقْبَلَ عَلَيَّ.



تَوَجَّهَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَدَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَحَيَّاهُ عُمَرُ وَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ^(٢) ثُمَّ قَالَ لَهُ:

مَا صَنَعْتَ بِالدَّنَانِيرِ يَا عُمَيْرُ؟!

فقال: وما عليك منها يا عمر بعد أن خرجت لي عنها؟!!

(١) وضعتها في مواضعها: أنفقتها في طرقها.

(٢) أدنى مجلسه: قربه إليه دلالة على الإكرام.

فقال: عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَنِي بِمَا صَنَعْتَ بِهَا.

فقال: ادْخَرْتُهَا لِنَفْسِي لِأَنْتَفِعَ بِهَا فِي يَوْمٍ لَا يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا بَنُونَ...

فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، **وقال:** أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^(١) ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ^(٢) مِنْ طَعَامٍ وَثَوْبَيْنِ.

فقال: أَمَّا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ تَرَكْتُ عِنْدَ أَهْلِي صَاعَيْنِ مِنْ شَعِيرٍ، وَإِلَى أَنْ نَأْكُلَهُمَا يَكُونُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ جَاءَنَا بِالرِّزْقِ.

وَأَمَّا الثَّوْبَانِ فَأَخَذَهُمَا لِأُمِّ فُلَانٍ (يعني: زَوْجَتَهُ)، فَقَدْ بَلَى ثَوْبُهَا وَكَادَتْ تَعْرَى.



لَمْ يَمُضِ طَوِيلٌ وَقَتٍ عَلَى ذَلِكَ اللَّقَاءِ بَيْنَ الْفَارُوقِ وَصَاحِبِهِ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ لِعُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ بِأَنْ يُلْحَقَ بِنَبِيِّهِ وَقُرَّةِ عَيْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ طَالَتْ أَشْوَاقُهُ إِلَى لِقَائِهِ.

فَمَضَى عَمِيرٌ فِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ وَادَعَ النَّفْسَ، وَاثِقَ الْخَطُو، لَا يُثْقِلُ كَاهِلُهُ شَيْءٌ مِنْ أَحْمَالِ الدُّنْيَا، وَلَا يُؤْوِدُ^(٣) ظَهْرَهُ عِبَاءٌ مِنْ أَثْقَالِهَا. مَضَى لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا نُورُهُ وَهْدَاهُ، وَوَرَعُهُ وَتَقَاهُ...

فَلَمَّا بَلَغَ الْفَارُوقُ نَعْيَهُ وَشَخَّ الْحُزْنَ وَجْهَهُ، وَاعْتَصَرَ الْأَسَى فُؤَادَهُ

وقال:

(١) الخصاصة: الحاجة.

(٢) الوسق: ستون وهي تقدر بحمل بعير.

(٣) يؤود ظفّره: يثقل ظفّره ويتعبه

«وَدِدْتُ أَنْ لِي رَجَالًا مِثْلَ عُمَيْرِ بْنِ سَعْدٍ أَسْتَعِينُ بِهِمْ فِي أَعْمَالِ
المسلمين».



رضى الله عن عمير بن سعد وأرضاه...
فقد كان نمطاً فريداً بين الرجال...
وتلميذاً متفوقاً في مدرسة محمد بن عبد الله...



(*) للاستزادة من أخبار عمير بن سعد انظر:

- ١- الإصابة: (الترجمة ٦٠٣٦)
- ٢- الاستيعاب (على هاشم الإصابة): ٤٨٧ / ٢.
- ٣- أسد الغابة: ٢٩٣ / ١.
- ٤- سير أعلام النبلاء: ٨٦ / ١ وما بعدها.
- ٥- حياة الصحابة (انظر الفهارس في الجزء الرابع)
- ٦- قادة فتح العراق والجزيرة: ٥١٣ وما بعدها.
- ٧- الأعلام: ٢٦٤ / ٥



معاذ بن جبل

«أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل»

[محمد رسول الله]

لما أشرقت جزيرة العرب بنور الهدى والحق، كان الغلام الثيربي^(١)
مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَتًى يافِعًا.

وكان يمتاز من أترابه بحدة الذكاء، وقوة العارضة^(٢)، وروعة البيان،
وعلوّ الهمة.

وكان إلى ذلك، قسيما وسيما^(٣) أكحل العين جعد الشعر برّاق
الأنيا، يملأ عين مجتليه^(٤) ويملك عليه فؤاده.

أسلم الفتى معاذ بن جبل على يدي الداعية المكيّ مضعب بن
عمير. وفي ليلة العقبة امتدت يده الفتية فصافحت يد النبي الكريم
وباعته...

فقد كان معاذ مع الرهط الاثني والسبعين الذين قصدوا مكة،
ليسعدوا بلقاء رسول الله ﷺ، ويشرفوا ببيعته، وليخطوا في سفر التاريخ
أروع صفحة وأزهاها...



(١) الثيربي: نسبة إلى ثرب، وهي المدينة المنورة.

(٢) قوة العارضة: قوة البديهة وروعة البيان.

(٣) قسيما وسيما: بهي الطلعة جميل الملامح.

(٤) مجتليه: الناظر إليه.

وما إن عادَ الفتى من مَكَّةَ إلى المدينةِ حتَّى كَوَّنَ هو ونَفَرٌ صَغِيرٌ من لِدَاتِهِ جَمَاعَةً لِكَسْرِ الأوثَانِ، وانْتِزَاعِهَا من يُّبُوتِ المُشْرِكِينَ في يَثْرِبَ في السَّرِّ أو في العلنِ. وكان من أثرِ حَرَكَةِ هؤلاءِ الفتيانِ الصغارِ أنْ أَسْلَمَ رَجُلٌ كَبِيرٌ من رجالاتِ يَثْرِبَ، هو عمرو بنُ الجموحِ ^(١).



كان عمرو بنُ الجموحِ سَيِّدًا من ساداتِ بني سَلَمَةَ، وشريفًا من أشرافِهِم.

وكان قد اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ صَنَمًا من نَفِيسِ الخَشَبِ كما كان يَصْنَعُ الأشرافُ. ف

وكان شَيْخُ بني سَلَمَةَ يُعْنَى بِصَنَمِهِ هذا أَشَدَّ العِنَايَةِ فيُجَلِّلُهُ بالحريرِ، وَيُضَمِّمُهُ ^(٢) كُلَّ صَبَاحٍ بالطَّيِّبِ.

فقام الفتيانُ الصَّغارُ إلى صَنَمِهِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلامِ وَحَمَلُوهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَخَرَجُوا بِهِ إلى خَلْفِ مَنَازِلِ بني سَلَمَةَ، وألقوه في حُفْرَةٍ كَانَتْ تُجْمَعُ فِيهَا الأَقْدَارُ...

فَلَمَّا أَصْبَحَ الشَّيْخُ افْتَقَدَ صَنَمَهُ فلم يَجِدْهُ، وَبَحَثَ عَنْهُ في كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى أَلْفَاهُ مُكَبِّبًا على وَجْهِهِ في الحُفْرَةِ غَارِقًا في الأَقْدَارِ **فقال:** وَيَلُكُمُ من عَدَا على إلهنا في هذه اللَّيْلَةِ؟!

ثم أَخْرَجَهُ وَغَسَلَهُ، وَطَهَّرَهُ، وَطَيَّبَهُ، وَأَعَادَهُ إلى مكانِهِ، وقال له:

أَي «مَنَاة» ^(٣)، والله لو أَنِي أَعْلَمُ من صَنَعَ بِكَ هذا لَأُخْرِيتُهُ...

(١) انظر سهرته ص ٧٩.

(٢) يُضَمِّمُهُ: يَدْهِنُهُ وَيَطَيِّبُهُ.

(٣) أَي مَنَاة: يَا مَنَاة، وَهُوَ اسْمُ صَنَمِهِ.

فَلَمَّا أَمْسَى الشَّيْخُ وَنَامَ تَسَلَّلَ الْفَتِيَّةُ إِلَى صَنِمِهِ وَفَعَلُوا بِهِ مَا فَعَلُوهُ
فِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ...

فَمَا زَالَ يَبْحَثُ عَنْهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي حُفْرَةٍ أُخْرَى مِنْ تِلْكَ الْحُفْرِ...
فَأَخْرَجَهُ وَغَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَعَطَّرَهُ وَتَوَعَّدَ^(١) مَنْ عَدَّوْا عَلَيْهِ أَشَدَّ
الْوَعِيدِ...

فَلَمَّا تَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُمْ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ، وَغَسَلَهُ...
ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ يَخَاطِبُهُ:
وَاللَّهِ إِنِّي مَا أَعْلَمُ مَنْ يَفْعَلُ بِكَ هَذَا الَّذِي تَرَاهُ...
فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ - يَا مَنَاةُ - فَادْفَعْ عَنْ نَفْسِكَ... وَهَذَا السَّيْفُ
مَعَكَ...

فَلَمَّا أَمْسَى الشَّيْخُ وَنَامَ، عَدَا الْفَتِيَّةُ عَلَى الصَّنَمِ، وَأَخَذَ السَّيْفَ
الْمَعْلَقَ فِي رَقَبَتِهِ...

وَرَبَطُوهُ بِعُنُقِ كُلِّ مَيِّتٍ وَأَلْقَوْهُمَا فِي حُفْرَةٍ مِنْ تِلْكَ الْحُفْرِ،
فَلَمَّا أَصْبَحَ الشَّيْخُ جَدًّا فِي طَلَبِ صَنِمِهِ حَتَّى وَجَدَهُ مُلْقًى بَيْنَ الْأَقْدَارِ
مَقْرُونًا بِكُلِّ مَيِّتٍ مُنْكَسًا عَلَى وَجْهِهِ.

عِنْدَ ذَلِكَ نَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ:

تَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكُلُّبٌ وَسَطٌ بِئْرٍ فِي قَرْنٍ^(٢).

ثُمَّ أَسْلَمَ شَيْخُ بَنِي سُلَيْمَةَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ.



(١) تَوَعَّدَهُ: أَنذَرَهُ بِالشَّرِّ.

(٢) فِي قَرْنٍ: أَيِ مَرْبُوطًا مَعَهُ فِي حَبْلِ وَاحِدٍ.

ولما قَدِمَ الرسولُ الكريمُ على المدينة مهاجرًا، لَزِمَهُ الْفَتَى معاذُ بنُ جَبَلٍ مُلَازِمَةُ الظِّلِّ لِصَاحِبِهِ، فَأَخَذَ عَنْهُ الْقُرْآنَ، وَتَلَقَّى عَلَيْهِ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، حَتَّى غَدَا مِنْ أَقْرَأِ الصَّحَابَةِ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَعْلَمِهِمْ بِشَرْعِهِ... حَدَّثَ يَزِيدُ بْنُ قُطَيْبٍ **قال:** دَخَلْتُ مَسْجِدَ حِمَصٍ فَإِذَا أَنَا بِفَتَى جَعْدِ الشَّعْرِ^(١)، قَدْ اجْتَمَعَ حَوْلَهُ النَّاسُ.

فإذا تكلمَ كأنما يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ نُورٌ وَلَوْلُو، **فقلتُ:** من هذا؟! **فقالوا:** معاذُ بنُ جَبَلٍ.



وروى أبو مسلم الخولاني^(٢) **قال:** أَتَيْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا حَلَقَةٌ^(٣) فِيهَا كَهُولٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَإِذَا شَابَ فِيهِمْ أَكْحَلُ الْعَيْنِ بَرَأَقُ الثَّنَايَا، كُلَّمَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ رَدُّوهُ إِلَى الْفَتَى، فَقُلْتُ لِجَلِيسٍ لِي: مِنْ هَذَا؟!

فقال: معاذُ بنُ جَبَلٍ.



وَلَا غَرَوْ^(٤) فَمَعَاذُ رَبِّي فِي مَدْرَسَةِ الرَّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مُنْذُ نَعُومَةِ الْأُظْفَارِ^(٥) وَتَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ فَنَهَلَ الْعِلْمَ مِنْ يَنَابِيعِهِ الْغَزِيرَةِ.

(١) جَعْدُ الشَّعْرِ: ذُو شَعْرٍ أَجْعَدَ وَضَدَهُ: سَبَطُ الشَّعْرِ.

(٢) أبو مسلم الخولاني أحد كبار التابعين وهو من اليمن.

(٣) الحلقة: مجلس العلم، وكانوا يتحلّقون في هذه المجالس حول الشيخ.

(٤) وَلَا غَرَوْ: لَا عَجَبَ.

(٥) نَعُومَةُ الْأُظْفَارِ: كُنَايَةٌ عَنْ صَغَرِ السِّنِّ لِأَنَّ الصَّغِيرَ تَكُونُ أَظْفَارُهُ نَاعِمَةً.

وَأَخَذَ الْمَعْرِفَةَ مِنْ مَعِينِهَا الْأَصِيلَ، فَكَانَ خَيْرَ تَلْمِيزٍ لَخَيْرِ مُعَلِّمٍ.

وَحَسْبُ^(١) مُعَاذٍ شَهَادَةً أَنْ يَقُولَ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

«أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»؛ وَحَسْبُهُ فَضْلًا عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ التَّفَرِّسَةِ الَّذِينَ جَمَعُوا الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَلِذَا كَانَ أَصْحَابُ الرَّسُولِ إِذَا تَحَدَّثُوا وَفِيهِمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ نَظَرُوا إِلَيْهِ هَيْبَةً لَهُ وَتَعْظِيمًا لِعِلْمِهِ.



وَقَدْ وَضَعَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ هَذِهِ الطَّاقَةَ الْعِلْمِيَّةَ الْفَرِيدَةَ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

فَهَذَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ يَرَى جُمُوعَ قُرَيْشٍ تَدْخُلُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ.

وَيَشْعُرُ بِحَاجَةِ الْمُسْلِمِينَ الْجُدْدِ إِلَى مُعَلِّمٍ كَبِيرٍ يُعَلِّمُهُمُ الْإِسْلَامَ، وَيُفَقِّهُهُمْ بِشَرَائِعِهِ، فَيَعْهَدُ بِخِلَافَتِهِ عَلَى مَكَّةَ لِعَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ، وَيَسْتَبْقِي مَعَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَيُفَقِّهُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ.



وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُ مَلُوكِ الْيَمَنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، تُعْلِنُ إِسْلَامَهَا وَإِسْلَامَ مَنْ وَرَاءَهَا، وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهَا مَنْ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ انْتَدَبَ لَهُذِهِ الْمِهْمَةَ نَفَرًا مِنَ الدُّعَاةِ الْهَدَاةِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ.

(١) حَسْبُ مُعَاذٍ شَهَادَةً: يَكْفِيهِ شَهَادَةٌ.

وقَدْ خَرَجَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يودِّعُ بَعْثَةَ الْهُدَى والنور هذه...

وطفِقَ يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَةٍ مُعَاذٍ ... ومُعَاذٍ رَاكِبٍ ...
وأطَالَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ مَشْيَهُ مَعَهُ، حَتَّى لَكَأَنَّهُ كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَتَمَلَّى
من معاذ...

ثم أوصاه وقال له:

يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَلَّا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا...
ولعلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي...
فَبَكَى مُعَاذٌ جَزَعًا لِفِرَاقِ نَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ،
وَبَكَى مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ.



وَصَدَقَتْ بُبُوءَةُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ فَمَا اكْتَحَلَتْ عَيْنَا مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ بِرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ تِلْكَ السَّاعَةِ.
فَقَدْ فَارَقَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ الْحَيَاةَ قَبْلَ أَنْ يَعُودَ مُعَاذٌ مِنَ الْيَمَنِ.
وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ مُعَاذًا بَكَى لَمَّا عَادَ إِلَى يَثْرِبَ فَأَلْفَاها^(١) قَدْ أَقْفَرَتْ
مِنْ أَنْسِ حَبِيبِهِ رَسُولِ اللَّهِ.



وَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، أَرْسَلَ مُعَاذًا إِلَى بَنِي
كِلَابٍ لِيَقْسِمَ فِيهِمْ أَعْطِيَاتِهِمْ، وَيُوزَّعَ عَلَى فَقَرَائِهِمْ صَدَقَاتٍ أَغْنِيَتْهُمْ،

(١) فَأَلْفَاها: فَوَجَدَهَا.

فقام بما عُهِدَ إليه من أمرٍ وعاد إلى زوجته بِحِلْسِهِ^(١) الذي خَرَجَ به يلفه على رَقَبَتِهِ، فقالت له امرأته:

أين ما جئتُ به ممّا يأتي به الوُلاةُ من هَدِيَّةٍ لأهلِهِمْ؟!!

فقال: لقد كان معي رَقِيبٌ يَقْظُ يُحْصِي عَلَيَّ^(٢)، فقالت:

قد كنت أَمِينًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، وأبى بكرٍ، ثم جاء عمرُ فَبَعَثَ مَعَكَ رَقِيبًا يُحْصِي عليك؟!!

وأشاعت ذلك في نِسوةِ عُمَرَ، واشتكتَه لهنَّ...

فَبَلَغَ ذلك عُمَرَ، فدعا مُعَاذًا **وقال:** أنا بَعَثْتُ مَعَكَ رَقِيبًا يُحْصِي عليك؟!!

فقال: لا يا أمير المؤمنين، وَلَكِنِّي لم أَجِدْ شَيْئًا أَعْتَذِرُ بِهِ إِلَيْهَا إِلَّا ذلك...

فَضَحِكَ عمرُ رِضْوَانُ اللَّهِ عليه، وأعطاه شَيْئًا وقال له:
أَرْضِهَا به...



وفي أيام الفاروق أُرْسِلَ إليه واليه على الشَّامِ يزيدُ بن أبي سُفْيَانَ

يقول:

يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إن أهلَ الشَّامِ قد كَثُرُوا وملؤوا المَدَائِنَ، واحتَاجُوا إلى من يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ ويفقَّهُهُمْ بالدِّينِ فأعِنِّي يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِرِجال يُعَلِّمُونَهُمْ، فدعا عمر النَّفَرَ الخَمْسَةَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْقُرْآنَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) الحِلْسُ: ما يوضع على ظَهْرِ الدَّابَّةِ تحت السرج.

(٢) يريد بالرقيب الله ﷻ على سبيل التورية.

وهم: معاذ بن جبل وعُبادَةُ بن الصَّامِتِ وأبو أيوب الأنصاري وأُبَيِّ بن كعب وأبو الدرداء وقال لهم:

إِنَّ إِخْوَانَكُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ قَدْ اسْتَعَانُونِي بِمَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَيَفْقَهُهُمْ فِي الدِّينِ فَأَعِينُونِي - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - بثلاثة منكم، فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ فَاقْتَرِعُوا وَإِلَّا انْتَدَبْتُ ثَلَاثَةً مِنْكُمْ.

فقالوا: وَلِمَ نَقْتَرِعُ؟

فأبو أيوب شيخٌ كبيرٌ، وأُبَيُّ رَجُلٌ مَرِيضٌ، وَبَقِينَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ،

فقال عمر:

ابْدُؤُوا بِحِمُصَ فَإِذَا رَضِيتُمْ حَالَ أَهْلِهَا؛ فَخَلِّفُوا أَحَدَكُمْ فِيهَا وَلْيُخْرَجْ وَاحِدٌ مِنْكُمْ إِلَى دِمَشْقَ، وَالْآخَرُ إِلَى فَلَسْطِينَ.

فقام أصحابُ رسولِ الله الثلاثة بما أَمَرَهُمْ بِهِ الْفَارُوقُ فِي حِمُصَ...

ثم تركوا فيها عُبادَةَ بن الصَّامِتِ، وَذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى دِمَشْقَ وَمَضَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ إِلَى فَلَسْطِينَ.



وهناك أصيبَ معاذُ بالوباءِ.

فلما حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَجَعَلَ يَرُدُّ هَذَا النِّشِيدَ:

مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ مَرْحَبًا...

زَائِرٌ جَاءَ بَعْدَ غِيَابٍ...

وَحَبِيبٌ وَفَدَ عَلَى شَوْقٍ...

ثم جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَحِبُّ الدُّنْيَا وَطَوَّلَ الْبَقَاءَ فِيهَا
لِغَرْسِ الْأَشْجَارِ، وَجَزِي الْأَنْهَارِ...

وَلَكِنْ لَظَمْتُ الْهَوَاجِرَ، وَمَكَابِدَةَ السَّاعَاتِ، وَمَزَاحِمَةَ الْعُلَمَاءِ بِالرُّكْبِ
عِنْدَ حَلَقِ الذِّكْرِ...

اللَّهُمَّ فَتَقَبَّلْ نَفْسِي بِخَيْرٍ مَا تَقَبَّلُ بِهِ نَفْسًا مُؤْمِنَةً.
ثُمَّ فَاضَتْ رُوحَهُ الطَّاهِرَةُ بَعِيدًا عَنِ الْأَهْلِ وَالْعَشِيرِ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ،
مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِهِ. (*)



(*) للاستزادة من أخبار معاذ بن جبل انظر:

- ١- الإصابة: ٣/ ٤٠٦.
- ٢- الاستيعاب: (تحقيق البجاوي): ٣/ ١٤٠٢.
- ٣- أسد الغابة: ٤/ ٣٧٤.
- ٤- سير أعلام النبلاء: ١/ ٣١٨.
- ٥- الطبقات الكبرى: ٣/ ٥٨٣.
- ٦- حلية الأولياء: ١/ ٢٢٨.
- ٧- صفة الصفوة: ١/ ١٩٥.
- ٨- تهذيب الأسماء واللغات: ٢/ ٩٨.
- ٩- تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/ ٣٤.
- ١٠- الجمع بين رجال الصحيحين: ٢/ ٤٨٧.
- ١١- سير أعلام النبلاء: ١/ ٣١٨.
- ١٢- البداية والنهاية: ٧/ ٩٤.
- ١٣- دول الإسلام: ١/ ٥.
- ١٤- تهذيب التهذيب: ١٠/ ١٨٦.
- ١٥- وفيات الأعيان.
- ١٦- جمهرة الأولياء: ٢/ ٤٨.
- ١٧- طبقات فقهاء اليمن: ٤٤.
- ١٨- الجمع بين رجال الصحيحين.

- ١٩- البدء والتاريخ: ١١٧/٥.
- ٢٠- الزهد لأحمد بن حنبل: ١٨٠.
- ٢١- تذكرة الحفاظ: ١٩/١.
- ٢٢- المعارف لابن قتيبة: ١١١/١.
- ٢٣- أصحاب بدر (منظومة للشيخ حسين الغلامى): ٢٠٤.
- ٢٤- حياة الصحابة (انظر الفهارس في الرابع).



	الفهرس
١	التفسير
٣	مُقدِّمة
٤	مَعْنَى التَّفْسِيرِ - حُكْمُ تَعَلُّمِهِ - أَشْهُرُ الْمُفَسِّرِينَ - أَشْهُرُ كُتُبِ التَّفْسِيرِ
٧	تَفْسِيرُ الإِسْتِعَاذَةِ
٧	تَفْسِيرُ الْبِسْمَلَةِ
٩	الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ
٩	(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ
١٠	(ب) الْإِعْرَابُ
١٣	(ج) تَفْسِيرُ السُّورَةِ
١٦	فَائِدَةٌ:
١٦	مَا يُسْتَفَادُ مِنَ السُّورَةِ
١٧	الْمُنَاقَشَةُ
١٨	الدَّرْسُ الثَّانِي: عَاقِبَةُ الْمُتَّقِينَ وَجَزَاءُ الْمُكَذِّبِينَ
١٨	(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ
٢٠	(ب) الْإِعْرَابُ
٢٠	(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ
٢١	(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ
٢٢	الْمُنَاقَشَةُ

٢٣	الدَّرْسُ الثَّالِثُ: فَضْلُ الْعِقَّةِ وَغَضُّ الْبَصَرِ
٢٣	(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ
٢٥	(ب) الإِعْرَابُ
٢٧	(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ
٢٩	(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ
٣٠	الْمُنَاقَشَةُ
٣١	الدَّرْسُ الرَّابِعُ: وَصَايَا لُقْمَانَ لِابْنِهِ
٣٢	(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ
٣٣	(ب) الإِعْرَابُ
٣٤	(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ
٣٧	(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ
٣٨	الْمُنَاقَشَةُ
٤٠	الدَّرْسُ الْخَامِسُ: صِفَاتُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ
٤٠	(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ
٤٢	(ب) الإِعْرَابُ
٤٣	(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ
٤٧	(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ
٤٩	الْمُنَاقَشَةُ
٥٠	الدَّرْسُ السَّادِسُ: فَرِيضَةُ الصَّيَامِ

٥٠	(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ
٥١	(ب) الإِعْرَابُ
٥٢	(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ
٥٤	(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ
٥٦	الْمُنَاقَشَةُ
٥٧	الدَّرْسُ السَّابِعُ: مِنَ الْأَدَابِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ
٥٧	(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ
٥٩	(ب) الإِعْرَابُ
٥٩	(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ
٦٢	(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ
٦٣	الْمُنَاقَشَةُ
٦٤	الدَّرْسُ الثَّامِنُ: وَجُوبُ تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى
٦٤	(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ
٦٥	(ب) الإِعْرَابُ
٦٦	(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ
٦٩	(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ
٧١	الْمُنَاقَشَةُ
٧٢	الدَّرْسُ التَّاسِعُ: بُطْلَانُ عَقِيدَةِ النَّصَارَى
٧٢	(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ

٧٣	(ب) الإِعْرَابُ
٧٥	(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ
٧٧	(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ:
٧٨	الْمُنَاقَشَةُ
٧٩	الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: عِلْمُ الْغَيْبِ لِلَّهِ وَحْدَهُ
٧٩	(أ) مَعَانِي الْكَلِمَاتِ
٨٠	(ب) الإِعْرَابُ
٨١	(ج) تَفْسِيرُ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ:
٨٣	(د) مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ الْآيَاتُ
٨٥	الْمُنَاقَشَةُ
٨٦	التوحيد
٨٨	الْمُقَدِّمَةُ
٩٠	الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الدُّعَاءُ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ
٩٥	اللغة
٩٥	التدريب
٩٦	المناقشة
٩٧	الدَّرْسُ الثَّانِي: مِنَ الشِّرْكِ: الْإِسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى
١٠٠	اللغة

١٠٠	التدريب
١٠٢	الدَّرْسُ الثَّالِثُ: حِمَايَةُ الْمُصْطَفَى، جَنَابَ التَّوْحِيدِ
١٠٧	اللغة
١٠٧	التدريب
١٠٨	المناقشة
١٠٩	الدَّرْسُ الرَّابِعُ: السَّحَرُ
١١٥	اللغة
١١٥	التدريب
١١٦	المناقشة
١١٧	الدَّرْسُ الْخَامِسُ: الْإِسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْثَوَاءِ
١٢٢	اللغة
١٢٢	التدريب
١٢٣	المناقشة
١٢٤	الدَّرْسُ السَّادِسُ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى
١٢٨	اللغة
١٢٨	التدريب
١٢٩	المناقشة
١٣٠	الدَّرْسُ السَّابِعُ: الرِّيَاءُ
١٣٣	اللغة

١٣٣	التدريب
١٣٤	المناقشة
١٣٥	الدَّرْسُ الثَّامِنُ: طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ
١٤٠	اللغة
١٤٠	التدريب
١٤١	المناقشة
١٤٢	الدَّرْسُ التَّاسِعُ: اخْتِرَاءُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَغْيِيرُ الْإِسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ
١٤٦	اللغة
١٤٦	التدريب
١٤٧	المناقشة
١٤٨	الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ الْقُرْآنِ، أَوْ الرَّسُولِ
١٥٢	اللغة
١٥٢	التدريب
١٥٣	المناقشة
١٥٤	وَصِيَّةُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ
١٥٥	تاريخ الخلفاء الراشدين
١٥٧	مُقَدِّمَةٌ
١٥٩	أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ
١٥٩	نَسَبُهُ وَمَوْلِدُهُ

١٦٠	إِسْلَامُهُ وَبَعْضُ مَشَاهِدِهِ
١٦١	صِفَاتُهُ وَفَضْلُهُ:
١٦٢	الْبَيْعَةُ لِأَبِي بَكْرٍ، بِالْخِلَافَةِ
١٦٣	أُسْلُوبُهُ فِي الْحُكْمِ
١٦٤	أَعْمَالُ أَبِي بَكْرٍ
١٧٠	مَرَضُ أَبِي بَكْرٍ، وَوَفَاتُهُ
١٧٢	أَسْئَلَةٌ
١٧٤	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ
١٧٤	نَسَبُهُ وَمَوْلِدُهُ
١٧٤	إِسْلَامُهُ
١٧٦	صِفَاتُهُ وَفَضْلُهُ
١٧٦	بَيْعَتُهُ
١٧٧	أُسْلُوبُهُ فِي الْحُكْمِ
١٧٩	أَهْمُ أَعْمَالِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
١٨٠	الْفُتُوحَاتُ فِي عَهْدِهِ
١٨٤	اسْتِشْهَادُ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
١٨٦	أَسْئَلَةٌ
١٨٨	عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ
١٨٨	نَسَبُهُ

١٨٨	إِسْلَامُهُ
١٨٩	صِفَاتُهُ الْخُلُقِيَّةُ وَفَضْلُهُ
١٩٠	تَضَحُّيَّتُهُ بِمَالِهِ
١٩٠	الْبَيْعَةُ لِعُثْمَانَ بِالْخِلَافَةِ
١٩١	أَهْمُ أَعْمَالِهِ
١٩٣	الْفُتُوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ
١٩٣	اسْتِشْهَادُ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ
١٩٦	أَسْئَلَةٌ
١٩٨	عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
١٩٨	نَسَبُهُ
١٩٨	إِسْلَامُهُ
١٩٩	صِفَاتُهُ الْخُلُقِيَّةُ
١٩٩	فَضْلُهُ
٢٠٠	تَضَحُّيَّتُهُ بِنَفْسِهِ
٢٠٠	خِلَافَتُهُ
٢٠١	أَهْمُ أَعْمَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، بَعْدَ تَوَلَّيِهِ الْخِلَافَةَ
٢٠١	مَوْقِفُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ
٢٠٤	نَهَايَةُ الْأَحْدَاثِ، وَحَقُّ الدِّمَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ
٢٠٤	اسْتِشْهَادُ عَلِيٍّ

٢٠٦	عَامُ الْجَمَاعَةِ سَنَةِ (٤١ هـ)
٢٠٧	أَسْئَلَةُ
٢٠٩	الْخَاتِمَةُ
٢١٢	صور من حياة الصحابة
٢١٤	رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سَفْيَانَ
٢٢٤	زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ
٢٣٣	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ
٢٤٢	عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ
٢٥٢	عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ
٢٧٠	مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ

الكتاب الثاني

التفسير

التوحيد

تاريخ الخلفاء الراشدين

صور من حياة الصحابة